نزار يوسف

القضايا المنطقية والافتراضية في القرآن الكريم

دراسة وبحث

نزار يوسف

القضايا المنطقية و الافتراضية

في القرآن الكريم

دراسة و بحث

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

-(((المحتويات)))-

لطفاً .. انقر على أي عنوان أدناه للانتقال إليه

يُستَحسَن قراءة الكتاب من البداية ، للفهم الأفضل

مقدمة

القضايا المنطقية في القرآن الكريم

القضية الأولى .. ماذا لو آمنوا

القضية الثانية .. إن يك كاذباً أو صادقاً

القضية الثالثة .. فليأتوا بحديث مثله

القضية الرابعة .. احتكام أهل الكتاب بكتبهم

القضية الخامسة .. مخلوقون أم خالقون

القضية السادسة .. خَلْقُ الذين من دون الله

القضية السابعة .. النفاذ إلى الفضاء

القضية الثامنة .. هل من محيص ؟

القضية التاسعة .. لا حجة بيننا

القضية العاشرة .. تعدد الآلهة

القضية الحادية عشر .. الحكم بالعدل

القضية الثانية عشر .. كتاب الصدق

القضايا المنطقية .. خلاصة و استخلاص

القضايا الافتراضية

القضية الأولى .. العبادة الافتراضية

القضية الثانية .. الاعتدال و الوسطية

القضية الثالثة .. اتّباع الأسباب

القضية الرابعة .. الحقوق و الحدود

القضية الخامسة .. الوالدين

القضية السادسة .. الصيام و الإفطار

القضية السابعة .. الجماعة و الجمع

القضية الثامنة .. فإذا فرَغتَ فانصَب

عن المؤلِف

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم خالق الخلق مالك الملك رب الخلائق أجمعين .. الحمد لله وحده لا لغيره فغيره لا حمد له من دونه ، و الشكر لله وحده لا لغيره فغيره لا شكر له من دونه ، و الرحمة من الله وحده لا من غيره فغيره لا رحمة منه من دونه .. و إن العزة لله جميعاً .. هو الرحمن ربي .. إياه وحده عبدت و إياه وحده أطعت و به وحده آمنت و له وحده أسلمت .. و إن خير الكلام ما قل و دل .. أما بعد ..

قال الله سبحانه و تعالى في محكم تنزيله القرآن الحكيم العزيز العظيم الكريم المجيد ..

بسم الله الرحمن الرحيم { خلق الله السماوات و الأرض بالحق إن في ذلك لآيةً للمؤمنين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و السماء رفعها و وضع الميزان } .

بسم الله الرحمن الرحيم { الله الذي أنزل الكتاب بالحق و الميزان } .

بسم الله الرحمن الرحيم { فقلنا هاتوا برهانكم فعَلِموا أن الحق لله } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين } .

إن النظر في آنف الآيات القرآنية ، يوضح للقارئ المتبصر أن هذا الكون الكبير العظيم الذي خلقه الله سبحانه و تعالى بما فيه من مخلوقات .. قائم كله على الحق و الحجة و المحجة .. أي بمعنى آخر ، قائم على القوانين العلمية البحت و غير البحت ، التي نراها الآن في مجمل حياتنا اليومية المعاصرة و ما سبقها من اكتشافات

علمية ، و التي سيظهر منها المزيد و المزيد في قادم الأيام .. ذلك كله بموجب قوله تعالى ..

بسم الله الرحمن الرحيم { سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد } .

و بإعادة صياغة ما سبق كله ، يتضح لنا أن سياق ذلك بالمجمل و المحصلة العامَّين ، يقودنا إلى نتيجة هامة جداً و هي .. أن هذا الكون كله بما فيه من مخلوقات ، خاضع لقوانين العقل و العلم و المنطق الافتراضي السائد ، بأمر من الله سبحانه و تعالى .. أي إن ما يحكم هذا الكون بمجمله و مخلوقاته و ما يسود فيه بالغالب الأعم ، هو المنطق العلمي العقلي الذي يأخذ سمة الافتراض البَدهي الذي وضعه الخالق عز و جل ، له و قضى أن يكون هو السائد الحاكم المهيمن فيه .

لكن ذلك كله لا يلغي مبدأ و فرضية الشذوذ أو المخالفة لما هو سائد منطقياً و علمياً و عقلياً .. فكل قاعدة لها استثناء – كما يقال – لكن كان قَدَرُ الله سبحانه و تعالى و مشيئته أن يكون العقلاني المنطقي العلمي الحق ، هو الكبير الكثير السائد المقبول .. بينما الشاذ اللاعلمي و اللاعقلاني ، هو الضئيل القليل المحدود المستهجَن المرفوض .. هذه هي القوانين و الأسس التي وضعها الله سبحانه و تعالى لهذا الكون جميعاً و التي رضيَتْ بها و سارت عليها جميع مخلوقاته ، بدءاً من أرقاها و هم الملائكة الكرام ، مروراً بمن حمل الأمانة الإلهية الربانية بما فيه روح من الله سبحانه و تعالى ، و هو الإنسان ، مروراً بالحيوانات و انتهاءً بالحشرات و النبات .

و لذلك فأنت أيها القارئ اللبيب النبيه ، ترى بأم البصر و البصيرة كيف أن المنطق الحق أو جوهر المنطق و العلم ، هو الذي يسود ذلك .. و القرآن الحكيم العزيز العظيم الكريم المجيد ، بنفسه خير من عبّر و دل على ذلك ..

بسم الله الرحمن الرحيم { الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور } .. هي دلالة صحيحة على أن هذا الكون بما فيه ، قد خلقه الله سبحانه و تعالى على صيغة و شكل المنطق الحق من دون أن يكون هنالك أي تعارض أو اختلاف في جميع القضايا و القوانين العقلية و المنطقية فيه .

بسم الله الرحمن الرحيم { أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلَقَ الله السماوات و الأرض و ما بينهما إلا بالحق و أجل مسمى } .. هي دعوة من الله سبحانه و تعالى لعباده العلماء و ذوي الألباب و العقول ، لينظروا في هذا الكون الواسع الكبير و ما حولهم من فضاء و أرض ، ليتبين لهم أنه كله قائم على القوانين العلمية العقلانية المنطقية و لا تفاوت أو تعارض فيما بينها .

بسم الله الرحمن الرحيم { فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم و لكن أكثر الناس لا يعلمون } .. هي إشارة و دالة صحيحة على أن الإنسان – و حتى غيره من مخلوقات – قد تم خلقهم على الفطرة و الأساس العقلانيَين المنطقيَين و لا يوجد أي خلق أو شية تُعارِض تلك الطبيعة في الخلق .

بسم الله الرحمن الرحيم { هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً و قدره منازل لتعلموا عدد السنين و الحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون (*) إن في اختلاف الليل و النهار وما خلق الله في السماوات و الأرض لآيات لقوم يتقون } .. إشارة علمية منطقية إلى اعتماد المنطق الحسابي و الرياضي في طبيعة خلق هذا الكون و طريقة التعامل معه و النظر إليه و اكتشاف موجوداته ..

و لا يخفى على أحد أن علم الرياضيات هو أحد أهم أعمدة العلم الحديث و القديم و أحد أهم العلوم التي تقوم عليها التكنولوجيا الإنسانية اليوم .

عود على ذي بدء ، يتضح لنا أن المنطق العقلي العقلاني الموضوعي ، هو الذي يسود أي فكر صحيح و يحكم أي عقل سليم .. و لذلك نرى أن الناس من كافة أطيافهم العقائدية .. الإيمانية منها أم الإلحادية .. الغيبية منها أم المادية و ما سوى ذلك ، يقبلون بالحجج العقلية و المنطقية و لا يستطيعون من ذلك فكاكاً .. لا بل إننا نرى حتى تلكم النظريات العقائدية و العلمية أو السياسية و ما ينبثق عنها من أحزاب و جماعات و فرق و نحو ذلك .. تسعى جميعاً إلى اتباع أسلوب العقل و المنطق و تقديم الحجج و الذرائع ثم نَسْبها إلى المنطق و العقلانية و الموضوعية .. ذلك لكي تستطيع جذب أكبر عدد من الأتباع و المحازبين و المناصرين إليها .. و إذا ابتغينا التدقيق أكثر ، فإننا لنرى أن كل تلكم النظريات و الأحزاب و الفِرَق تنأى بنفسها عن اللامعقول و اللامنطقي و تسعى جاهدة لنسب ذلك إلى خصومها و مخالفيها من الأنداد و النظراء .

و لعلنا إذا رُمنا التوغل في التاريخ البشري القديم ، فإننا نرى أن كبار الفلاسفة و المنَظِّرين قديماً – و لعل أكثرهم أو أولهم ، كان في اليونان – قد تحدثوا عن العقل و المنطق و بنوا نظرياتهم عليه و عنه كأمثال سقراط و أفلاطون و أرسطو و ما تلاهم فيما بعد من فلاسفة و مفكرون ، يونان كانوا أم غيرهم .

كذلك فإن العلم التطبيقي التجريدي و أربابه .. في مجال الرياضيات و الفيزياء و الكيمياء ، قد اعتمد الأسلوب المنطقي العلمي العقلي التجريدي البحت ، كيف لا و هو علم قائم بمجمله على القوانين المنطقية الثابتة ثبات هذا الكون ، و قائمة بقيامته ؟؟!! و كثيراً ما احتوى هذا العلم بأفرعه التطبيقية التجريدية كلها ، على

أسس و اصطلاحات من مثال .. برهان عقلي .. برهان منطقي .. إثبات عقلي .. إثبات منطقي .. دالة منطقية .. دلالة عقلية .. نفي منطقي .. نفي النفي .. إثبات الإثبات .. نفي الإثبات .. إثبات النفي .. قانون .. الخ .

و الحقيقة الواقعة فيما يظهر لنا اليوم ، هي أن الجميع ينحو بنفسه إلى العقل و المنطق و ينسبه إليه و يقبل به – و لو مكرهاً – و ينأى بنفسه عن اللاعقلاني و اللامنطقي ، و ينسبه لغيره من الخصوم و الخوالف .. حتى و لو كان هو نفسه من فئة اللا برهان و اللا منطق .. و غيره كان من دائرة البرهان و المنطق .. و هذا من بعض طرق فئات ممن يسمون أنفسهم ملاحدة ، الذين يتهجمون على الدين و كل ما يختص بالدين و يتبع له .. و بالذات ، الدين الإسلامي و القرآن الكريم .. فينسبون العقل و العلم و المنطق لأنفسهم ، و يخرجون الإسلام و القرآن الكريم من هذه الدوائر تماماً .. علما أنه قد ثبت تماماً الآن أن العكس هو الصحيح من حيث أن العلم اليوم قد صار يؤيد القرآن الكريم تماماً و يثبت مصداقيته و إعجازه العلمي و التاريخي و الرقمي و الحَرفي بل و حتى البياني .. فصار اليوم ، كبار علماء الغرب في مجالات العلوم ، من فيزياء و رياضيات و فلك و بيولوجيا و كيمياء ، يُقِرّون اليوم بهذه الحقيقة و يعلنونها صراحة و لا يخجلون منها .. علماً أن البعض منهم كانوا قبل ذلك ملاحدة أو ما يسمى (لا أدريون) أو كانوا على أديان و ملل أخرى غير الإسلام .. كالنصرانية أو اليهودية و غير ذلك .. فصار هؤلاء يؤمنون بوجود إله واحد حق قيوم هو الله سبحانه و تعالى و يقولون جهاراً نهاراً إن العلم و المكتشفات العلمية الحديثة اليوم ، هما من قادهم إلى ذلك .. ذلك كله بالمجمل ، مصداقه الآية القرآنية الكريمة التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد } .

لقد قال الله سبحانه و تعالى في هذا القرآن الحكيم العزيز العظيم الكريم المجيد ، و عن هذا القرآن الحكيم العزيز العظيم الكريم المجيد ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و الذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه و هدًى وبشرى للمؤمنين }

و قالت الجن أيضاً عن القرآن الحكيم العزيز العظيم الكريم المجيد ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أُنزِل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق و إلى طريق مستقيم } .

إن كلمة و مصطلح (صِدق) تعني الحقيقة و تعني الحق و الواقع المطابق الذي لا زيف فيه و لا باطل أو لغو أو وهم .. و كلمة و مصطلح (صدَّق) تعني الموافقة و المطابقة و القبول العقلي السليم لنتيجة معينة .. جاء في معجم (جمهرة اللغة) أن مصداق الأمر يعني حقيقته على أمر الواقع .. و (صدق) تعني صلب الشيء و جوهره الحق الذي لا شك فيه .

عطفاً على ذلك كله و استخلاصاً ، فإنه لا يمكن لملحد أو عدو لله سبحانه و تعالى ، أن يأتي و يقول .. هذا غير مقبول لأنه من الدين ، و الدين غيبيات و أنا لا أؤمن بالغيبيات .. أو يقول .. هذا ليس من طُرقنا بل مِن طُرق الدين ، و طرق الدين هي غير طرق العلم الذي هو من طرقنا نحن (كما يزعمون باطلاً) .

مما سبق ذكره من كلام و كذا من آنف الآيات ، نخلص إلى نتيجة ثابتة مفادها إن القرآن الكريم هو كتاب حق و علم و منطق ، يثبت نفسه بنفسه من حيث مطابقته مع واقع العلم التطبيقي التجريدي الحالي (بأفرعه كافة) و مع واقع التاريخ البشري الدلالي .. و تبعاً لذلك ، لا يمكن نفيه أو دحضه .. لا بالكليات و لا بالجزئيات .. فهو حقيقة ثابتة ساطعة .. ما أمكن من قبل و لا يمكن الآن و لا في المستقبل ، حجبها أو إنكارها أو الطعن بها .. لا علمياً و لا منطقياً .. و عندما ذكرنا المستقبل آنفاً ، فإننا قد استدللنا على ذلك بالحاضر الذي كان مستقبلاً لما مضى من قبل .

و لأجل كل ما سبق من كلام في هذه المقدمة .. يأتي هذا الكتاب (القضايا المنطقية و الافتراضية في القرآن الكريم) الذي هو بيان و تبيان لكل تلكم الحقائق الذي تم ذكرها فيما سبق .. و من العنوان الموضوع له ، يتبين القارئ الكريم ، وجود صنفين للقضايا القرآنية ، هما .. المنطقية التي تتحدث عما سبق .. و الافتراضية التي تتبع للمنطقية و تثبتها و تدعمها و تمنع أي انفلات أو عوج أو تشخيص و تفسير خاطئين لها .. و من خلال ما سيتم شرحه و الكلام حوله في هذين القسمين ، سيتبين القارئ الكريم فحوى كل منها و حيثياته الحقيقية .

و الله ولي الأمر و التدبير و التوفيق .

نزار يوسف ..

٢٠٢٣/١٠/١٠ ميلادية .

القضايا المنطقية في القرآن الكريم

كما تم ذِكره في المقدمة ، فإن القضايا المنطقية في القرآن الكريم ، هي تلك القضايا و الأمور التي لم تُطرح من باب القضايا الروحانية و الغيبية التقليدية من حيث أنها تكون خاصة بالإسلام كدين روحاني و خاصة بالمسلمين كفرائض و أحكام روحانية تعبدية صَلوية ، خاضعة لأن تكون مشار إليها بخصوصية الدين أو الغيبيات أو الإسلامية و بالتالي لأن تكون خارج حلبة المناقشة أو القبول .. بل هي القضايا الفكرية المنطقية العلمية العقلانية التي لا يمكن التملص منها نقاشاً أو إخراجها من دائرة الجدليات العلمية و الفكرية المنطقية بل و حتى المادية .. لا بل هي مسائل فكرية علمية مفروضة فكرياً على أي شخص مهما كان ، و مطلوب منه الإجابة عليها ، أياً كان منهجه و سوية فكره و تفكيره .

كما إن القضايا المنطقية ، هي قضايا تستوجب نفسها في اللحظة الآنية و في كل لحظة تُطرَح بها .. هي قضايا لا تستلزم أبداً و مطلقاً ، فترة انتظار زمنية أو فترة مقارنة بالواقع المادي مثلاً أو استجلاب موجودات مادية معينة للتثبت منها . بل هي قضايا و مسائل عقلية علمية (بمعنى المعلوم و ليس العلم التجريدي) تحكم على نفسها بنفسها أو تستوجب عقلاً و منطقاً ، الرد و الحكم عليها من المتلقي ، فوراً .. و ربما أي تأخير في الرد عليها أو الحكم ، يكون محاولة للتملص منها و الهروب .. ذلك أن القضايا المنطقية تَسَعُ الجاهل و العالم معاً أو بمعنى أدق و أصح ، يسعها كل من الجاهل و العالِم . و سوف يَرِد للقارئ الكريم ، مثال على ذلك في

قادم صفحات هذا الكتاب ، عن الكيفية التي تعامل بها فرعون مع إحدى القضايا المنطقية التي واجهته ، و ذلك بالتأجيل و التأخير .

لقد كان دأب المنطق القرآني بشكل عام ، توصيف الإنسان – بل و حتى المخلوقات كافة – في حالة من الضعف و العجز اتجاه الرحمن رب العالمين .. و كان في ذلك رحمة كبيرة له لأن يعرف حجمه الحقيقي ، و لا مثال على ذلك و أدَلّ تعبيراً ، من الآية القرآنية الكريمة التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يريد الله أن يخفف عنكم و خُلق الإنسان ضعيفاً } .

كذلك الأمر أن يعلم الإنسان أن علمه كله ، لا شيء أمام علم الله سبحانه و تعالى و أن كل ما تعَلّمه أو عَلِمه في سني حياته كلها ، هو من عند الرحمن إلهه و ربه و خالقه و معلمه فكثيرة هي الآيات القرآنية التي أوضحت هذه القضية ، و منها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { اقرأ باسم ربك الذي خلق (*) خلق الإنسان من علق (*) اقرأ و ربك الأكرم (*) الذي علم بالقلم (*) علم الإنسان ما لم يعلم (*) كلا إن الإنسان ليطغى (*) أن رآه استغنى } .

تدل هذه الآيات على أن الإنسان جاهل في الفطرة ، لكن الرحمن إلهه و ربه قد علمه ما لم يعلم ، لكنه بسبب ذلك العلم ، طغى و تجبر .. فالحيوانات التي لا تعلم ، لم تكن لتطغى و تتجبر و تتكبر ، حتى ما هو أشدها قوة و حجماً و أقواها افتراساً و توحشاً .

بسم الله الرحمن الرحيم { الرحمن (*) علم القرآن (*) خلق الإنسان (*) علمه البيان } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و الله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً و جعل لكم السمع و الأبصار و الأفئدة لعلكم تشكرون } .

لكن الإنسان كان الأكثر عناداً و الأكثر كفراً لآيات الله سبحانه و تعالى ، حتى تلك المادية المبصرة منها (المعجزات) أو تلك العقلية العلمية المنطقية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل و كان الإنسان أكثر شيء جدلاً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { كلا إنه كان لآياتنا عنيداً } .

و هو أمر سيراه القارئ في قادم صفحات هذا الكتاب ، و كيف أن الكافر بالرغم من كل ما يراه من أدلة علمية و مادية و منطقية و بالرغم من عجزه عن ردها أو الرد عليها ، فإنه يظَلُّ باقياً على استكباره و عناده و غروره و كفره .

لقد تفَرَّد القرآن الكريم دوناً عن غيره من كتب دينية و أمهات مراجع دينية ، أياً كانت .. تفَرَّد عنها بكونه كتاباً ذا قضايا منطقية عدة تجعله كما وصف نفسه أو كما تم وصفه باسم الله تعالى .. مصدِّقاً لما بين يديه .. و قد ثبت فعلاً بالدليل العلمي القاطع أنه مصدِّقاً لما بين يديه ، فصار بذلك مستغنياً عن غيره من كتب و مراجع و شواهد و إثباتات مكتوبة ، تشهد له بكل ذلك .

كما تَفَرَّد القرآن الكريم دوناً عن غيره ، بأنه قد طرح قضايا منطقية عدة ، و جعل بعضها بصيغة التساؤل المنطقي المستوجب الإجابة المنطقية المكافئة للطرح المنطقي ذاته .. ثم بعد ذلك أعطى القرآن الكريم خصومه (إن جازت التسمية) أو الطرف الآخر ، حق الرد و حق الإتيان برد منطقي أو برهان لا يُختَلَف عليه ، و ذلك في آيات عدة منها على سبيل المثال لا الحصر ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين } .

كما أن هنالك ميزة أخرى تفرَّد بها القرآن الكريم عن غيره من الكتب الدينية ، و هي أنه قد طرح بعض هذا القضايا المنطقية بصيغة التساؤل ثم طلب الإجابة عنها أو الرد عليها ، منطقياً و علمياً و بدلالات موضوعية .. و في بعض الأماكن ، تحدى القرآن الكريم معارضيه و الكفرة به ، الإتيان بشيء أو قضية مشابه لما هو فيه من حيث الإعجاز العلمي و البلاغي و التاريخي و الرقمي و غير ذلك .

و لا يتبقى في مبحثنا هذا إلا التنويه إلى قضية هامة قد تثير غموضاً أو اشتباهاً و لغطاً .. و هي أن القضايا المنطقية في القرآن الكريم تختلف عن مفهوم أو مصطلح الإعجاز العلمي فيه .. و هي غيره تماماً من حيث الحيثيات و المضمون ، لكن ربما تكون الغاية أو الهدف فيما بينهما ، مشتركاً .

كما يتوجب التنويه أيضاً إلى أن القضايا المنطقية في القرآن الكريم ، تختلف أيضاً عن المعجزات المادية المذكورة فيه و التي آتاها الله سبحانه و تعالى لبعض رسله كدليل لوجوده و الإيمان به . علماً أن البراهين و المعجزات المادية الخارقة للطبيعة ، هي في وجه من وجوهها دلائل منطقية لا يستطيع الطرف الآخر المعاند لها أو المكابر عليها ، أن ينفيها أو يصدها أو يدحضها مادياً لكنه قد يستطيع أن يلفق لها تهمة باطلة زائفة كأن يدّعي مثلاً أنها سحر . و هو ما فعله فرعون بالضبط ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين (*) قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا و لا يفلح الساحرون (*) قالوا

أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا و تكون لكما الكبرياء في الأرض و ما نحن لكما بمؤمنين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { فلما جاءتهم آياتنا مبصرةً قالوا هذا سحر مبين (*) و جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلماً و علواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين } .

حتى معجزات الرسول المسيح عيسى ابن مريم ، الخارقة للطبيعة ، و منها إحياء الموتى ، و منها هو نفسه ، من حيث أنه قد كلم القوم و هو في المهد ، قالوا عن ذلك كله إنه سحر ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة و مبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين } .

لكن القضايا المنطقية ، من الصعب جداً القول عنها إنها سحر .. لأنها تدخل إلى عقل المتلقي مباشرة و لا يستطيع ردها إلا من حيث الصيغة نفسها التي نشأت عليها و تضَمَنتها حيثياتها العقلية و المنطقية ، فهي تساؤل منطقي يحتاج إلى رد بدليل منطقي . و سوف نلاحظ في قادم صفحات هذا الكتاب أن فرعون قد رمى المعجزات المادية بالسحر لكنه لم يستطع فعل ذلك مع القضايا المنطقية .

لقد احتوى القرآن الكريم بين دفتيه ، الكثير من تلك القضايا المنطقية التي تفاوتت في دقتها و إيضاحها و سهولة تَبصِرة القارئ لها .. و نبرز فيما يلي أهمها .

القضية الأولى ..

{ و ماذا عليهم لو آمنوا بالله }

هي آية قرآنية كريمة تقول ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و ماذا عليهم لو آمنوا بالله و اليوم الآخر و أنفقوا مما رزقهم الله و كان الله بهم عليماً } .

لقد طرحت هذه الآية القرآنية الكريمة ، قضية منطقية هامة تتعلق بإشكالية الإيمان بالله سبحانه و تعالى ، أو في أدنى الحدود الدينية ، الإيمان بوجود إله واحد خالق لهذا الكون و خالق لموجودات هذا الكون من أجرام و كواكب و كائنات حية و غير حية .

في الواقع إذا عندنا بالمنظور المنطقي الإشكالي الإيماني إلى بدايته ، لوجدنا أن قضية الإيمان بالله سبحانه و تعالى أو عدم الإيمان به ، هي قضية تتعلق أساساً بالقناعات الفكرية و العقلية .. فهنالك منطقياً من يعتقد بوجود إله لهذا الكون .. إله خالق له و لموجوداته من كائنات حية و غير حية .. عاقلة أم غير عاقلة .. إله ناظم لهذا الكون و مدبر لشؤونه و شؤون مخلوقاته كلها .

و في المقابل ، فهنالك من يعتقد أن ليس هنالك إله و أن هذا الكون قد جاء بالصدفة و خلق نفسه بنفسه (هذا قبل ظهور العلم الحديث) أو عن طريق ما يُعرف باسم (نظرية الانفجار الكبير) و ذلك بعد ظهور العلم الحديث و بالأخص

منه ، علم الفيزياء .. ثم بعد ذلك ظهر ما يسمى بالتطور ، أو ما عُرِف حديثاً .. بـ (نظرية التطور) أو الداروينية التي اعتبرت أنه من خلال كائن صغير جداً وُجِد بالصدفة ، ظهرت معظم الأحياء و شكّلَت نفسها بنفسها ، كذلك طورت نفسها بنفسها لينتهي الأمر على ما هو عليه في عالمنا الحالي هذا .. أي أن كل مئات الآلاف (و ربما الملايين) من أنواع الكائنات الحية تلك ، المختلفة الألوان و المشارب ، و ما يتفرع من كل نوع منها من أصناف و أقسام و أنواع .. ظهرت جميعها من خلية واحدة ثم طور كلٌ ، نفسه بنفسه .. ذاك اختار أن يكون حشرة و ذاك من اختار أن يكون نباتاً و ذاك من اختار أن يكون طائراً .. و الآخر من اختار أن يكون حيواناً و آخرون اختاروا أن يكونوا بشراً .. و هكذا ؟؟؟!!! .

إن هذه القناعات كلها يجب أن تخضع منطقياً ، أو خضعت بالفعل لبراهين إثباتاتها أو نفيها ، أو على الأقل حيثيات منطقية علمية تؤكد ثبوتها أو نفيها ، أو على أضعف تقدير ، تدعم ثبوتها أو تنفيه من حيث الاحتمالات و نسبتها .. و نحن هنا في هذا الكتاب لن نناقش هذه القضايا ، فما هي موضع بحثنا الأساس ، لأنه قد ثبت بالفعل .. حقيقة و علماً .. وجود إله واحد أحد خالق لهذا الكون و مخلوقاته .. و ثبت كذلك بالعلم التجريدي ، بطلان كل نظريات التطور و ما توافق معها .. لكننا سنناقش الدلائل و المعطيات المنطقية لهذه الآية القرآنية الكريمة ، موضوع المبحَث هذا .

في منطوق و حيثيات الفكر الديني السماوي التوحيدي و بالأخص الإسلامي منه .. يوجد إله أحد أوحد واحد هو خالق لهذا الكون و خالق لمخلوقاته جميعاً و منها الإنسان الكائن العاقل الذكي الذي وهبه الله سبحانه و تعالى العقل الراقي المتطور

القادر على التمييز و التصنيع و الإنتاج و الزراعة و الاستنبات .. أي استخراج الحرث من متاع الأرض التي جعله هو فيها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { الذي أحسن كل شيء خلقه و بدأ خلق الإنسان من طين (*) ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين (*) ثم سواه و نفخ فيه من روحه و جعل لكم السمع و الأبصار و الأفئدة قليلاً ما تشكرون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { عَلَّمَ الإنسان ما لم يعلم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين (*) قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم (*) قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات و الأرض و أعلم ما تبدون و ما كنتم تكتمون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { الذي جعل لكم الأرض مهداً و سلك لكم فيها سبلاً و أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى } .

و بموجب ما سبق ، فإن الله سبحانه و تعالى قد استخلف هذا الإنسان على كوكب الأرض و جعله سيداً عليها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفةً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ... } .

كذا الأمر ، بموجب ما سبق آنفاً فإن الله سبحانه و تعالى قد فرض الثواب على الإنسان و وعده جنته ، حال الإيمان به و طاعته و تنفيذه لما استخلفه عليه في

الأرض .. و فرض العقاب عليه و وعده نار جهنم حال الكفر به و عصيانه و الفسق عن أوامره و نواهيه ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره (*) و من يعمل مثقال ذرة شراً يره } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن و أصلح فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و من كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار و بئس المصير } .

عوداً لما سبق ، نرى أن منطوق و حال الدائرة أو المجال أو القناعة الدينية ، يستوجب في حيثياته الأخذ بعين الاعتبار مفهوم الثواب و العقاب و بالتالي فإن المؤمن بالله سبحانه و تعالى ، بموجب ما سبق .. إنما هو يفعل ذلك طمعاً و رغبة في جنة الله سبحانه و تعالى ، و كذا خوفاً من ناره و عذابه و عقابه .. و بالتالي فهو ملزم حتماً بالإيمان بالله سبحانه و تعالى و بذكره ، القرآن الكريم لأنه إن لم يفعل ذلك فسوف يعرض نفسه للعقاب الشديد بموجب إيمانه هو نفسه به ، أي أن الإنسان المؤمن يعبد الله سبحانه و تعالى و يتقيه لأنه يؤمن بعقابه الشديد فهو يخافه و يتقيه لأجل ذلك ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و الذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً (*) إنها ساءت مستقراً و مقاماً } .

و لا أدل على ذلك من أن الدين بالمفهوم الجذري له ، يرتبط أساساً بالقيد و التقييد و المنع .. فكثيراً ما تضمّن القرآن الكريم آيات قرآنية كريمة ، تنهى المؤمنين و

تحذرهم من مغبة القيام بمعصية هنا أو إثم هناك لا بل أن القرآن الكريم قد توعد بعض المؤمنين في بعض الحالات ، بعواقب وخيمة حال قيامهم بأفعال معينة محرم عليهم القيام بها .. فكثيرة هي الآيات القرآنية التي تناولت هذا الأمر ، و منها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون (*) كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط و لا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى و اتقوا الله إن الله خبير بما تعملون } .

و لعل من أهم الآيات القرآنية الكريمة التي تفيد في مضمون كل ما سبق في هذا المضمار و تختصر أبعاده و مفاعليه ، هي الآية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و أما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى (*) فإن الجنة هي المأوى } .

و التهي هنا هو المنع و التقييد ، لأن النفس الإنسانية مجبولة على الخير و الشر .. على الفضائل و نقائصها .. لا يختلف في ذلك مؤمن عن كافر و هو ما عبر عنه القرآن الكريم بآيات قرآنية عدة ، منها على سبيل المثال لا الحصر ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و نفس و ما سواها (*) فألهمها فجورها و تقواها (*) قد أفلح من زكاها (*) و قد خاب من دساها } .

بسم الله الرحمن الرحيم { إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً (*) إنا هديناه السبيل إما شاكراً و إما كفوراً } .

و لولا مِن معطيات منطقية آمن بها هؤلاء الذين آمنوا ، لما كانوا ربما قد آمنوا و لكان مَثَلهم ربما كمثل أولئك الملاحدة الذين كان من جملة ما رفضوه ، هو الإيمان بالبعث و الحساب ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و قال موسى إني عذت بربي و ربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب } .

فهذا الكافر المتكبر ، يفعل ما يحلو له لأن لا وجود في قاموسه العقلي ، لشيء اسمه يعث و حساب ، فهو يرى نفسه حراً فيما يفعل .. و هذه قضية منطقية حقة تماماً و صحيحة و سليمة بالمجمل بالنسبة للملاحدة . و هذا ما يقودنا إلى دائرة الإلحاد المقابلة لدائرة الإيمان التي تكلمنا عنها آنفاً ، و سماتها .

إن منطق دائرة الإلحاد أو عدم الإيمان بالله و الدين و الغيبيات ، يقوم على الاعتقاد و التصور بأنه طالما لا يوجد إله أو خالق لهذا الكون ، و طالما أن الكون و موجوداته قد وجِدوا بالصفة أو نتيجة لعوامل فيزيائية بحتة ، فإن ذلك يستوجب عقلياً و منطقياً أن لا يكون هنالك حساب و لا يوم بعث و لا قيامة .. و بالتالي فإن موجبات التقيد بالأوامر و النواهي الإلهية ، لدخول الجنة و تجنب دخول النار ، هي غير موجودة و معدومة .. و هذا ما يستوجب أن يقوم الملحد بفعل أي شيء يراه مناسباً له ، يَحِدَه في ذلك ، رغباته النفسية و حاجاته الجسدية و لا يمنعه من ذلك سوى القانون الوضعي البشري المادي و الذي قد لا يكون له علاقة مطلقاً بالدين .. ذلك لأن المفهوم و المنطق الإلحادي يقوم في إحدى أهم أسسه على الحرية المطلقة التي لا مانع أخلاقي لها على الإطلاق بل هو المانع المادي القهري المباشر ، فقط لا غير .. و هذا المنطق بالنسبة للحيثيات الإلحادية ، هو منطق سليم

تماماً و ليس له ما يناقضه حقيقة ، سوى المنطق الديني القائم على الردع الغيبي الأخلاقي .

من هنا و من هذه النقطة بالذات أي المنطق الإلحادي القائم على الحرية المطلقة و ليس من منطلق المنطق الديني القائم على التقيد و التقييد .. يطرح القرآن الكريم هذه المنطقية الجدلية السليمة تماماً ، المتمثلة في الآية القرآنية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و ماذا عليهم لو آمنوا بالله و اليوم الآخر و أنفقوا مما رزقهم الله و كان الله بهم عليماً } .

إن السؤال المنطقي في الآية القرآنية الآنفة الذكر هو .. ما هي المشكلة لديك أيها الملحد أن لا تعتقد و لو مجرد اعتقاد ، بوجود إله خالق لهذا الكون و ما فيه من كائنات و مخلوقات ؟؟!! ما هي تبعات ذلك ؟؟!! و من سيحاسبك على اعتقادك هذا ؟؟!! .

في الواقع يمكن طرح السؤال بصيغة منطقية أخرى و هي .. إن كان لا يوجد هنالك أي خالق لهذا الكون و لما فيه و من فيه . و لا يوجد من يحاسب و لا من يحزنون .. فلماذا أيها الملحد لا تعتقد مجرد اعتقاد على الأقل بوجود إله أو خالق ناظم لهذا الكون ؟؟!! ما هي المشكلة لديك في ذلك ؟؟!! و من سيحاسبك ؟؟!! ما هو المانع لك في ذلك ؟؟!! .

في الواقع لا يوجد أي مانع عقلي لدى الملحد لينكر وجود إله خالق لهذا الكون ، سوى المانع العلمي المادي التجريدي البحت .. و حتى الآن و حتى هذه اللحظة لم يتمكن العلم المادي التجريدي البحت من النفي المطلق لوجود إله خالق لهذا الكون .. و هذا بإقرار علماء و مناطقة الملاحدة أنفسهم .. فهو أمر قد عجز عنه كبار

مفكريهم و فلاسفتهم منذ فجر التاريخ و حتى الآن و ما بعد الآن ، ذلك باعتبار أن (الآن) كان فيما مضى ، مستقبلاً لما قبله .

أيضاً هنالك صيغة منطقية أخرى لسؤال الآية القرآنية السابقة نفسها و هي .. بما أن المنطق الرياضي و العلمي يقول بما معناه .. إذا لم يتم التثبت اليقيني من وجود الشيء أو عدمه أو وقوعه و عدمه ، فإنه يخضع لقانون الاحتمالات أي احتمال وجوده أو عدم وجوده بنسبة احتمال معينة تكبر أو تصغر حسب المعطيات المنطقية و العقلية و المادية لإمكانية حدوثه من عدمها .. و بالتالي فقد جاءت هذه الآية القرآنية لتعيد السؤال لكن بصيغة أخرى لتقول .. إن كان المنطق العلمي التجريدي البحت يقول بوجوب احتمال وجود الله سبحانه و تعالى ، لا بل يفرضه بنسبة معينة ، تكبر أو تصغر .. فلماذا أيها الملحد لم تأخذ بأسباب الاحتمال هذه ؟؟!! و لماذا نفيت أسباب الاحتمال العلمية المنطقية التي هي من طُرُقِك أنت لا من طُرُقِ المنطق الديني ، لوجود الله سبحانه و تعالى ؟؟!! لماذا لم تأخذ و لو بنسبة احتمال ضئيلة جداً ، لوجود الله سبحانه و تعالى ؟؟!! ما هو المانع و ما هي المشكلة العقلانية المنطقية لديك في الإقرار و لو بنسبة صغيرة ؟؟!! فهذا ما يفرضه عليك منطق العلم التجريدي البحت ؟؟!! .

و أيضاً مرة أخرى .. إن الوجه الآخر المقابل لهذه القضية المنطقية التي يطرحه القرآن الحكيم العزيز العظيم الكريم المجيد ، هي في فحواها تساؤل منطقي آخر و هو .. أيها الملحد الذي لا تقبل بوجود الله سبحانه و تعالى .. لماذا لا تطبق أحكام القران الكريم مثلاً التي فيها الخير كله و فيها الإنسانية كلها ، و لا يوجد فيها ضَير واحد عليك ؟؟!! لماذا لا تكون صالحاً كما أمر القرآن الكريم ؟؟!! لماذا لا تكون مفيداً للمجتمع من خلال مفهوم الزكاة الذي طرحه القران الكريم ؟؟!! لماذا لا تكون

صادقاً في تعاملك مع نفسك و تعاملك مع الناس ؟؟!! ما الذي يضيرك أن تكون نافعاً للناس و لنفسك و للمجتمع ؟؟!! لماذا لا تقوم بكل الأعمال الخيرة الجيدة و تنفع نفسك و تنفع مجتمعك ؟؟!! لماذا تصر على أن تكون سيئاً عندما يتم تخييرك فيما بين الخير و الشر ، فتختار الشر ؟؟!! علماً أنه لا ضرر عليك من الخير ؟؟!! .

إن تطبيق شرع بالله سبحانه و تعالى ، و لو عن قناعة ظاهرة .. لا يؤتي إلا ثمار الخير في المجتمع .. ذلك لأن الإيمان بالله سبحانه و تعالى ، و تطبيق قوانين الله سبحانه و تعالى ، هو في نهاية الأمر لصالح البشرية جمعاء .. فالله سبحانه و تعالى .. أساساً ، هو يأمر بالعدل و الاحسان و إيتاء ذي القربى و الخير في المجتمع و الناس و فعل الخيرات و الصدق و حُسنُ النوايا و عدم الكذب و عدم إتيان الفواحش .. الفواحش التي هي ضارة بالمجتمع الانساني والتي تثير العداوة والبغضاء والتي فيها ظلم كبير للإنسان .. جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الله يأمر بالعدل و الإحسان و إيتاء ذي القربى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغي يعظكم لعلكم تذكرون (*) و أوفوا بعهد الله إذا عاهدتم و لا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها و قد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون } .

ففاحشة الزنا مثلاً .. هي في القرآن الكريم و في العرف الإنساني الأخلاقي ، ظلم للمرأة و اعتداء على جسد المرأة و على حريتها و على عفويتها .. حتى و لو كانت عن طريق الاحتيال .. حتى و لو كانت عن طريق دفع النقود أو غيرها .. فالمرأة في النهاية هي كائن له كرامته الشخصية الإنسانية التي يجب الحفاظ عليها .. فما الذي يضيرك أيها الملحد ألا تفعل ذلك ؟؟!! و ما الذي يجبرك على فعل كل تلك المعاصي و الفواحش و المفاسد و المنكرات ، و تعتبرها أمراً طبعياً يندرج ضمن

نطاق الحريات الشخصية ؟؟!! .. و الله سبحانه و تعالى قد هيأ لك البديل عن هذه المحرمات ؟؟!! البديل عن الزنا هو الزواج .. فإن أنت أردت أن تقترن بامرأة فاقترن بها ، و لكن عن طريق الزواج .. الزواج الذي وصفه الله في القران الكريم هو أولاً تكوين أسرة ، و أنه احترام الرجل و المرأة بعضهما لبعض و أنه استقرار عائلي ، جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و الله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً و جعل لكم من أزواجكم بنين وحفدةً و رزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون و بنعمة الله هم يكفرون } .

و الباطل هنا هو الزنا أو المساكنة غير الشرعية و غيرها ، أما نعمة الله التي يكفرون بها ، فهي الزواج الرسمي .. و لنا أن ننظر اليوم إلى دعوات هؤلاء ، لنتأكد .

بسم الله الرحمن الرحيم { و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودةً و رحمةً إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون } .

السرقة .. لماذا تسرق و الله سبحانه و تعالى قد هيأ لك أسباب الرزق و العمل و أسباب الزكاة لتنتفع منها ؟؟!! .

لماذا تظلم و تغتاب و تسيء و تفعل كل ما حرّمه الله سبحانه و تعالى في محكم تنزيله ، و أنت لست مضطراً لذلك كله ؟؟!! .

جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكُنَّ خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون

(*) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (*) يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير } .

فهل في هذه المنظومة الأخلاقية ، ضير عليك أيها الملحد ، و لماذا ؟؟!! هل هذه المنظومة الأخلاقية ، إن طبقتها و عملت بموجبها ، تضرك في حرياتك الشخصية و لماذا ؟؟!! .

ذلك كله قضية منطقية طرحها القرآن الكريم فهل من مجيب لها ، منطقاً ؟؟!! .

يبدو أنه حتى الآن ، أن ليس من مجيب لها ، و يبدو أنه لا يراد حتى أن تكون لها إجابة .. فالملحد حتى هذه اللحظة قد اختار نمط عيشه و تفكيره في هذه الحياة الدنيا .. اختاره أن يكون عداءً لله سبحانه و تعالى ، و أن يكون كارهاً له و لشرعه و احكامه و ذكره ، القران الكريم .

في الواقع لقد أجاب القرآن الكريم على هذه الإشكالية المنطقية و قدم تفسيراً عقلانياً من كونه (التفسير) واقعياً يراه الآن كل إنسان عاقل .. و هذا التفسير يقوم على مبدأ أن هذا الملحد ، هو في واقع الأمر ليس ملحداً افتراضياً من أولئك الذين يرضون بالعلم التجريدي إماماً و حكماً ، بل هو في واقع الأمر ، عدو لله سبحانه و تعالى ، مستكبراً عن آياته ظهيراً عليه عاصياً له ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و الذين كذبوا بآياتنا و استكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الذين كذبوا بآياتنا و استكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء و لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط و كذلك نجزي المجرمين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم و لا يضرهم و كان الكافر على ربه ظهيراً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { فلما جاءتهم آياتنا مبصرةً قالوا هذا سحر مبين (*) و جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلماً و علواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين } .

و لا مجال عقلي و منطقي ، مما سبق جميعاً ، لأن يتضح لنا غير أن الاستكبار الذي ذُكِر في الآيات الآنِفة ، هو التفسير أو الدليل الوحيد على عجز الملحد أو عدو الله سبحانه و تعالى ، عن إيجاد أي تفسير أو رد لهذه الآية المنطقية التي طرحها القرآن الكريم ، تساؤلاً عقلياً منطقياً يستوجب رداً من الوجوه و الطرق نفسها .. العقلية منها و المنطقية .. و في الواقع الصريح فإن هذا ما يحدث بالفعل في ساحة الحياة العملية الحالية التي نعيشها اليوم ، و ما يرتبط بها من وسائل إعلام متعددة و مواقع كثيرة مختلفة في الشبكة العنكبوتية و في موقع التواصل الاجتماعي بما يُعرَف أو يسمى بـ (الفيسبوك) حيث تكتظ كل تلكم الوسائل و المواقع بالمهاترات و التضليل الإعلامي و الكذب و الزيف و التزييف المتمثل في انتقاد الدين بالمجمل ، و الإسلام و القرآن الكريم على وجه الخصوص .. ذلك من حيث أن هؤلاء لا يقدمون أي حجج منطقية في دعم افتراءاتهم و مزاعمهم .. كما أنهم لا يمتلكون أي حجج من هذا القبيل في الرد على ما يوجهونه من حجج منطقية و عقلية لا بل و حتى علمية بحتة تجريدية تثبت صحة القرآن الكريم ، سوى اختلاق الأكاذيب و الترهات علّهم يجدون قليلَ علمٍ أو بسيطَ عقل و دين ، يقع في شباكها و أحابيلها .

القضية الثانية .. إن يك كاذباً و إن يك صادقاً

هي آية قرآنية كريمة جاءت في القرآن الكريم في السياق التالي ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد أرسلنا موسى بآياتنا و سلطان مبين (*) إلى فرعون و هامان و قارون فقالوا ساحر كذاب (*) فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه و استحيوا نساءهم و ما كيد الكافرين إلا في ضلال (*) و قال فرعون ذروني أقتل موسى و ليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد (*) و قال موسى إني عذت بربي و ربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب (*) و قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله و قد جاءكم بالبينات من ربكم و إن يك كاذباً فعليه كذبه و إن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب (*) يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى و ما أهديكم إلا سبيل الرشاد } .

تتحدث الآية و سياقها العام عن جدال بين فرعون و قومه و آله من جهة ، و بين الرسول موسى من جهة أخرى ، من حيث أن سياق الآية الكريمة قد تحدث عن إيراد موسى لقضايا عقلية منطقية ، بالإضافة إلى إتيانه لجانبها ، آيات مادية بصرية (معجزات) لا مجال لإنكارها ، و ذلك لإثبات وجود الله سبحانه و تعالى و من ثم الدعوة لعبادته و اتباع تعاليمه ، كونه رسول مرسل من قِبَله .. لكن فرعون و قومه و حاشيته و من يعتمد عليهم في القوة و المال ، أنكروا تماماً هذه البراهين

العقلية و المنطقية من حيث كونها مادية بصرية واقعية لا مجال لإنكارها .. علماً أنه في القرآن الكريم قد وردت وقائع تشير إلى أن موسى قد أرى هذه الآيات و البراهين لفرعون و قومه ، أمام الشعب و جمهور العامة حيث كان هنالك اجتماع عام كبير تمت الدعوة إليه من قِبَل فرعون ، و في مكان أو ميدان عام رحب المساحة ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد أريناه آياتنا كلها فكذب و أبى (*) قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى (*) فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا و بينك موعداً لا نخلفه نحن و لا أنت مكاناً سوًى (*) قال موعدكم يوم الزينة و أن يحشر الناس ضحًى (*) فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى } .

إذن .. فقد كانت الآيات و الدلائل و البراهين المادية البصرية الداعمة للآيات و البراهين النظرية العقلية المنطقية ، ظاهرة تماماً و واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار .. و قد رآها الجميع بما فيهم فرعون و قومه و جمهور الشعب أجمعين .. ليس ذلك فقط بل رآها السحرة الذين أتى بهم فرعون ليبارزوه في نفس مضمار ما جاء به من تلكم البراهين لكنهم أخفقوا و خسروا معركتهم مع موسى .. أيضاً ليس ذلك و حسب بل إنهم انضموا إلى موسى و آمنوا بدعوته ، منقلبين على فرعون .. ذلك كله أمام جمهور الشعب .

لكن و مع ذلك أبى فرعون و قومه كل تلكم المعطيات و الدلائل و البراهين و رفضوها كلها ، جملة و تفصيلاً لا بل توعد فرعون السحرة بالقتل معتبراً إياهم خونة مرتدين و متآمرين مع موسى ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فألقي السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون و موسى (*) قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم

و أرجلكم من خلاف و لأصلبنكم في جذوع النخل و لتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى } .

بعد كل هذا الرفض القاطع ذو الاستكبار و الغرور من قبل فرعون و ملأه و زبانيته لكل تلكم الآيات و البراهين المادية الدامغة ، مع أنهم عرفوها جيداً و أدركوها و أدركوا أنها آيات ربانية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فلما جاءتهم آياتنا مبصرةً قالوا هذا سحر مبين (*) و جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلماً و علواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين } .

بعد كل ذلك ، و عندما سعى فرعون ، ظلماً و عتواً و استكباراً لقتل موسى ، مدعياً أنه كاذب في قوله و أنه لم يأت بسلطان مبين .. هنا انبرى رجل من قوم فرعون يكتم إيمانه بموسى خوفاً من بطش فرعون و ملأه ، و قدّم طرحاً منطقياً عقلانياً ، من الصعوبة بمكان دحضه أو تفنيده أو رفضه .. و هنا بالذات تبرز أهمية القضايا المنطقية النظرية التي قد تكون أحياناً أقوى حتى من الحجج المنطقية المادية المبصرة التي يمكن كذباً و نفاقاً ، تفنيدها أو الادعاء أنها سحر أو ما شابه و هو ما قام به بالفعل فرعون و قومه في تفنيد الآيات و البراهين المادية التي جاء بها موسى إليهم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { ثم بعثنا من بعدهم موسى و هارون إلى فرعون و ملئه بآياتنا فاستكبروا و كانوا قوماً مجرمين (*) فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين (*) قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا و لا يفلح الساحرون } .

بينما قوة الشاهد المنطقي النظري قد لا يمكن دحضها أو التملص منها كما فعل فرعون و قومه مع المعجزات الإلهية الربانية التي جاءهم بها موسى .. و لعل حادثة النبي يوسف مع امرأة العزيز و اتهامها له بمحاولة الاعتداء عليه ، حيث جاءت شهادة منطقية لا يمكن دحضها ، من شاهد من أهل امرأة العزيز من حيث أنه لم يكن موجوداً ليشهد شهادة مادية حاضرة مبصرة لكنه أدلى بشهادة منطقية كانت من القوة بمكان من حيث لم يستطع أحد تفنيدها أو دحضها ، حتى عزيز مصر قَبِل بها و اعتمدها و وجه اللوم فيها لامرأته .. جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و استبقا الباب و قدت قميصه من دبر و ألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم (*) قال هي راودتني عن نفسي و شهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت و هو من الكاذبين (*) و إن كان قميصه قد من دبر فكذبت و هو من الصادقين (*) فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم (*) يوسف أعرض عن هذا و استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين } .

إذن .. هنا و في ظل استعار الحرب بين موسى و فرعون و توتر الأجواء مصحوبة بالتعنت و الكذب .. هنا تقدم هذا الرجل الذي هو مؤمن آل فرعون و قدم طرحاً منطقياً قوياً لا إشكال فيه ، من حيث أنه قال بما معناه .. إنه إن كان موسى كاذباً و لا وجود لإله أو شيء من هذا القبيل ، فإنكم يا قومي لن تخسروا شيئاً حال إيمانكم به و تصديقكم له .. ذلك لأنه لن يوجد من يحاسبكم على ذلك ، سواء آمنتم به أم كذبتم .. و هو من سوف يتحمل تبعات ذلك لوحده .. لكن إن كان صادقاً في قوله فسوف تعاقَبون عقاباً شديداً ، بخاصة وأنه قد قدم لكم الدلائل و البراهين المادية القوية الظاهرة للعيان و التي قد رآها الناس و جميع جمهور الشعب .

ثم بعد ذلك ، أتبع مؤمن آل فرعون كلامه و دعواه المنطقية تلك ، بدلائل و أحداث و وقائع تاريخية ، يبدو أن آل فرعون كانوا يعرفونها حق المعرفة ، و هي عقاب من الله سبحانه و تعالى قد نزل بأقوام كانوا سابقين لقوم فرعون و آله ، كقوم نوح و عاد و ثمود و غيرهم ، بالإضافة إلى وقائع تاريخية سيئة جداً و فيها أذى كبير ، قد وقعت أيضاً .. و جميع ذلك ، يبدو أن فرعون و آله و قومه ، كانوا يعرفونها حق المعرفة و إلا لما خاطبهم الرجل بها و ذكّرهم فيها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و قال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب (*) مثل دأب قوم نوح و عاد وثمود و الذين من بعدهم و ما الله يريد ظلماً للعباد (*) و يا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد } .

إن ما سبق يشير إشارة واضحة ، و يعطي دلالة دامغة على إحكام طوق الدلائل و البراهين المنطقية التي تقدم و تقود إلى القضية المنطقية الأساس التي ذكرها مؤمن آل فرعون ، من حيث أنه إن كان موسى كاذباً في دعواه إلى وجود إله واحد خالق لهذا الكون بما فيه من موجودات و مخلوقات ، و مدبر له ، فإن إيمان آل فرعون به لن يضيرهم شيئاً و لن يؤثر على مكانتهم و موقعهم في الحياة و في المجتمع المصري ، بخاصة و أن غاية موسى الأساس التي أرسله الله سبحانه و تعالى لأجلها ، هي السماح لبني إسرائيل بالخروج من مصر و العودة إلى الأرض التي وعدهم الله بها ، و ذلك حال آمن فرعون بالله سبحانه و تعالى أم لم يؤمن ..

بسم الله الرحمن الرحيم { اذهبا إلى فرعون إنه طغى (*) فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى (*) قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى (*) قال لا تخافا إنني معكما أسمع و أرى (*) فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل و لا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك و السلام على من اتبع الهدى } .

لقد كان أساس دعوة موسى ، هو طغيان فرعون و من ثم إخراج بني إسرائيل و إعادتهم إلى الدين الحق القويم .. و بمعنى أدق و أصح تأويلاً ، فإن الله سبحانه و تعالى قد خيّر فرعون بين أن يؤمن و يطلق سراح بني إسرائيل ، و بين أن لا يؤمن لكن شرط أن يطلق سراح بني إسرائيل أيضاً ، فقضية الإيمان بالله كانت خياراً من الله سبحانه و تعالى ، له و ليس قطعاً ، بينما إطلاق سراح بني إسرائيل كان قطعاً .. و ليس أدل على ذلك من الآية القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك و لنرسلن معك بني إسرائيل } .

و لذلك جاءت مسألة مؤمن آل فرعون ، المنطقية تلك لتكون حل وسطاً منطقياً و مقبولاً في الوقت نفسه للجميع .. ذلك أن القضية المنطقية في الآيات القرآنية الداعية للإيمان بالله سبحانه و تعالى ، هي أنه لا يوجد أي إشكال أو ضير في الإيمان بوجود الله سبحانه و تعالى بالنسبة للبشر ، حتى و لو لم يكن موجوداً – و العياذ بالله الحي القيوم – هي قضية عقلانية علمية تقود إلى منطقية الطرح .

عقلانية لأن العقل يقبل بها و لا يرفضها .. فالحوار الداخلي الذي يجريه العقل مع نفسه هو أنه لا يوجد أية مشكلة بالنسبة لي في وجود إله واحد خالق لهذا الكون و ما فيه ، ناظماً له ، مدَبِّراً لشؤونه .. لا يوجد أية إشكالية لدي في ذلك أو رفض قطعي حتى و لو لم أرَ هذا الإله بواسطة العين المادية التي توصل المعلومات البصرية إلي .

و هي قضية علمية لأن العلم الوضعي المادي الحديث اليوم ، في أحسن الحالات بالنسبة للإلحاد ، لم يتمكن إلى الآن من نفي وجود إله خالق لهذا الكون و لا حتى من تقديم مجرد دليل ظني على ذلك .. و هو (أي العلم) في أسوأ الحالات بالنسبة

للملاحدة ، يتجه نحو إثبات وجود إله خالق لهذا الكون بما فيه من مخلوقات ، و يعطي دلائل قوية على ذلك ، من خلال ما تم و يتم اكتشافه اليوم في علوم و مجالات شتى . كعلم الفلك و الفضاء و علم الطب و الإنسان (الخلية و الأعصاب) و علم الكيمياء (الذرة) و وغير ذلك من مجالات العلم الحديث .

إن شقّيّ العقل و العلم في قضية ما ، مهما كانت تلك القضية ، سيقودان حتماً و حكماً إلى النتيجة المنطقية فيها ، لا جدال في ذلك و لا شك .. و النتيجة المنطقية سوف تفرض نفسها جبراً منطقياً لا يمكن رفضه أو إنكاره إلا في حالات النفاق و العلو و الاستكبار و الغرور .. و لعل أكبر مثال على فرض القضايا المنطقية نفسها على الجميع ، هو ما نراه اليوم من إعلان كبار علماء الغرب الملاحدة و غير الملاحدة ، في العلوم التطبيقية ، عن اعتقادهم و إيمانهم بوجود إله واحد خالق و موجد لهذا الكون و ما فيه من مخلوقات و أن الذي قادهم لذلك هو العلم نفسه و الاكتشافات العلمية ذاتها و لا شيء غير ذلك .. و هذا لأنهم قد وصلوا علمياً و بحثياً إلى نتيجة منطقية لا يمكنهم التملص منها و الفكاك و هي أن هذا الكون بكل موجوداته و تنظيمه و السلوك المنظم الثابت الممنهَج لكل تلكم الموجودات و المخلوقات بالإضافة إلى التوافق الكبير فيما بين هذه المنهجية و التنظيم فيما بينها جميعاً ، لا يمكن أن يدل إلا على وجود إله أحد واحد لهذا الكون و لهذه المخلوقات جميعها .. شاء من شاء و أبى من أبى .. لقد وصل هؤلاء العلماء إلى نتيجة عقلانية علمية منطقية ، رأوا أنهم إن أنكروها فسينكرون أنفسهم و علومهم و اكتشافاتهم كلها و سينسفون ذلك كله مرة واحدة ، فلم يكن لهم بد من الانصياع للعلم و المنطق ، و نتائج و قرارات العلم و المنطق و هو ما قاله القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد } .

أما الحالة المقابلة لحالة القبول المنطقي تلك ، فهي حالة الرفض الكامل لها .. و لا أدل مثال على ذلك من مثال فرعون في العصور القديمة ، و كل عدو لله سبحانه و تعالى .. و اليوم .. هو لسان الحال الواحد نفسه .. الرفض من دون تقديم أي دليل أو محجة أو مبرر أو عذر ، يُضاف إلى ذلك إظهار شدة العداء و الأعمال العدوانية كحال فرعون مع السحرة و توَعُّده إياهم بالقتل و الصلب و قطع الأعضاء .

إن الحالة المنطقية الأولى التي تقول إنه لا ضير في الإيمان بوجود إله خالق للكون و الإنسان و تتساءل عن الإشكال في ذلك و تقدم في الوقت نفسه للحالة المنطقية الثانية التي أوردها مؤمن آل فرعون و هي أنه إن لم يكون هنالك وجود للإله و إن كان الكون هو وليد المصادفة العمياء ، فليس هنالك أية إشكالية في الإيمان بهذا الإله .. و أي عقاب يستوجب ذلك ؟؟!! .. لكن إن كان هنالك من إله لهذا الكون و قد بانت آياته و براهين و دلائل وجوده ، و تم إنكاره و الكفر به ، فالعذاب و العقاب واقعَين لا محالة .

إن الطرح أو المسألة المنطقية الثانية التي قدّمها مؤمن آل فرعون ، تختلف عن القضية المنطقية الأولى كونها تحمل في مضمونها قضيتين منطقيتين متعاكستين لكنهما متفقتان بالمضمون و النتيجة .. مختلفتان بالمقدمة لكنهما متفقتان في النتيجة .. و هاتان القضيتان هما .. مقدمة عدم وجود إله مع ما يرتبط بها من نتائج .. و مقدمة وجود الإله مع ما يرتبط بها من نتائج .. و كِلتا القضيتين قدمهما مؤمن آل فرعون ضمن قضية منطقية واحدة تمثلت بالآية المذكورة سابقاً ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إن يك كاذباً فعليه كذبه و إن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم } .

و لعل خير دليل على صحة ما أورده الرجل المؤمن ، منطقياً ، هو كلامه نهاية المطاف بعدما يئس من فرعون و قومه ، حينما قال ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و قال الذي آمن يا قوم اتبعونِ أهدكم سبيل الرشاد (*) يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع و إن الآخرة هي دار القرار } .

إن سبيل الرشاد الذي ذكره الرجل المؤمن هنا ، هو المنطق السليم و الحجة القطعية الدامغة التي لا مجال لإنكارها أو الإتيان ببديل منطقي منافٍ لها .. و لا أدل من ذلك حينما ختم كلامه بالحديث عن الدار الآخرة و أنها دار القرار ، من حيث أنه من المعلوم أن المصريين القدماء كان لديهم عقيدة و إيمان ثابتين في الحياة ما بعد الموت ، و هو ما يعزز فرضية الرجل المنطقية الأساس ، إن كان يوجد إله أم لم يكن يوجد .

هذه الآية القرآنية ذات القضية المنطقية ، حملت في ذاتها تساؤلاً أو معضلة تستوجب الرد من الطرف الآخر الكافر أو الطرف المقابل . فكيف كان رد فرعون و ملأه على تلكم القضية المنطقية ؟؟!! .

لقد اتخذ فرعون كما ذكرنا بداية الأمر قرار قتل موسى و أتباعه بعد أن رأى الدلائل و البراهين المادية المباشرة ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم و ما كيد الكافرين إلا في ضلال (*) و قال فرعون ذروني أقتل موسى و ليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد } .

ثم بعد أن جُوبِه هو و قومه بالدلائل المنطقية الداحضة لمنطق الكفر البحت و المستوجبة إجابة منطقية مماثلة ، اعتمد أيضاً أسلوب الرفض و الإنكار لكن هذه المرة بطرق غير مباشرة ، أوردها القرآن الكريم في آيات عدة جاءت بعد الآية المنطقية التي أوردها مؤمن آل فرعون و هي ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و قال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب (*) أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى و إني لأظنه كاذباً و كذلك زُيّن لفرعون سوء عمله و صد عن السبيل و ما كيد فرعون إلا في تباب } .

مما سبق من آنِفِ الآيات ، يتضح لنا أن فرعون لجأ أولاً إلى أسلوب المراوغة و الزيغ و التمييع فقال لقومه إنه صادق معهم و إنه لا يقدم لهم من حلول إلا الذي يراه هو بالفعل أمامه و هو يرى أن الذي يعرضه عليهم هو سبيل الرشاد .. و هنا تبرز ملاحظة هامة و هي أن عبارة (سبيل الرشاد) قد استخدمها فرعون أيضاً كما استخدمها مؤمن آل فرعون ، و هي دلالة قوية على التنافس و الصراع بالحجج المنطقية بين الطرفين .

و لكن كما يبدو فإن حجة الرجل المؤمن من آل فرعون ، كانت أقوى من حجة فرعون منطقياً .. و هنا لجأ فرعون إلى حيلة أخرى و هي أسلوب الإرجاء الذي اعتمده من قبل ، بناء على نصيحة من مستشاريه كما في الآية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قال للملإ حوله إن هذا لساحر عليم (*) يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون (*) قالوا أرجه وأخاه و ابعث في المدائن حاشرين (*) يأتوك بكل سَحّار عليم } .

لكن هذه المرة ، لجأ فرعون إلى حيلة إرجاء غير مباشر .. و لا يُعلَم إن كان مستشاروه هم من نصحوه بها كما نصحوه أول مرة .. ذلك حين طلب من أحد معاونيه تشييد بناء ضخم (هو الأهرامات) لكي يرتقي أعلاه و يتأكد من وجود إله موسى كما يزعم مؤمن آل فرعون و من ثم يعطي قراره ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و قال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب (*) أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى و إني لأظنه كاذباً و كذلك زُيّن لفرعون سوء عمله و صَد عن السبيل و ما كيد فرعون إلا في تباب } .

و من المعروف أن عملية بناء الأهرامات أو حتى صرح ضخم كبير (إن افترضنا ذلك) سوف تستغرق سنين طوال قد تمتد لعشراتها إن لم يكُنَّ مئاتها ، و جهداً جهيداً لا يُستهان به البتة . و هنا فإن فرعون قد تخلص و تملص من هذه القضية المنطقية و المعضلة التي تستوجب رداً مباشراً عليها لا يكون إلا بالإقرار بها و قبولها ، ذلك لأنه لا إشكال فيها و لا حرج سواء بالنسبة للكافر أم المؤمن و ليس لها أية مآخذ مادية تقع على من يأخذ بها و يطبقها ، ذلك لأن جدلية المنطق في حيثياتها ، تستوجب ذلك ، و هذا ما لم يفعله فرعون بل أنه لجأ إلى قضية أخرى فيها شبهة من منطق أو يشتبه أنها منطقية ، و هي الإرجاء الذي هو حجة ضعيف الحجة الذي لا حجة له و الذي ليس لديه ما يقدمه من أعذار .. هو الإرجاء الذي على مبدأ (يخلق الله ما لا تعلمون) أو على مبدأ (إما أن يموت الحمار أو يموت الوالي) .. و المدة الزمنية الطويلة جداً التي تستوجب ما طرحه فرعون ، كافية لأن ينسى الناس

ما تقدّم به موسى و الرجل المؤمن من آل فرعون ، أو يموتوا أو يموت فرعون هو نفسه أو تنقلب الموازين جميعها أو يكون لديه (أي فرعون) الوقت الكافي للتصرف و الإطاحة بموسى و من معه .. و هذا بالضبط هو ما تضمنته الآيتان السابقتان ، من حيث أننا نلاحظ عبارة قالها فرعون بعد طلبه من وزير البناء التابع له ، بناء صرح كبير أو أهرام أو ما شابه ، قوله إنه يظن أن موسى كاذباً في دعواه .. (فأطلع إلى إله موسى و إني لأظنه كاذباً) فهو يريد تسويق فكرته غيبياً لدى الناس بما معناه .. إن موسى هذا الذي جاء إليكم هو كاذب و الدليل على ذلك هو أنني موافق على ما قاله الرجل المؤمن به و سوف أبني برجاً كبيراً و أثبت لكم أن إله موسى غير موجود .. هذا ما يسمى بالترويج الإعلاني أو الدعائي الذي هو شبيه بفكرة الإعلانات التجارية التي يشاهدها ملايين الناس اليوم على وسائل التواصل البصري ، من حيث يتم إيهام المستهلك أو الزبون المشاهِد ، بفكرة الإعلان من خلال المؤثرات البصرية و الكلام الخادع المعسول حول جدوى هذه السلعة أو تلك و فائدتها للمستهلك ، و تضخيم أمرها و ميزاتها ، كثيراً جداً عما هي عليه في الأساس .. و ما يعزز هذا القول هو أن إن حجة الرجل المؤمن المنطقية لا تستوجب بناء أهرام أو ما شابه ، ذلك لأنه من الأساس قد حسمت أمرها بنفسها و وضعت حالة وجود إله أو عدم وجوده .

أيضاً لا أدَلَّ على صحة هذا الكلام ، من تصويب الله سبحانه و تعالى لرأي الرجل المؤمن و تسفيهه حجة فرعون و إدراكه بسوء نواياه ، من عبارة (و كذلك زُيّن لفرعون سوء عمله و صَد عن السبيل) أي أنه ظن أنه قد خدع الله سبحانه و تعالى و خدع موسى و خدع الرجل المؤمن و خدع حاشيته و جمهوره بذلك .. و قد تلت تلك العبارة في الآية القرآنية ، عبارة (و ما كيد فرعون إلا في تباب) و

هي تؤكد ما ذهب إليه فرعون و تُثبِت و تنبئ أن كل تدبيره السيء هذا و مناوراته و محالات إشراك حاشيته و جمهوره بها ، إن هي إلا إلى بوار و هباء منثوراً .

الأمر الثاني الذي لجأ إليه فرعون ، هو أمر خطير جداً .. ألا و هو اختلاق ما يسمى بالمنطق الوهمي أو المنطق الكاذب .. فما هو هذا المنطق الوهمي أو المنطق الكاذب ؟؟!! .

المنطق الوهمي أو الكاذب ، هو منطق أو قضية منطقية زائفة لا صحة لها إطلاقاً و لا علاقة لها من حيث المنطق ، بل يتم إلباسها لبوس المنطق لكي تُشكِل و تُشبِه على الناس .. هي منطق الشخص الخاسر في الجدال المنطقي الحق ، و ذلك لكي يخلق حالة من التشويش على القضية المنطقية التي يُجابه بها و التي خسر فيها الجدال أو النقاش ، في أن يوجِد لها منطقاً آخر حقيقياً سليماً لا شيّة فيه ، يدحض تلك القضية .. و بما أنه ليس له إلا هذه الفرصة الأخيرة ، فإنه يلجأ الى اختلاق منطق وهمي .. منطق كاذب يدّعي أنه منطق و ما هو بالمنطق ، و هو خارج عن كل أعراف المنطق و شروطه .. ذلك لكي يُلبِس الأمر على المتلقي الحيادي و ليس على الطرف الآخر المحاوِر له بالحجة و القضية المنطقية .. ذلك لأن الطرف المحاور في الحجة أو القضية المنطقية ، هو يعلم أساساً بأن ذلك المنطق هو منطق وهمي كاذب و أن هذا الكافر أو الخاسر في الجدال المنطقي ، إنما يختلق ذلك المنطق الكاذب ، لكي يبرر فشله أو يهرب من الحجة المنطقية السليمة التي أتاه إياها هذا الطرف .

لكن على من تنطلي أو ينطلي المنطق الوهمي الكاذب ؟؟!! .

إن المنطق الوهمي الكاذب ينطلي على جموع العوام أو جمهور الشعب و العامة البسطاء الذين لم يتحَصَّلوا على شيء من علم أو ثقافه متقدمَين ، يكشفان لهم

زيف منطق ما ، مِن صحته .. و بالتالي ينجرّون إلى ما يغترون به من مظهر برّاق خادع ، سواء في الفعل أم القول .

إن المثال الأوفى في قضية المنطق الوهمي الكاذب ، هو ما فعله فرعون عندما خسر كل أوراقه المنطقية جميعاً أمام موسى ، و لم يجد ما يرد به على ما جاء به موسى من معجزات و آيات ربانيات قاهرات مبصرات لكل من شاهدها و رآها .. و بالتالي لجأ إلى آخر ورقة له في هذا المجال ألا و هي اختلاق منطق وهمي كاذب .. فقال لموسى مدعياً .. إنك يا موسى جئت بسحر و ليس بأمر خارق قاهر للطبيعة ، و أنا سوف أثبت للناس أنه سحر بأن آتيك بسحر مثله يقارعه و يكون نداً له .

لكن موسى علم أن كلام فرعون ما هو إلا ادّعاء و اختلاق منطق كاذب لا أساس له من الصحة ، و لذلك وافق عليه فوراً .. و عندما طلب منه فرعون أن يحدد يوماً للمبارزة و النزال .. وافق موسى على الفور و لم يتوجس ، بل حدد لهم مباشرة يوم و مكان النزال ، و هو يوم الزينة أي يوم الأعياد و الأفراح .. ليس ذلك فقط ، بل طلب أن يتم جمع الناس في الصباح الباكر أي أن يكون اجتماع جماهيري لكي يشاهدوا الخاسر و منطقه الوهمي الكاذب .

إن ما يحصل اليوم مما يفعله الملاحدة أو أعداء الرحمن رب العالمين و أعداء الدين الإسلامي حصراً ، من قضايا منطقية كاذبة فاشلة لا تنطلي إلا على السفهاء و الجهلة و عوام الجمهور الذين لا ثقافه لديهم و الذين وقعوا تحت نير الوهم البصري و الجهل و التجهيل الذي يمر به العالم هذا اليوم ، ما هو إلا واحدة من كُثُرٍ مما يحاولون به النيل من الإسلام و الدين الإسلامي و القرآن الحكيم العزيز العظيم الكريم المجيد .

ثم تأتي بعد ذلك الأحداث لتوكد خبث نوايا فرعون و سوء طواياه و ذلك من خلال عزمه على قتل موسى و استعباد بني إسرائيل ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فأرسل فرعون في المدائن حاشرين (*) إن هؤلاء لشرذمة قليلون (*) و إنهم لنا لغائظون (*) و إنا لجميع حاذرون (*) فأخرجناهم من جنات و عيون (*) و كنوز و مقام كريم (*) كذلك و أورثناها بني إسرائيل } .

إن العِبرة الحق في منطق و مضمون القضية الثانية .. هي أن القرآن الكريم يريد أن يوصل لنا رسالة حق و هي .. إن الله سبحانه و تعالى ، هو الحق و هو الحجة و المنطق السليم السوي الذي لا يدحضه شيء آخر .. كيف لا و هو الذي خلق هذا الكون جميعاً بما فيه و من فيه ؟؟!! و إن الله سبحانه و تعالى لا يقدم لنا سوى الحق و الحجة الحق و المنطق الحق .. المنطق العقلي العقلاني العلمي و يتحدى مخلوقاته جميعاً على دحضة أو الإتيان بمثله ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين } .

و قد ثبت اليوم ذلك كله من خلال العلم الحديث و الاكتشافات العلمية الحديثة في كل مناحي الحياة و مجالاتها .. من فضاء و طب و غيرها .

كما إن العِبرة الحق الأخرى التي أوردها القرآن الكريم و التي أثبتت هي الأخرى مصداقيتها و صحتها ، هي أن الكافر بالله سبحانه و تعالى و المعاند له و لآياته ، لن يقبل أبداً بأية آية أو برهان أو حجة منطقية تأخذه إلى الإيمان بالله سبحانه و تعالى لا بل على العكس سيحاول التملص و التهرب منها قدر الإمكان .. و إن شعر بالحرج المنطقي منها أو أنها ملازمة له لا محالة ، لجأ إلى أسلوب الحرب و الصد

و العداء المباشر و القوة المادية . و قد ذكر القرآن الكريم آيات كُثُر في هذا المجال تُظهِر عداء الكافر و رفضه لأي نقاش منطقي ، منها على سبيل المثال ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و قالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين (*) فأرسلنا عليهم الطوفان و الجراد و القمل و الضفادع و الدم آيات مفصلات فاستكبروا و كانوا قوماً مجرمين } .

لاحظ كيف أنه و بعد كل ما جاء به موسى من آيات و دلائل و براهين ، مادية كانت أم منطقية فإنهم قد رفضوها البتة كلها ، ثم بعد ذلك عاقبهم الله سبحانه و تعالى بعقوبات بيّنة مادية قاسية مريرة واضحة و مع ذلك أصروا و عاندوا و كابروا عليها و رفضوها .

بسم الله الرحمن الرحيم { و سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (*) إنما تنذر من اتبع الذكر و خشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة و أجر كريم } .

تخبر الآيتان هنا أن الكفار لا ينفع معهم منطق و لا كلام أو دلائل عقلانية ، فهم مصرون سلفاً على الرفض المطلق لكل ما يوافق كفرهم أو شركهم أو عدائهم لله سبحانه و تعالى .. و تخبر الآيتان أن النفع و الكلام المنطقي يكون فقط و حصراً مع من اعتقد بوجود الله سبحانه و تعالى حتى و لم يره عياناً ، و اعتقد بصحة و منطق و صواب شرائعه و تعاليمه و دلائله المنطقية .

بسم الله الرحمن الرحيم { قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين (*) إن هذا إلا خلق الأولين (*) و ما نحن بمعذبين (*) فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآيةً و ما كان أكثرهم مؤمنين } ..

هو رد الكافر الملحد الظهير على الرحمن ربه العَصيّ المعاند له .

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين } .

إن إلقاء نظرة على ما سبق من آيات آنفة الذكر ، يتضح لنا أنها تحمل أيضاً هي الأخرى ، دلائلها المنطقية و صحتها الواقعية .. فلوا تدبرنا النظر فيها لوجدناها مطابقة للواقع الحالي الذي نعيشه .. ذلك من خلال ما نراه اليوم من كيفية تعامل و تصرفات من يسمون أنفسهم ملاحدة و هم ليسوا ملاحدة افتراضيين بل كفرة أعداء لله سبحانه و تعالى ، لا هَمّ لهم و لا عمل و لا دأب إلا التهجم على الله سبحانه و تعالى و على الإسلام و على القرآن الكريم . و مهما تتم المحاولات المنطقية و العلمية .. نكرر .. و العلمية .. لأن البراهين و الدلائل العلمية اليوم قد صارت تؤيد القرآن الكريم و تتوافق معه ، فإنهم لا يرضون و لا يقبلون بل يلجأون إلى التضليل و الافتراء و الكذب العامد المتعمَد على الله سبحانه و تعالى و الإسلام و القرآن الكريم من دون أي برهان أو دليل قطعي ، مادياً كان أم علمياً .

لقد حملت مقدمة القضية المنطقية الثانية المتمثلة بجدلية وجود إله خالق للكون أو عدم وجوده ، نتيجتها المنطقية المتمثلة بأن وجود الله سبحانه و تعالى و خلقه لهذا الكون ، هو الأحوط منطقياً ، قبل أن يكون ثابتاً منطقياً جدلياً لا شك فيه عقلياً و علمياً .. ذلك بأن منطق الطرح قد فرض نفسه قبل كل تلكم الاكتشافات العلمية الحديثة الآن و التي حسمت الجدل في حقيقة وجود إله خالق لهذا الكون ناظم له و لمخلوقاته أجمع ، من حيث أن الإنسان قديماً لم يكن متوافراً له كل تلك الإمكانيات العلمية في مجال الطب و علم الخلية و علم الفضاء و الفلك و الفيزياء و غيرها ، التي تخوله التأكد من وجود إله خالق ناظم لا شك في وجوده و لا فوضى و صدفة

في ذلك . لكن كان المنطق العقلي القرآني يقول له إنه من الأفضل لك و الأسلم أن تكون مؤمناً بوجود إله خالق للكون و مخلوقاته و موجوداته متقيداً بشرائعه ، حتى و إن لم يكن موجوداً فإنه لا مشكلة لديك في ذلك ، بل المشكلة الحقيقية تتمثل في احتمال وجود إله لهذا الكون يتوعدك بعقابه حال عدم الإيمان به ، و يعِدك جنته حال الإيمان به و التقيد بشرائعه . و هذه المسَلّمة المنطقية لا تستوجب اكتشافات علمية متقدمة في خلايا الإنسان أو الفلك و الفضاء و المجرات و النجوم أو الفيزياء و الرياضيات و غير ذلك ، لإثبات أنه من المنطق و العقل السليم الذي لا ضير فيهما ، الإيمان بوجود الله سبحانه و تعالى .

القضية الثالثة .. فليأتوا بحديث مثله .

هي آية قرآنية كريمة جاءت في القرآن الكريم ، كما السياق التالي ..

بسم الله الرحمن الرحيم { أم يقولون تَقَوَّله بل لا يؤمنون (*) فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين } .

تتضمن هاتان الآيتان القرآنيتان قضية منطقية على غاية من الأهمية ألا و هي الإتيان بكتاب أو مصدر يشابه القرآن الكريم أو يضاهيه في مجمل تفاصيله و مضامينه . و هذا الطلب أو السؤال ، وَجّهته هاتان الآيتان لأشخاص لا يؤمنون بالقرآن الكريم أصلاً ، و يتهمون الرسول الكريم محمد بأنه افتراه من عنده ، و بأنه غير منَزَّل من عند الله سبحانه و تعالى .

إن من إحدى مسائل المنطق و الكِباش الفكري ، هو طلب البديل الأصيل أو الشرعي أو المماثل لما يتم الطعن فيه أو نقضه أو الادعاء بعدم أصالته .. و هذا أمر مشابه للقول المنطقي الشعبي المأثور المعروف .. اليمين على من أنكر ، و البينة على من ادعى .

إن المنطق العقلاني العلمي يقول .. على من يدّعي بطلان صحة شيء من نظرية أو برهان أو قول أو ادّعاء ، يُفترض أن يكون لديه البديل الصحيح الموافق لمنطقية ما يدّعي بطلانه ، و المجانِس لها من حيث الأسلوب و التفصيل و المضمون .. فلا يصح دحض منطق و فكرة شيء ، من خلال منطق و فكر مغاير لهما من حيث

التجانس و التوافق و المنشأ ، و لا يكون ذلك إلا بمنطق و فكرة مشابهين لها من حيث البناء و الجنس و المضمون .. و لعل محاولة فرعون التملص من دعوة موسى الحق إلى عبادة الله الواحد الأحد و إتيانه بآية العصا التي تحولت إلى ثعبان مبين ، و دعوته موسى للمبارزة بنفس الأسلوب و المنطق ذاته ، هي خير مثال على ذلك ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى (*) فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا و بينك موعداً لا نخلفه نحن و لا أنت مكاناً سوًى } .

إن عبارات في الآية السابقة من مثل (فلنأتينك بسحر مثله) .. (مكاناً سوًى) نعطي الإشارة الواضحة على قصدنا من فكرة و مفهوم تشابه المنطق في الرد و الحجة . من حيث أن فرعون لم يكن له خياراً منطقياً آخراً لصد فكرة موسى و برهانه المادي المبصر الملموس إلا بالادعاء إنه يملك برهاناً مادياً مضاداً لبرهان موسى و من نفس مبدأه المادي . و كل ادعاء له غير ذلك هو ساقط حكماً و سوف يؤدي إلى نتيجة عكسيه بالنسبة لآل فرعون و قومه ، فكان مضطراً اضطراراً لقوله عبارة (فلنأتينك بسحر مثله) .

كما إن المنطق العقلاني العلمي يقول إنه على من يدرك خطأ قضية أو مسألة ما ، أياً كانت هذه القضية .. مادية أم نظرية ، يتوجب عليه معرفة صوابها و حلها .. ذلك أنه و حسب المنطق الجدلي فإن الشيء بالشيء مثله يُقرَن .. فلا إدراك لخطأ إلا بمعرفة صوابه .. و لا إدراك للون أسود مثلاً إلا بمعرفة اللون الأبيض ، و لا لقصيرٍ إلا بمعرفة الطويل .. و هكذا .

من هنا و من خلال المنطق التجريدي البحت الذي لا يختلف عليه اثنان ، جاء القرآن الكريم بهذه القضية المنطقية المتمثلة بالآيتين القرآنيتين ذواتا القضية الثالثة ..

بسم الله الرحمن الرحيم { أم يقولون تَقَوَّله بل لا يؤمنون (*) فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين } .

و لا بد من الإيضاح هنا أن مثل هكذا طرح منطقي ، قد جاء في القرآن الكريم ، للكافر البتة كما هو مثال الآيتين السابقتين .. و جاء في مواضع أخرى منه للمشرك المعاند للتوحيد الإسلامي أو المؤمن من أهل الكتاب ، غير المعترف بالقرآن الكريم و الإسلام ، كما هو مثال الآية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين } .

إذاً فالقضية المنطقية موضوع البحث هنا ، هي مطروحة كإشكالية و قضية منطقية ، بشقيها السابقين ، لفئتين من الناس .. فئة كافر البتة المعاند ، و فئة المشرك من أهل الكتاب الرافض .

بالعودة إلى الآيات موضوع الذكر ، نرى أن الكفرة المعاندون للإقرار بوجود الله سبحانه و تعالى ، قد تَهَرّبوا من القرآن الكريم و من كل قضاياه المنطقية المادية و النظرية منها .. ذلك على اعتبار أن القرآن الكريم قد تضمّن آيات منطقية مادية لا إمكانية و لا مجال لدحضها أو نفيها ، تدل على وجود إله واحد خالق للكون و ما فيه و من فيه .. كهذا الانتظام الدقيق للأجرام و الكواكب و تعاقب الليل و النهار و الفصول و غيرها من آيات كُثُر لا مجال لتعدادها و البحث فيها في هذا الكتاب ، فهي ليس موضوعه .

و هؤلاء الكفرة المعاندون للاعتراف بوجود الله سبحانه و تعالى ، قد لجأوا إلى نفس أسلوب فرعون في الرفض ، من حيث أنهم لم يرفضوا البتة و ينكرون القَطْعَ ، لكنهم

لجأوا إلى أسلوب التبرير الزائف للمنطق غير المؤيد بحجة ، فقالوا إن هذا القرآن هو من أقوال الرسول الكريم محمد و هو ليس بكلام الله سبحانه و تعالى . و أن محمد قد ألفه و استوحاه من عنده .. لكن القرآن الكريم رد عليهم بأنهم كاذبون و أنهم يختلقون المنطق الزائف لأنهم لا يؤمنون من الأساس بوجود الله سبحانه و تعالى و ما هم إلا باحثون عن مبرر زائف عقيم يقدمونه لأتباعهم كي لا يؤمنوا بدعوة الرسول الكريم محمد ، إلى الإسلام و القرآن الكريم .. و تبعاً لذلك فقد رد عليهم القرآن الكريم بقضية مماثلة لما احتجوا به ، من حيث المضمون ، فطلب منهم أن يأتوا بكتاب مثل القرآن الكريم و فيه من القضايا المنطقية و الدلائل و البراهين من مثل ما في القرآن الكريم . و ذلك بما أنهم ادّعوا أن الرسول محمد و الذي هو بشر مثلهم ، قد جاء بالقرآن الكريم ، فإنهم و بناء على نفس منطلق دعواهم هذه ، يمكن لهم و هم مجموع و ليسوا فرداً ، أن يأتوا بكتاب من مثال القرآن الكريم .. فإن كانوا صادقين في دعواهم تلك فليجتمعوا كلهم بعضهم لبعض ظهير و معين و يأتوا بكتاب من مثل ما أتى به الرسول محمد ، و فيه من الدلائل المنطقية و الإعجازية و الإخبارية و غيرها ، من مثل ما في القرآن الكريم .

إن من أحد أهم أساليب و وجوه القضايا المنطقية في القرآن الكريم ، هو أن القرآن الكريم يرد على الحجة من نفس مثالها و يترك للشخص حرية الخيار و الاختيار و التصرف و كيفية ذلك كله ، لكن يُلزمه حجة المنطق و يمنعه تجاوزها أو الخروج منها و إلا فهو كاذب مفترٍ .

كذلك فإن القرآن الكريم قد يُسَهِّل على مدّعي المنطق الزائف الذي يحاول الهروب من القضايا المنطقية القرآنية بتقديم حجج و مبررات زائفة ، يُسَهِّل أحياناً الشروط و يوسع له في حرية الحركة لكن مع التشدد في التزام حجة المنطق . و من مثال ذلك

هو أن القرآن الكريم قد خفّف الشروط على هؤلاء الذين طالبهم بتقديم كتاب مشابه للقرآن الكريم ، فطالبهم بتقديم مقدار أقل بكثير من حجم كتاب كامل و إنما فقط بعدد معين من الآيات ..

بسم الله الرحمن الرحيم { أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات و ادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين (*) فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله و أن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون } .

في الآيتان آنفتا الذكر ، نجد أن القرآن الكريم قد أعطى شروط مخففة بشكل كبير ، لمن يعاند و ينكر أصالته و صحته ، من حيث أنه قد خفف مقدار الكم في الآيات المطلوب تقديمها من هؤلاء الفئة من الناس ، و في الوقت نفسه زاد لهم من حرية الاستعانة بمن يرونه مناسباً لهذه المهمة ، من غير الله سبحانه و تعالى .. أي من الجن و الإنس معاً .

و هنا أيضاً نلاحظ أن القرآن الكريم يطرح مقدمة هذه القضية المنطقية و هو يقدم معها نتيجتها المنطقية بشكل غير مباشر إذ يُلَمّح إلى حتمية وقوعها بأن هؤلاء القوم الكفرة أو المشركون ، لن يستطيعون بالإتيان حتى و لو بعشر سور مشابهة من حيث الفكرة و المضمون و الدلائل و البراهين ، لما هو عليه الحال في القرآن الكريم .

بالعودة حيثيات القضايا المنطقية في القرآن الكريم ، نجد أن متن القضية الثالثة من هذا الكتاب ، يتمثل في رد المنطق بالمنطق نفسه على من يدّعي رفض القرآن الكريم و اعتباره من تأليف الرسول الكريم محمد أو من صنع بشر آخر غيره ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و قال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه و أعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً و زوراً (*) و قالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرةً و أصيلاً } .

فكان رد القرآن الكريم من ذات المنطق ، بأنه إن كنتم تعتقدون أن هذا القرآن الكريم يمكن أن يقوم بكتابته إنسان بشري ، فها أنا أحيلكم إلى منطقكم ذاته و أطلب منكم أن تأتوا بمثل هذا الكتاب أو ما يضاهيه ، و في أحسن الأحوال ائتوا بعشر سور تضاهي السور الموجودة فيه من حيث البناء الفكري و المنطقي و العلمي و البياني و البلاغي . و اعتمِدوا على من شئتم في ذلك ، فهذا مجال مفتوح بالنسبة لكم استخدموه كما تشاؤون .

أما بالنسبة للقضية المنطقية الخاصة بأهل الكتاب الرافضين للقرآن الكريم ، و بالمشركين منهم المتمثلة بالآية القرآنية المذكورة سابقاً ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين } .

فإن القرآن الكريم هنا و في هذه القضية بالذات ، قد تحدى هؤلاء القوم بأن أضاف على نفسه أو على الرسول الكريم محمد شرطاً ثقيلاً تمثل في أنه إن جاء هؤلاء المشركون و الرافضون للقرآن الكريم ، بكتاب مثله فإن الله سبحانه و تعالى سيأمر الرسول محمد باتباع هذا الكتاب و تركْ القرآن الكريم .

ثم إن القرآن الكريم بعد ذلك قد خفف الشروط على هؤلاء القوم إلى أبعد حد و لزم نفسه و الرسول الكريم بذلك حينما طلب منهم الإتيان بسورة واحدة فقط مما هو موجود بين دفتيه ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله و ادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين (*) فإن لم تفعلوا و لن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس و الحجارة أعدت للكافرين } .

هنا تحدى القرآن الكريم أولئك المعاندون بقضيتين منطقيتين اثنتين .. الأولى طلبه المنطقي بالإتيان بسورة واحدة مشابهة لما هو موجود فيه .. و الثانية تحديه لهم أنهم لن يستطيعوا فعل ذلك .

في الواقع ، ما الذي يعنيه ذلك ؟؟!! و لماذا تحدى القرآن الكريم هؤلاء الفئة من الناس بهذه الشروط السهلة جداً جداً لهم ، ثم تحداهم مستفِزاً لهم أنهم لن يستطيعوا ذلك ، و وضع نفسه على محك خَطِرٍ و صعب جداً جداً .. ذلك أن هذا التحدي سوف يستنفِرَهم و يستنفرهم للبحث الجاد للإتيان و لو بسورة واحدة منه مع استدعائهم لكل خلق الله في ذلك ؟؟!! .

الجواب الذي يُكتَب الآن لأول مرة ، هو .. **إن كل آيات القرآن الكريم ، تدعو إلى عبادة الرحمن رب العالمين لا إله إلا هو ، وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء ، خالق الخلق مالك المُلك رب الخلائق أجمعين ، رب السماوات ورب الأرض رب العالمين و له الكبرياء في السماوات و الأرض و هو العزيز الحكيم .. الذي هم له منكِرون** ، و الآيات التالية في القرآن الكريم توضح الأمر برمته ..

بسم الله الرحمن الرحيم { الذي خلق السماوات و الأرض و ما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً (*) و إذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا و ما الرحمن أنسجد لما تأمرنا و زادهم نفوراً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم و إله موسى فنسي (*) أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً و لا يملك لهم ضراً و لا نفعاً (*) و لقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به و إن ربكم الرحمن فاتبعوني و أطيعوا أمري } .

فلذلك و تبعاً لذلك ، فإن هؤلاء لن يستطيعوا أن يأتوا و لو بنصف سورة من مثل القرآن الكريم لا بل و لو بآية كريمة من آياته .

إن اختلاف أسلوب و حيثيات القضية المنطقية هنا ، و زيادة شرط التحدي من قِبَل القرآن الكريم على نفسه و على الرسول الكريم ، قد جاءا لأنه قد صار هنا أمم و أقوام أو طوائف تعرف الله سبحانه و تعالى و لديها كتب منزلة من عنده (توراة .. إنجيل .. زبور .. و غيرها) فقِسم من هؤلاء و ليس الكل ، لن يعترفوا بهذه السهولة بالقرآن الكريم ، فهنالك من أقَرّ منهم بالقرآن الكريم و اعترف به كتاباً سماوياً منزلاً من قِبل الله سبحانه و تعالى ، و آمن به لا بل و خرّ ساجداً لله سبحانه و تعالى عندما سمع آياته الكريمة ..

بسم الله الرحمن الرحيم { أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم و ممن حملنا مع نوح و من ذرية إبراهيم و إسرائيل و ممن هدينا و اجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً و بكياً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { لتجدن أشد الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود و الذين أشركوا و لتجدن أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين و رهباناً و أنهم لا يستكبرون (*) و إذا سمعوا ما أُنزِل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين } .

و هنالك من رفضه و اعتبر أنه غير معنيّ به و أن له كتاباً سماوياً قد نزل عليه من قبل ، من الله سبحانه و تعالى ، و هو الأولى بالنسبة له ، اتباعه .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله و عذاب شديد بما كانوا يمكرون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات و بالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم و إن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون } .

و تبعا لذلك ، فقد كان من اللزام المنطقي أن يقدم القرآن الكريم ، تسهيلات و تنازلات (إن صحت التسمية) لهؤلاء ، كونهم يحتجون بكتبهم السابقة و يعللون أنهم متمسكون بها ، علماً أن القرآن الكريم قد طالبهم منطقياً بإظهار كتبهم التي يدّعون أنهم لها متَّبِعون و يطبقونها . و هذا ما يقودنا إلى القضية المنطقية الرابعة .

القضية المنطقية الرابعة ..
دعوة أهل الكتاب للاحتكام بكتبهم التي يدَّعون .

إن دعوة أهل الكتاب من يهود و نصارى ممن لم يتقبلوا القرآن الكريم ككتاب منزل من الله سبحانه و تعالى ، إلى اعتماد كتبهم الأساس التي أنزلها الله سبحانه و تعالى عليهم ، من توراة و إنجيل و غيرهما .. هي دعوة منطقية قائمة بالاستناد على رفض أهل الكتاب للقرآن الكريم و ادّعائهم تمسكهم بكتبهم المنزلة عليهم من الله سبحانه و تعالى و المتمثلة أساساً بالتوراة و الإنجيل .. إذن هي دعوة منطقية مبنية بالأساس على الادعاء المنطقي للطرف الآخر . و هي في وجه من وجوهها ، استجابة له في دعواه .

لقد جاءت هذه الدعوة المنطقية ، في آيات عدة من القرآن الكريم ، منها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و ليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { ما لكم كيف تحكمون (*) أفلا تذكرون (*) أم لكم سلطان مبين (*) فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين (*) فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون } .

و هذه القضية القرآنية المنطقية ، شأنها شأن بقية ما سبقها من قضايا منطقية قرآنية سابقة الذكر ، تقوم على وضع الطرف الآخر إما في الوضع الذي لا يكون فيه حرج

عليه في الاستجابة لهذه القضية أو المسألة المنطقية ، كما في القضيتين المنطقيتين الأول و الثانية مثلاً . و إما في الوضع ذاته الذي وضع هو نفسه فيه ، فلا يكون منطقياً له إلا الاستجابة و القبول ، كما في القضية المنطقية السابقة مثلاً .

و القضية المنطقية القرآنية هنا تأخذ الجانب الثاني أي أنها استجابة لما وضع فيه بعض أهل الكتاب أنفسهم في دعواهم بتمسكهم بالكتب السماوية المنزلة إليهم . فطالبهم القرآن الكريم بقبول ما قبلوه هم لأنفسهم و الإتيان بالتوراة و الإنجيل أو الزبور و غيره و الحكم بها و الاحتكام إليها في شؤون دنياهم و دينهم من دون حتى أن يأخذوا به هو إن شاءوا ذلك .

في الواقع و من خلال ما سبق ذلك كله في القضايا القرآنية المنطقية سابقة الذكر جميعاً و ربما حتى غيرها من قضايا منطقية مختلفة ، فإن عدم الاستجابة لقضية أو مسألة منطقية مطروحة أو النكوص عنها أو عدم المقدرة على تلبيتها و مقارعتها و دحضها بالحجة و المنطق المشابهين لها ، فإن ذلك يعني أن هذه القضية المنطقية هي سليمة تماماً و صحيحة و أنها هو الأقوى و هي الحق اللازم و الموجب تلبيته و الخضوع له . و أن كل ما يخالفها هو الباطل المحض .. لا جدال في ذلك حتى عند أهل المنطق و الكلام .

إن الذي ثبت تاريخياً و من خلال الأحداث و الوقائع التاريخية أن الكتب السماوية السابقة للقرآن الكريم و التي تحدث عنها القرآن الكريم كالتوراة و الإنجيل ، لم تظهر حتى الآن . و لا أدَلَّ على ذلك من أن الكتب الموجودة حالياً و المنسوبة لأهل الكتاب ، هي موضع نقد و شبهة حتى لمن ينتسبون لأهل الكتاب أنفسهم من مفكرين و مؤرخين ، و هي موضع اختلاف كبير حتى فيما بين طوائفهم نفسها كالبروتستانت مثلاً الذين لا يعترفون بقسم من أسفار و أنجيل ما يُسمى (الكتاب

المقدس) أو (العهد القديم و الجديد) كذلك الاختلاف فيما بين الكاثوليك و الأرثوذوكس .. و هذا الأمر ينسحب بدوره على الطوائف و الفرق اليهودية التي يوجد فيما بينها تفاوت و اختلاف في وجهات النظر بالنسبة لما يُسمى (العهد القديم) و أسفاره المختلفة .

إذن .. و من خلال ما ذُكِر آنفاً من قضية منطقية و حيثياتها ، هو صحيح تماماً و كل ما عداه باطل .

القضية المنطقية الخامسة ..

أم خُلِقوا من غير شيء أم هم الخالقون .

تتمثل هذه القضية المنطقية بأول الآيتين القرآنيين التاليتين ..

بسم الله الرحمن الرحيم { أم خُلِقوا من غير شيء أم هم الخالقون (*) أم خَلَقوا السماوات و الأرض بل لا يوقنون } .

و في الواقع هنالك آية مماثلة للآيتين السابقتين ، تقول ..

بسم الله الرحمن الرحيم { نحن خلقناكم فلولا تصدقون } .

و هي قضية منطقية موجهة للكافر أساساً ، كافر البتة الذي ينكر وجود الله سبحانه و تعالى ، تماماً و يعتبر أن وجود الكون هو مجرد وليد مصادفة غير خاضعة لأية قوانين أو مشيئة إلهية ربانية .. فمثل هكذا قضايا و مسائل منطقية لا توجه إلى المشركين بالله سبحانه و تعالى ، و لا إلى أهل الكتاب بل و لا حتى إلى أتباع الأديان الوثنية الذين يشيرون بالخلق و الوجود إلى غير الله سبحانه و تعالى . فهؤلاء يعتقدون بالخلق لكنهم لا يشيرون بذلك إلى الله سبحانه و تعالى ، بل إلى ما يعتقدونه من رموز وضعية مادية أو غير مادية ، فضلاً عن أنهم ليسوا موحدين حتى ضمن بيئتهم الوثنية ، فهم يشيرون بالخلق و الوجود إلى أكثر من رمز مادي أو وثني عندهم .

إن عملية الخلق .. أي وجود إله خالق لهذا الكون و ما فيه و من فيه .. هي بالنسبة للكافر عملية مرفوضة تماماً لا يمكن أن يتقبّلها ، ذلك لأنه لا يقبل إلا

بالماديات المباشرة التي يراها أمامه . و بعد تطور العلم الحديث صار لديه اعتقاد أو طرح يتبناه ، يقول بأن ما ظهر من مخلوقات و كائنات حية في الأرض ، هو نتيجة لتمازج بعض العناصر الطبيعية مع بعضها و من ثم خضوعها لعمليات فيزيائية و كيميائية طبيعية ، نتيجة المصادفة البحتة فأنتجَت حياة بسيطة جداً ثم تطورت هذه الحياة و أعطت أو أظهرت ما عليه الأرض الآن من كائنات حية بمختلف أنواعها و منها البشر .

هنالك أيضاً مُعطى يحمل شبهة المنطق يطرحه هؤلاء الآن و هو أنه بعد تطور العلم الحديث صار بإمكان الإنسان أن يخلق هو أيضاً و يمزج بعض الخلايا مع بعضها أو ما شابه .. أو يمزج بعض الأحماض المعينة و يُخضِعها لظروف و شروط معينة فتنتج بعض الخلايا الحية أو شيء من كائنات حية .

طبعاً ليس هنالك من داعٍ لإطالة الشرح و الإسهاب في تفنيد تلكم الفرضيات الباطلة الزائفة الكاذبة عمداً (و هو ما ثبت في بعضها) لأن العلم الحديث الآن قد أثبت بطلان كل ما اعتقده هؤلاء الملاحدة .. بدءاً مما يُسمى بنظرية التطور و انتهاء بما عرف بنشأة الكون لا بل أن العلم و بالذات الحديث منه ، صار الآن يتبنى مقولة وجود إله واحد خالق لهذا لكون و صار الكثير من كبار علماء الملاحدة يعلنون هذه النتيجة العلمية البحتة المجردة و يتبرأون من إلحادهم .. يضاف إلى ذلك أنه و قبل العلم الحديث ، كان المنطق العقلي هو الحاكم و السائد على مجمل المعارف العلمية في الحضارات القديمة و من أهمها الحضارة اليونانية .

لقد أثبت نظام الكون القديم ، من فضاء و كواكب و أجرام و انتظام حركاتها كلها و تعاقب الليل و النار و الفصول الأربع و المناخ و غير ذلك كلها من عوامل جوية و تأثيرات محيطة بالإنسان ككل ، أثبت وجود إله خالق للكون و موجوداته .. لا

مجال للشك في ذلك ، و هو ما اتفق عليه المفكرون الكبار القدماء و نشأت لأجله الأديان القديمة كلها بمختلف أنواعها ، و بنى عليه الإنسان القديم بمجموع طبقاته و فئاته و أعراقه و أجناسه ، عقائده كلها .. و الذي يدعم ذلك كله هو أن مفهوم الإلحاد المطلق كما هو عليه الآن ، لم موجوداً من قبل أو على أحسن وجه ، لم يكن على هذا المقدار من الانتشار و القوة و الزخم بل كان ضئيلاً قليلاً مشرذماً لا يجد ما يتكئ عليه من فكر و دلائل و براهين .

لقد كان هنالك و حسب المفهوم القرآني كفار بالله سبحانه و تعالى كإله واحد .. و كان هنالك كفار بمفهوم و البعث و الحساب .. و كان هنالك كفر بالشرائع و الأحكام القرآنية الربانية . لكن لم يكن هنالك هذا الكفر الشائع المطلق الرافض البتة لكل ما هو غيبي كما هو الآن و لم يكن هذا الإلحاد المنظم الممنهج المموّل و المدعوم بوسائط إعلامية ضخمة عالمية . و هنالك العديد من الآيات القرآنية التي تناولت هذه القضية ، منها على سبيل المثال لا الحصر ..

بسم الله الرحمن الرحيم { أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس و بشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و عجبوا أن جاءهم منذر منهم و قال الكافرون هذا ساحر كذاب (*) أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب (*) و انطلق الملأ منهم أن امشوا و اصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و من يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده و نذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (*) قال قد وقع عليكم من ربكم رجس و غضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم و آباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و كانوا يقولون أئذا متنا و كنا تراباً و عظاماً أئنا لمبعوثون (*) أو آباؤنا الأولون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { ألا لله الدين الخالص و الذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كَفّار } .

إذن .. و من خلال ما تقدم من الآيات نرى أن المفهوم الديني أو الأمر الروحاني الغيبي ، كانا حاضرين في العقل الإنساني ، بشكل من الأشكال .. و مع كل أشكال الكفر التي كانت موجودة ، فإن كُفر البتة لم يكن هو السائد ، أبداً .. لكن و مع ذلك فقد كان هنالك على ما يبدو من ينكر وجود الخلق و الله سبحانه و تعالى و البعث و الحساب ، بالاستناد إلى تضليل رهيب قوي ازداد اليوم شمولاً و قوةً و وتيرةً . أي أن مفهوم الكفر البتة ، لم يكن غائباً تماماً .

من منطلق ذلك كله ، جاءت القضية المنطقية الخامسة التي تسأل هؤلاء جميعاً ، قديمهم و حديثهم .. أقدمهم قرناً و أحدثهم فريقاً الآن ، عن مفهوم الخلق و الوجود و الموجودات بالنسبة إليهم .. لكن هذه المرة اختار القرآن الكريم إن يلج إليهم مباشرة ، ويتخذ المواجهة المباشرة معهم من خلالهم ، هم أنفسهم ، بموجب الآية القرآنية الكريمة موضوع القضية المنطقية الخامسة ..

بسم الله الرحمن الرحيم { أم خُلِقوا من غير شيء أم هم الخالقون } .

إن حيثية المسألة المنطقية في الآية القرآنية آنفة الذكر ، هي .. أنت أيها الذي تنكر الخلق و الخالق الكبير الذي خلق جميع هذا الخلق الذي تراه أمامك و الذي أنت نفسك من ضمن دائرته .. ما هو تفسيرك لوجودك أنت نفسك ؟؟!! كيف تفسر وجودك ؟؟!! ماذا تقول عن وجودك بكل مكوناتك المادية و العقلية و الفكرية و مجموع أعضائك الجسدية مع .. مع .. مع .. مع تعقيد طبيعتها و دقة وظيفتها و تناسق و توافق و انسجام عمل بعضها مع بعض ؟؟؟؟؟!!!!!! إذ أنه لا تعارض في عمل هذه الأعضاء مع كثرتها و دقة عملها و تعقيدها ، بعضها مع بعض ؟؟؟؟؟!!!!!! ماذا أنت قائل في ذلك ؟؟!! هل أنت من خلقت نفسك بنفسك ؟؟!! أم أنك جئت بكل مواصفاتك و مقاييسك و معاييرك السابقة ، من لا شيء ؟؟!! من عدم و فوضى جئت ؟؟!! أم أن هنالك من خَلَقك و سَوّاك و رَكّبك و عَدَلَك و صَوّرك و وضع فيك كل نوابض الحياة و العقل الذي فيك و الإرادة ؟؟!! .

و كما في كل سابقاتها من قضايا منطقية ، فإن هذه القضية القرآنية المنطقية قد ألقت بمسائلها و حيثياتها على الطرف الآخر الرافض و المعاند لوجود الله سبحانه و تعالى و لخلق الكون و موجوداته ، من منطلق دعواه هو و ألقت عليه هذه المسائل المنطقية الثلاث المجتمعة كلها في هذه القضية المنطقية .. هي قضية منطقية تجسّدت في سؤال منطقي بحت ، واجب الإجابة و الرد .

و هذه الآية القرآنية ذات القضية المنطقية ، قد تلتها آية أخرى تحمل ذات القضية المنطقية لكن لجهة السموات و الأرض ..

بسم الله الرحمن الرحيم { أم خَلَقوا السماوات و الأرض بل لا يوقنون } .

هذه الآية هي استكمال منطقي للآية السابقة .. و بالتدقيق في الآيتين معاً نجد أن هنالك حبكة منطقية محكمة فيما بينهما ، و هي أن الإنسان المدّعي للفوضى في خلق الكون أو للعلم في ذلك ، يُفترض أولاً أنه يخلق نفسه بنفسه و من ثم يخلق السماوات و الأرض ، و ذلك حسب المسألة الأولى من المسائل الثلاث السابقة المتعلقة بالآية الأولى .

و الافتراض الثاني الذي يبرز هنا ، هو أن هذا الشخص يُفترَض بدهياً أن تكون لديه الإجابة الكافية الوافية عن كل تلكم الأسئلة الثلاث السابقة المتعلقة بخلقه هو نفسه و من ثم خلق الكون ذاته (أي السماوات و الأرض) طالما أنه ينكر صراحة خلق الله سبحانه و تعالى للكون و ينكر خلق الله سبحانه و تعالى له هو نفسه .

في الواقع أنه لم تتم الإجابة على كل تلكم الأسئلة الثلاث المتعلقة بخَلق الإنسان ، من قِبل أولئك القوم ، لا من قبل و لا من بعد و لا حتى هذه الساعة ، ساعة تَقَدّم العلوم و التكنولوجيا البشرية و وصولها إلى حد كبير جداً . لا بل إن ما حصل هو العكس تماماً من حيث أن العلم الحديث فائق التطور ، اليوم ، قد أكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الكون و ما فيه و من فيه بما فيه الإنسان ، كله مخلوق لا بل كله مصنوع من قبل خالق واحد .. صانع واحد .. دقيق الصنع بديع الخلق .

لقد نفى العلم الحديث اليوم ، بشكل قاطع حاسم ، سؤالين اثنين من الأسئلة الثلاث سابقة الذكر ، حول خلق الإنسان من العدم أو خلقه لنفسه ، المذكورَين في الآية القرآنية التالية ذات القضية المنطقية الخامسة ..

بسم الله الرحمن الرحيم { أم خُلِقوا من غير شيء أم هم الخالقون } .

و المعضلة الأساس بالنسبة لهؤلاء ، هي أن المنطق نفسه قد نَسَف أيضاً من قَبل ، هذين السؤالين من حيث أنه لا يمكن عقلاً و لا منطقاً أن يكون الإنسان قد خُلِق من غير شيء أو من العدم أو بالصدفة العمياء ، و هو يمتلك كل تلك الأعضاء و الأجهزة المعقدة تعقيداً شديداً بالغ الدقة ، ينفي حكماً ، ليس فقط أي صدفة بل أي شبهة لصدفة .. كما أنه من غير المقبول منطقاً أن يكون الإنسان هو خالق نفسه بنفسه ثم يقع فريسة العجز و الحيلة الكاملين ، تجاه مع ما يقع فيه و يحل به من مصائب و إشكاليات مزمنة على مدى عصور بأكملها ، منذ وجوده على هذه الأرض و إلى الآن .. كالأمراض و الشيخوخة و الشيب و الموت و سمات السوء من قبح و تشويه خَلق ، و عجز اتجاه العوامل المحيطة به من طبيعة و غيرها .. و لو كان ذلك كذلك ، لخلق الإنسان نفسه على أكمل وجه يريده و يشتهيه لنفسه .. ليس ذلك فقط بل لكان وجد حلاً للعاهات الجسدية التي تصيبه من تشوّه أو بتر أعضاء ، كذلك الأمر بالنسبة للعاهات العقلية التي توجد في قسم من بني جنسه .. فعجز الإنسان نفسه اتجاه نفسه و اتجاه العوامل المحيطة به ، ينفي عقلاً و منطقاً ، أن يكون هو الخالق لنفسه .

بناء على ما سبق لا يتبقى سوى السؤال المنطقي الذي طرحه القرآن الكريم أيضاً كتساؤل و إجابة في الوقت نفسه ، المتمثلين في الآية القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { نحن خلقناكم فلولا تصدقون } .

هذه الآية هي الجواب الشافي الكافي الوافي لمن سأل و يسأل عن خلق الإنسان ، من خلَقه و كيف خلقه ؟؟!! هي قضية و مسألة منطقية أثبت صحتها اليوم ، العلم الحديث بشكل حاسم قاطع و بما لا يدع مجالاً لشك أو ريب . و هي قضية منطقية أقر بها أرباب علم البيولوجيا و الطب و لم يجدوا عنها مصرَفاً أو مُنصَرَفاً ..

هي إجابة إلهية ربانية من إله رحمن يقول لعباده من البشر : أنا من خلقتكم أيها البشر و نفخت فيكم من روحي لتكونوا كائنات عاقلة مستقيمة تتميز عن سائر المخلوقات ، بعقلها و استقامتها لكي تكون خليفتي في الأرض و منفِذة لأمري و إرادتي و مشيئتي ، في إحيائها و إعمارها بالخير و الصلاح و التقوى وفق أحكامي و شرائعي .. فهل لديكم من الجرأة و المقدرة العقلية و العلمية للاعتراف بذلك و الإقرار به ؟؟ .

إن كل من المنطق العقلي و العلمي يقول : إنه إذا لم يكن الإنسان قد خُلِق من العدم و لم يكن هو الخالق لنفسه ، فلا يتبقى و الحالة هذه إلا أن يكون هنالك كائن أرقى منه و أذكى و أعقل و أقوى ، قام بخلقه و صنعه على الطريقة و الصورة و الهيئة المتطورة عن بقية المخلوقات ، التي هو عليها .

لقد ورد في القرآن الكريم آيات عدة توضح الطريقة و الكيفية و حتى المادة ، التي خُلِق بها و منها ، الإنسان . لا بل و حتى مراحل خلقه ، بدقة متناهية . و هي آيات قد أثبت العلم الحديث الآن ، صحتها . و من هذه الآيات ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين (*) ثم جعلناه نطفةً في قرار مكين (*) ثم خلقنا النطفة علقةً فخلقنا العلقة مضغةً فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين } .

بعد أن ختم القرآن الكريم على القضية المنطقية الخامسة المتعلقة بخلق الإنسان ، أعقبها بقضية مرتبطة بها و لا تقلّ عنها أهمية ، ألا و هي خلق السماوات و الأرض .

بسم الله الرحمن الرحيم { أم خَلقوا السماوات و الأرض بل لا يوقنون } .

إن التساؤل المنطقي القرآني هنا ، يحيل أولئك الرافضون المنكرون للخلق ، و الذين لا جواب حاسم قاطع لديهم ، حول عملية خلقهم ، إلى قضية منطقية أخرى و هي .. إنكم أيها الكافرون المعاندون ، إن كنتم لم تخلقوا أنفسكم و لم تأتوا من عدم ، فهل أنتم من خلق السماوات بما فيها من أجرام و كواكب و سدوم و شموس و نجوم ، و خلقتم الأرض بما فيها من أودية و بحار و جبال و مخلوقات حية و غير حية ؟؟!! هل لديكم إجابة مقنعة حول ذلك ؟؟!! .

لكن القرآن الكريم يسارع إلى إصدار الحكم القطعي ، بنفي ذلك حتماً لأن من لا يستطيع خلق نفسه و لم يُخلَق من العدم .. لن يستطيع بالأحوال كافة ، عقلاً و علماً و منطقاً أن يخلق السماوات و الأرض بما فيها .. ذلك أمر مقطوع فيه منطقاً قبل علماً . و لذلك قال القرآن الكريم عنهم .. بل لا يوقنون .

و قد دلل القرآن الكريم على ذلك بآية قرآنية ربما شرحَت و أوضحت الأمر برمته ..

بسم الله الرحمن الرحيم { لَخَلْقُ السماوات و الأرض أكبر من خلق الناس و لكن أكثر الناس لا يعلمون } .

إن النتيجة الافتراضية المنطقية للقضية القرآنية المنطقية الخامسة ، تستوجب القول إنه من لم يُخلَق من اللا شيء أو العدم ، و لم يكن هو خالق لنفسه و لم يكن هو من خلق السماوات و الأرض و ما فيهم و من فيهن ، فعليه منطقاً و عقلاً و حتى عِلماً ، أن يسلّم بالمنطق الذي يقول إن هنالك من خلَقه و هو خالق و صانع

واحد .. أحد أوحد .. و ذلك بإسقاط خلقه على بقية المخلوقات الحية الأخرى من حيث التشابه في مبدأ الخلايا و الأعضاء و بعض الوظائف ، و من حيث النظام الدقيق الناظم للكون كله بما فيه و من فيه .. لا جدال في ذلك و لا مراء .

و ما يدعم ذلك كله ، هو واقع مادي حي ملموس ، يتجلى في عجز الإنسان ، كباقي المخلوقات الأخرى ، عن أمور كثيرة تخصه هو نفسه .. فمثلاً ، إن عدم مقدرة الإنسان على التحكم بنفسه سواء من خلال الحياة أو الموت أو الشكل أو اللغة أو غير ذلك .. هو دليل قاطع لا شك فيه على أنه لم يأت بمحض صدفة لأن الصدفة لا تضع كل هذه المعايير الصارمة الضابطة المضبوطة .

لقد أوضح القرآن الكريم هذه النقطة بالذات و ذكرها ، موضحاً كيف أن الإنسان هو كائن مخلوق ، و موضحاً كيفية خلقه بآلية أثبتها العلم الحديث اليوم و كانت من الإعجاز العلمي القرآني ..

بسم الله الرحمن الرحيم {فلينظر الإنسان مَمَّ خُلِق (*) خُلِق من ماء دافق (*) يخرج من بين الصلب والترائب } .

و من كان له رأي غير ذلك ، فليتقدم به و من خلال الطرح المنطقي الذي طرحه القرآن الكريم على نفسه قبل غيره ..

بسم الله الرحمن الرحيم { أئله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين } .

هو طرح منطقي سليم يتطلب جواباً و رداً منطقياً مثله ، يحمل كل شروطه و براهينه العقلية و الدلالات المنطقية الموجبة . و إن لم يكن ذلك كذلك فإن النتيجة المنطقية أو العاقبة المنطقية – إن صحت التسمية – هي ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و من يدعُ مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون } .

القضية المنطقية السادسة ..

ماذا خلق الذين من دون الله ؟؟!! .

هو سؤال منطقي معقول لا فكاك منه لمن يقع عليه و لمن يوجَّه إليه . و قد ورد هذا السؤال في القرآن الكريم خلال الآيتين القرآنيتين التاليتين ..

بسم الله الرحمن الرحيم { خَلق السماوات بغير عمد ترونها و ألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم و بث فيها من كل دابة و أنزلنا من السماء ماءً فأنبتنا فيها من كل زوج كريم (*) هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين } .

و أساس و حيثية القضية المنطقية في هذا السؤال يقومان على جدلية لا تستوجب ضمناً وجود الله سبحانه و تعالى ، فهي مسألة منطقية تُوجَّه مباشرة لمن أنكر وجود الله سبحانه و تعالى .. ذلك لأن من أنكر وجود الله سبحانه و تعالى ، فهو بالمنطق العقلي يكون قد أنكر خلق الله سبحانه و تعالى للكون و ما فيه من موجودات .. كما أن النظر بشيء من التدَبر و التدقيق في الآيتين السابقتين ، يُلاحَظ فيهما أنهما موجهتين أساساً لأشخاص أو أقوام قد أنكروا وجود الله سبحانه و تعالى و أنكروا خلقه للكون و ما فيه و من فيه .

إن المنطق العقلي التحليلي يقول .. إذا كان هنالك شيء مادي ذي صورة و شكل ، موجود في الطبيعة و تم إنكار نسبة صَنعته و خلقه أو إيجاده ، لشخص أو جهة ما ، فهذا يعني أمرين اثنين ..

- الأمر الأول .. معرفة الشخص الحقيقي أو الجهة الحقيقية الأساس التي قامت بخلق و صناعة هذا الشيء و إيجاده ، و الإشارة إليهما بالتحديد إما مادة أو قولاً .. و إلا فلا يصح نكران نسبة خلق هذا الشيء لذلك الشخص أو تلك الجهة .
- الأمر الثاني .. إن تم إنكار قدرة جهة ما ، على ما نُسِب إليها من خلق شيء ماديّ موجود ، فعلى الجهة المنكِرة أن تقدم بديل مشابه للشيء المصنوع و مُضاهٍ له من حيث الجودة و التفرّد ، سواء أكانت هي الصانع أم جهة أخرى غيرها و غير التي أنكرتها من قبل .. و إلا فلا يصح نكران ذلك الخلق لتلك الجهة الأساس في خلقه أو نكران تفَرّدها في ذلك .

طبعاً لا يجوز أن يعزب عن البال أن المقصود بالخلق هنا هو الكائنات الحية بالدرجة الأول ، و خلق السماوات و الأجرام الفضائية و مكونات الأرض الأساس من جبال و بحار و ما إلى ذلك ، و هو ما دلّت عليه الآيتان السابقتان موضوع القضية المنطقية السادسة .

أما ما دون ذلك من مخلوقات جامدة من صنع الإنسان ، كالمواد الخشبية و المعدنية و ما ينبثق عنها من صناعة إنسانية ، فهذه ليس بمادة للتحدي القرآني للبشر أو أولئك ممن أنكروا على الله سبحانه و تعالى ، خَلْقَه لهم و لغيرهم من كائنات حية .. ذلك أن القرآن الكريم قد تحدى هؤلاء فيما هم ادّعوه أو هم أنكروه .. علماً و للعلم الذي ربما يغيب عن البعض ، فإنه حتى تلكم الصناعات التي برع فيها الإنسان منذ القدم و إلى اليوم ، و تميز فيها و انفرد ، فإن موادها الخام ليست من خَلْقِه هو و ليست من صنع يده لا بل و ليس له يد في إيجادها من العدم ، و كل ما في الأمر أنه اكتشف وجودها اكتشافاً في الأرض ، و بموجب العقل الذي منحه

الله سبحانه و تعالى ، إياه ، قام بتصنيع المنتجات الثانوية المعقدة من هذه المواد الأساس المكتشَفة . و قد ذكر القرآن الكريم ذلك في آيات عدة ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمةً منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة و لكن أكثرهم لا يعلمون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا و وحينا } .

لقد بيّن القرآن الكريم أنه حتى العلوم و المسببات العقلية التي وضعها الله سبحانه و تعالى في الإنسان و هيّئها له ليقوم بدور الإنسان الحضاري في التصنيع ، فإن الإنسان قد أنكر ذلك على الله سبحانه و تعالى ، و نسب ذلك كله إليه هو .

لكن القرآن الكريم لم يكتف فقط بإيراد تلك القضية المنطقية موضوع هذا البحث ، كمسألة يواجه بها المنكِرين ، لا بل أنه تحداهم و حسم الأمر معهم بأنهم لن يستطيعوا خلق أي شيء و لو كان ذباباً ، و دعاهم لحشد جميع قواهم و قوى غيرهم في ذلك ليثبتوا صدق دعواهم ، من حيث قال ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الناس ضُرِب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له } .

إن ما يوجَب قوله في قضايا المنطق و المناظرات المنطقية العقلية أو أسس الكلام ، هو أنه عندما يعرض عليك طرف ما ، قضية أو مسألة منطقية و يطلب إليك حلها أو الرد عليها بمثلها من جنسها ، و لا يكتفِ فقط بذلك بل يتحداك أنك لن تقدر على حلها لأن لها حل وحيد فقط ، هو كذا و كذا و لا يوجد سوى هذا الحل المنطقي العقلي .. ثم بعد ذلك لا تجد أنت لها حلاً من عندك و لا تقدر على معالجتها بما تراه أنت و تدّعيه .. هنا لا يكون لك مناص إلا بالقبول بما عرضه

عليك الطرف الآخر من حيث أنه لا خيار لديك و لا إجابات و لا حلول في جعبتك تفيدك بما أنت في معضلة فكرية بمواجهته .

بالعودة إلى العلم الحديث في العصر الحديث و التصنيع الحديث ، فإن الإنسان قد خرج بنتائج علمية بحت لا مجال لإنكارها أو التعديل فيها و هي .. إنه لا مجال و لا إمكانية للإنسان أن يقوم بتصنيع مادة حية أو حتى شبه حية ، و لو حتى على مستوى الفايروسات .. هذا ما أكده وأعلن عنه كبار علماء الغرب في البيولوجيا و علوم الأحياء و الكيمياء و ما ينتمي إليها .

إن هذه التصاريح التي أعلن عنها هؤلاء العلماء ، لم تأتي من عبث أو عدم ، بل إنها جاءت كنتيجة لمحاولات الإنسان الفاشلة المتكررة الدائبة التكرار و الفشل الذريع ، و بخاصة في أوج قوته و ذروة علومه في مجالات الحياة كافة . من حيث أنه قد سخّر كل ما لديه من إمكانات ، لخلق و تصنيع و لو مجرد حياة بدائية بسيطة لكائن بسيط جداً ، فما استطاع إلى ذلك سبيلاً و أورث نفسه طريقاً مسدوداً و خيبة أمل كبيرة .

و كما هي العادة في ذلك .. في الرد على القضايا المنطقية في القرآن الكريم ، فإن الطرف الآخر و الذي هو الطرف الكافر بالله سبحانه و تعالى ، يلجأ إلى التدليس و الخداع و الكذب ، فيقوم باختلاق أمور و قضايا علمية وهمية ، إما أن ينسبها إلى العلم بهتاناً و زوراً ، و إما أن يختلق حولها قضية وهمية كاذبة لا تمت إلى الواقع بِصِلة ، و هو ما يؤدي إلى انكشاف أمره عاجلاً أم آجلاً و هو ما يحصل اليوم من انكشاف العديد من القضايا و النظريات التي كانت تُسمى (علمية) ثم اتضح بطلانها و زيفها و اعتذار بعض من قام باختلاقها ، باعتذاره عنها على الملأ .. كنظرية التطور و حقيقة تصنيع كائنات أو خلايا أو فايروسات حية بسيطة أو

عمليات الاستنساخ أو نظريات تشكل الكون بالصدفة أو تلكم الجماجم التي قيل أنه عُثِر عليها و أنها تعود لملايين السنين و تثبت أن أصل الإنسان قرد ثم ثبت بعد كل ذلك كذبها و أنها جماجم تعود لقرود حقيقية عاشت في العصور الحديثة .. و غير ذلك الكثير .

و بالعودة إلى ما صنعه الإنسان البشري المخلوق من قِبل الرحمن رب العالمين .. منذ أن وُجِد على هذه الأرض و إلى يومه هذا و وقته هذا ، نجد أنه لم يخترع شيء على الإطلاق و لا حتى قطمير ، بل كان كل ما فعله أنه و خلال القرنين الأخيرين ، وهبه الله سبحانه و تعالى قدرات عقلية إضافية تمكن بموجبها من اكتشاف صناعات معينة نتيجة خلط و دمج بعض المواد و المكونات الموجودة أصلاً على الأرض و التي لم يكن له من الأساس يد في وجودها ، بل كان بكل بساطة مُتكِلاً عليها لخلق المنتجات التي صنعها و أنتجها الآن . لا بل أن الإنسان و خلال سِنيّ حياته الطويلة على الأرض ، هو مجرد كائن متسَبِب مُعتاش معتمد على موجودات الأرض من جماد و نبات و من كائنات حية غيره ، كبعض الحيوانات التي لولا منها لما وصل إلى ما وصل إليه الآن . و هو أمر أقَرّ به علماء التاريخ و الاجتماع الآن ، و هو ما ذكره القرآن الكريم نفسه في آيات عدة ، منها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فلينظر الإنسان إلى طعامه (*) أنا صببنا الماء صباً (*) ثم شققنا الأرض شقاً (*) فأنبتنا فيها حباً (*) و عنباً و قضباً (*) و زيتوناً و نخلاً (*) و حدائق غلباً (*) و فاكهةً و أبّاً (*) متاعاً لكم و لأنعامكم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد مكناكم في الأرض و جعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون } .

توضح الآيات آنفة الذكر أن الإنسان محتاج لكل شيء و ليس هو مستغنٍ عن شيء خلقه الله سبحانه و تعالى ، حتى طعامه الذي يأكله و الذي هو بحاجة إليه ليبقى على قيد الحياة ، هو من الله سبحانه و تعالى .

إن الدليل القاطع على صحة و صواب ما سبق ، هو تتبع التاريخ البشري منذ ظهور الإنسان العاقل و إلى الآن ، من حيث أننا إذا اعتمدنا التاريخ الوضعي الذي وضعه البشر أنفسهم بناء على المخطوطات و الآثار و المكتشفات ، نرى أن الإنسان العاقل قد لبث آلاف السنين منذ وجوده ، لم يخلق أو يصنع أي شيء و إن كل تلكم الآلاف من السنين التي عاشها ، كانت متشابهة مع بعضها إلى حد ما ، من حيث أن كل صناعات و خَلق خَلَقه الإنسان ، كان بدائياً متخلفاً جداً جداً قياساً إلى القرنين الماضيين الأخيرين من حياة هذا الإنسان و وجوده على هذه الأرض ، و لا يكاد يقارن بهما في أي مجال من المجالات .. لا في مجال العلم و لا في مجال الطب و لا في مجال الصناعة و لا في مجال الزراعة و لا في مجال الحروب و الأسلحة و لا في مجال البناء و العمران و لا في مجال البر و البحر و لا في أي مجال آخر . فلِما بقي هذا الإنسان كل آلاف السنين تلك ، متخلفاً ثم فجأة في آخر قرنين منها انتقل بشكل صادم بشكل كبير لا يكاد يُصَدَّق ، إلى حضارة متقدمة بشكل مخيف مرعب ؟؟!! من حيث لو أننا رجعنا إلى مجرد أبعد من هذين القرنين و حدّثْنا أهل تلك القرون بما هو عليه الآن من حضارة و صناعات و وسائط مختلفة ، لرمونا بالجنون ، هذا إن فهموا علينا و وعوا كلامنا .. فما هو تفسير ذلك كله ؟؟!! .

في الواقع لا يوجد تفسير منطقي لذلك سوى الآية القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { ثم إذا خولناه نعمةً منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة و لكن أكثرهم لا يعلمون } . فصدق الله العلي العظيم .

إن ما سبق يشهد و يدل على صحة وصواب القضية المنطقية القرآنية السادسة و أنه لا خالق حق سوى الرحمن رب العالمين و أن كل ما خلقه الإنسان عبر تاريخ الطويل في هذه الأرض و نَسَبه لنفسه ، كان أساسه و منطلَقه من الله سبحانه و تعالى .

القضية المنطقية السابعة .. النفاذ إلى الفضاء

أورد القرآن الكريم قضية منطقية جاءت على الشكل التالي ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يا معشر الجن و الإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات و الأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان } .

هذه الآية القرآنية طرحت قضية منطقية ربما تبدو ضمن شيء من غرابة .. فكيف يطلب القرآن الكريم من البشر (إن استثنينا الجن) في تلك الفترة أن يصعدوا بسبب ، إلى الفضاء الخارجي المحيط بكوكب الأرض ، و هم ليس لديهم الإمكانيات اللازمة في تلك الفترة التي مضت منذ ألف و أربعمائة سنة تقريباً ، عما عليه الزمن و الوقت الآن ؟؟!! . و أين هو وجه المنطق في ذلك ؟؟!! .

إن الجواب على تلك المسألة ، يتشعب إلى قسمين ..

- الأول .. إن البشر في تلك الفترة الزمنية .. فترة نزول القرآن الكريم ، من الصحة القول أنه لم يكن لديهم الإمكانات اللازمة للصعود إلى الفضاء الخارجي ، لكن كان لديهم الأدوات البصرية اللازمة التي مكنتهم من الاطلاع على الفضاء الخارجي و على الأجرام و الكواكب القريبة و ربما البعيدة نسبياً عن الأرض . و كان لديهم من قوة الرصد بحيث أنه تشكلت لديهم أديان و عقائد تختص بالأجرام و الكواكب السماوية .. و هذه العقائد على ما يبدو سهلت لهم الادعاء بعلاقتهم مع تلكم الأجرام و عروجهم إليها و رفضهم للإسلام و القرآن الكريم ، بموجب هذه العقائد

.. فكان أن طالبهم القرآن الكريم بتنفيذ هذا الادعاء على الملأ و بشكل مادي ملموس بموجب صنائع يصنعونها .. و أخبرهم أنه لا يمكن لهم ذلك إلا بموجب سلطان إلهي رباني من الرحمن رب العالمين .

– الأمر الثاني .. إن هذه القضية المنطقية هي أساساً ليست لبشر فترة نزول القرآن الكريم ، بل هي لما بعد ذلك بطويل من الزمن ، هي لهذه الفترة التي نعيشها اليوم ، ذلك أن القضايا المنطقية ، هي قضايا و أمور تبقى ثابتة ثبات الأرض و السماء ، لا تتغير إلا بتغيرهما .. و بالتالي فإن القرآن الكريم قد أجرى هذه القضايا المنطقية التي طرحها حين نزوله ، على كل البشر في مختلف أزمنتهم التي يعيشونها ، بدءاً من نزوله و ما بعد .. إلى يوم تقوم الساعة . و بالتالي فإن هذه القضية المنطقية هي قضية موجهة أيضاً للبشر الذين يعيشون في فترتنا الحالية .. و هي أيضاً قضية منطقية تتصف بشيء من الإعجاز العلمي و البياني .

و كما جاءت بقية القضايا المنطقية في القرآن الكريم ، كَرَدّ على ادعاء و تقَوّل مَن ينكر القرآن الكريم و ينكر حتى وجود الله سبحانه و تعالى ، و يدّعي لنفسه المعرفة الذاتية و العلم اللدني و المقدرة الخارقة الفائقة الكَمّ .. كذلك جاءت هذه القضية المنطقية العلمية بعض الشيء لتواجه من يدّعي ذلك ، بنفس منطقه و تقَوّله ، و تضعه أمام تساؤل مُحِقّ هو .. بما أنك تدّعي أنك تملك كل تلك الإمكانات و المقدرات في معرفة ملكوت السماوات و الأرض و لديك المقدرة على بلوغ من فيه ، فأرنا ذلك بأم العين ، و إنك لن تستطيع ذلك أبداً إلا فيما بعد و بموجب سلطان العلم التي سيمنحك إياه الرحمن رب العالمين و يخولك استخدامه في التعامل مع مواد الأرض و متاعها من معادن و مواد معينة لم يكن لك يد أبداً في خلقها و إنشائها ،

فتستخلصها و تُجري عليها ما وهبك إياه الرحمن إلهك و ربك و خالقك من علم و معرفة و ربط لتستطيع النفاذ من الأرض إلى خارجها .

لقد أثبتت هذه القضية المنطقية ، منطقها الصحيح السليم ، من حيث أنه لم يتسنى للإنسان الولوج إلى الفضاء الخارجي إلا في القرن العشرين و بالاعتماد على كل العلوم النظرية و التطبيقية التي استخدمها و مكنته من ذلك .. و هو و بالرغم من ذلك كله لم يستطع حتى الآن و حتى هذه اللحظة من الوصول أكثر من خارج الغلاف الجوي المحيط بالأرض أو الفضاء الخارجي اللصيق به .

أيضاً لقد تحدت هذه الآية القرآنية الإنسان أن يلج داخل الأرض و يخترقها ، إن كان صادقاً في كلامه و في دعواه ربما عن وجود آلهة تحت الأرض تحكمها (يبدو أن هذا من أديان بلاد الرافدين الوثنية الوضعية) .

و قد ثبت بالفعل أن الإنسان لم يستطع أن يخرق الأرض ، لا قديماً و لا حديثاً ، و إن كل ما استطاع فعله اليوم بعد كل ذلك التطور العلمي و التكنولوجي الذي وصل إليه بفضل الرحمن إلهه و ربه و خالقه ، هو التوغل في باطن الأرض بضعة كيلومترات لا غير و لم يستطع التوغل أكثر من ذلك لأن الحرارة المتزايدة قد تحرقه و تحرق كل معداته المتطورة .

هذه القضية تشابه في منطقها ، منطق النقاش و الجدال بين النبي إبراهيم و بين الذي حاججه في الله سبحانه و تعالى ، و وجوده و مقدرته .. و هو نقاش أبرزته الآية القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي و يميت قال أنا أحيي و أميت قال إبراهيم فإن الله يأتي

بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر و الله لا يهدي القوم الظالمين } .

دائما القرآن الكريم يُحاجّ المعارضين له المعترضين عليه ، بنفس أسلوبهم و منطقهم في الصد عنه و المنع . و تكون النتيجة منهم في النهاية أن لا جواب .. فهذا الذي حاجَّ إبراهيم في أن لديه المقدرة على الإماتة و الإحياء ، كان من الطبعي البدهي أن يأتيه القرآن الكريم بنفس الحجة و المنطق الذَيّن يدّعيهما .. إنها قضية منطقية مشابهة لقضية النفاذ من أقطار السماوات و الأرض .

لكن و كما جرت العادة و كما ذكرنا في بداية الكتاب ، فإن الكافر المعاند لآيات الرحمن إلهه و ربه و خالقه بل و حتى مُعَلِّمه ، لن يقبل بهزيمته و سيلجأ إلى الكذب و التدليس و الاحتيال . ذلك على مبدأ الآيات القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و قالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و قال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن و لا بالذي بين يديه } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين (*) إن هذا إلا خلق الأولين (*) و ما نحن بمعذَبين } .

القضية المنطقية الثامنة .. هل من محيص ؟؟!! .

لقد تحدثت القضية المنطقية السابقة ، عن تحدِ القرآن الكريم لمعارضيه و منكريه أن يخترقوا أقطار السماوات و الأرض ، و قد أخبرهم أنهم لن يستطيعوا إلا بإذن الله سبحانه و تعالى .. أما هذه القضية المنطقية التي طرحها القرآن الكريم ، فقد تحدت بني البشر أن يبحثوا في الأرض و موجوداتها و متاعها و يفتشوا فيها و يُمَحِّصوا ، هل يستطيعون الفكاك من قدرة الله سبحانه و تعالى و قوانينه الحق التي وضعها و شرّعها لهم و أمرهم باتّباعها و التقيّد بها . و مصداق هذه القضية المنطقية ، هو الآية القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و كم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً فنَقّبوا في البلاد هل من محيص } .

تتحدث الآية القرآنية عن أن الله سبحانه و تعالى قد أهلك أقوام و أمم سابقة للأقوام التي أنكرت القرآن الكريم و دعوة الرسول الكريم محمد للإسلام ، لكنها تخاطِب أقواماً كانوا معاصرين للرسول الكريم أو الفترة التي عاشها .. و هم كانوا بوجه أو بآخر مشابهين للأقوام الذين سبقوهم لكنهم كانوا أضعف منهم قوة و شأناً و تأثيراً في الأرض ، بحسب المنظور القرآني .. ربما لأن القدماء كانوا ملوكاً و يمتلكون جيوشاً و ممالك قوية أو إمبراطوريات كبيرة و ما إلى ذلك . و تخبر الآية القرآنية أن الله سبحانه و تعالى قد أهلك هؤلاء الأقوام و دمرهم و لم يُبقِ لهم باقية و أنهم بحثوا عن ملاذ أو مهرب من الله سبحانه و تعالى أو مكان يحميهم منه و يقِهم عذابه ، فلم يجدوا .

إذا عدنا إلى القرآن الكريم و تدبرنا آياته ، لوجدنا أن أكثر ما عاقب به الله سبحانه و تعالى ، مَن كَفَرَ به و ظَلَم و أفسد و عصى و نشر الفواحش .. هو الأعاصير و البراكين أو الحمم الملتهبة و الزلازل و الفيضانات و النيران و غير ذلك .

لقد خاطبَت تلك الآية القرآنية البشر بمنطق هو منطق مادي أكثر منه نظري أو اعتباري عقلي . و أخبرتهم إنه إن كانت لديكم تلك المقدرة على تحدي الله سبحانه و تعالى أو نكران وجوده و الكفر به ، فها هي الأرض أمامكم ، ابحثوا فيها و فتشوا بتمحيص ، هل تجدون ما يمكنكم فيه من الاختباء من غضب الله سبحانه و تعالى و بطشه ؟؟!! و إن كنتم لا تؤمنون أن ذلك العقاب و العوامل الطبيعية المُهلِكة هي من الله سبحانه و تعالى ، فهل تستطيعون بعلمكم و قدرتكم و أو آلهتكم التي تعبدون من دون الرحمن رب العالمين أو من تشركون به أحداً أو شيئاً ، هل تستطيعون بذلك كله أن تنجوا أو تحتموا أو تخرجوا من هذه المصائب الكبيرة الكارثية التي تحيط بكم ؟؟!! و هل تستطيعون التعامل معها أو إيقافها أو الحد منها ؟؟!! هل لديكم من العلم أو المقدرة ، على التعاطي مع ذلك ؟؟!! .

و كما انسحبت القضية المنطقية السابقة ، من العصور القديمة إلى العصور الوسطى ثم الحديثة منها و الحالية و أهلها و أشخاصها .. كذلك فعلت القضية المنطقية موضوع البحث هذا و أسقطت طرحها و مسألتها المنطقيين على البشر في عصرنا هذا مع كل تقدمهم و تطورهم و ما وصلوا إليه من علوم حديثة و تكنولوجيا متطورة ، و ساءلتهم كما ساءلت من هم أقدم منهم ، طالبة إليهم التنقيب و البحث و التفتيش بتمحيص و تدقيق شديدين مع كل ما يمتلكونه من إمكانات و تطور علمي تكنولوجي ، و النظر إن كانوا يستطيعون الإفلات و النجاة من عوامل الطبيعة الكارثية التي هي نفسها كانت تصيب من سبقهم من أقوام و أمم كانوا لا

يمتلكون عُشر معشار عُشَير ما يمتلكونه هم الآن من تقنيات و تكنولوجية علمية متطورة .

إن الثابت التاريخي الآن ، هو أنه حتى هذه اللحظة من التاريخ البشري ، لم يثبت تخلص البشرية من الكوارث البيئية المدمِرة ، كالبراكين و الزلازل و الأعاصير ، لا بل حتى هذه اللحظة من التاريخ البشري لم يثبت نجاح البشر حتى في مجرد تفادي هذه الكوارث ، على الأقل ، و بالرغم من كل ما وصلوا إليه من تقدم علمي و معدات تقنية و أجهزة رصد .. جوي و أرضي . ففي أكثر الدول تقدماً و حضارةً و رُقياً كاليابان و أمريكا مثلاً ، تقع مثل هكذا كوارث طبيعية لا تجد هذه الدول منها فكاكاً .. ففي اليابان مثلاً ، تلك الدولة المتقدمة علمياً و صناعياً ، لا تكاد تخلو من الزلازل التي لم يجدوا لها حلاً جذرياً حتى الآن . كذلك الأمر في الولايات المتحدة الأمريكية تلك الدولة العظمى التي تتربع على زعامة العالم سياسياً و اقتصادياً و حتى عسكرياً و في العلم و التكنولوجيا المتطورة و منها الأقمار الصناعية و الأرصاد الجوية .. نراها حتى الآن عاجزة عن التعامل مع الأعاصير المدمِرة التي تجتاحها بشكل سنوي تقريباً و تدمر الأخضر و اليابس و تتسبب في تهجير سكان مدن بأكملها .. و بالرغم من اكتشاف تلك الأعاصير قبل وقوعها بأيام و ربما أسابيع ، فإن الحكومات الأمريكية المتعاقبة ، لا تملك حيال ذلك سوى تحذير السكان و إجلاءهم من مكان مرور الإعصار ، ليأتي الإعصار بعدها و يدمر ويخرب كل ما يأتي عليه في طريقه تاركاً وراءه خسائرَ جسيمة فادحة بعشرات و مئات المليارات من الدولارات بينما الحكومة الأمريكية تقف موقف المتفرج لا حول لها و لا قوة في ذلك .. و هو ربما ما كان مصداقه في القرآن الكريم ، الآية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم (*) ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم } .

تبعاً لذلك و بناء على ما سبق فإن الحيثية المنطقية في هذه القضية ، تتبدّى في أنه إن كان هذا الإنسان المخلوق العاجز الذي ليس له حتى مجرد التحكم في نفسه و لا في مجريات الأحداث الحاصلة حوله ، من طبيعية و غيرها ، فكيف له أن يقرر عدم وجود إله لهذا الكون المنظم المحيط به ؟؟!! و بأي منطق يفعل ذلك و بأي دليل عقلي أو علمي ؟؟!! .

و لنا أن نقول .. إنه في المنطق العلمي أو البياني ، و عندما يعجز المرء عن البت في قضية معينة من حيث حلها أو ثَبْتها أو نفيها ، فإنه لا بد له من الوقوف عند التفسير الافتراضي المنطقي لها القائل بوجوب كذا و كذا .. لا جدال في ذلك و لا مِراء .

من هنا و من هذه الجزئية المنطقية الثابتة .. طرح القرآن الكريم قضيته المنطقية تلك ، وقضيته المنطقية السابقة لها ، و طالَبَ المنكرين له و المعارضين ، بالجواب المنطقي على كل منهما .

القضية المنطقية التاسعة .. لا حجة بيننا و بينكم .

إن من مفترَض المنطق فيما بين الكفر و الإيمان ، أو الكافر بالله سبحانه و تعالى و بين المؤمن به ، إن لا يكون هنالك أي علاقة تعارض أو تضارب مادية فيما بينهما ، بمعنى أن لكل منهما وجهات نظرة التي تختلف مع وجهات نظر الآخر و لا تتقاطع معها أبداً .. لا من حيث المصالح و لا من حيث العمل و الفكر .. و بالتالي فلكل منهما مجاله الخاص به و الحر فيما يعتقد فيه و يعمل بموجبه .. ليس لأحد عليه ، مِن إكراه أو جبر أو غصب طالما هو ضمن نطاق مجاله الخاص به لا يتعداه لغيره .

هذه القضية المنطقية تعبر عنها الآية القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فلذلك فادع و استقم كما أُمرت و لا تتبع أهواءهم و قل آمنت بما أنزل الله من كتاب و أُمرت لأعدل بينكم الله ربنا و ربكم لنا أعمالنا و لكم أعمالكم لا حجة بيننا و بينكم الله يجمع بيننا و إليه المصير } .

على أنه خير ما يُعَبِّر عن ذلك أيضاً ، هو سورة الكافرون التي تقول ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قل يا أيها الكافرون (*) لا أعبد ما تعبدون (*) و لا أنتم عابدون ما أعبد (*) و لا أنا عابد ما عبدتم (*) و لا أنتم عابدون ما أعبد (*) لكم دينكم و لي دين } .

لقد حافظ القرآن الكريم على هذه المعادلة و اعتبرها حق من حقوق الإنسان في اختياره ما يريد من عقائد و يدين به مِن دين ، و قد ذكر ذلك في آيات كثيرة ، منها على سبيل المثال لا الحصر ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر ... } .

بسم الله الرحمن الرحيم { لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ... } .

بسم الله الرحمن الرحيم { أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين و لم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم و تقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين } .

لقد أوضحت الآيات القرآنية آنفة الذكر ، طبيعة العلاقة بين المؤمن و الكافر ، بكل صراحة و وضوح ، و كذلك حرية الإيمان من عدمه بالنسبة للإنسان ، فإن أراد الإيمان بالله سبحانه و تعالى فهو حر ، و من أراد الكفر به فهو حر أيضاً .. لا بل إن القرآن الكريم قد شدد على حرية الإيمان و الكفر بالنسبة للإنسان و ذلك من خلال (فاء السببية و التأكيد و التشديد) و ذلك من عبارات الآية القرآنية السابقة (فليؤمن .. فليكفر) .

كما أن القرآن الكريم قد بيّن و أوضح طبيعة العلاقة بين المؤمن و الكافر من حيث أن لا سلطان للمؤمن على الكافر ، طالما أن الكافر لا يعادي المؤمن أو يظاهر عليه ، لا بل أن القرآن الكريم أوضح أن ليس هناك من مانع على المؤمن أن يكون ذا معاملة حسنة مع الكافر ضمن الشروط التي ذكرها .

إن القضية المنطقية القرآنية في هذا المبحث و كما نفس القضايا المنطقية السابقة ، تتمحور و كما يقول المثل ، حولَ جَعْلُ الكرةَ في ملعب الكافر و جَعْلُ المبادرة بيده هو و من منطلق كلامه و دعواه هو .. فطالما أن الكافر ينكر وجود الله سبحانه و تعالى و ينكر الدين و خَلْقْ الكون و مخلوقاته ، فهو منطقياً لا يحق له الإنكار على من يعتقد بوجود الله سبحانه و تعالى و خلقه للكون و مخلوقاته .. ذلك لأن المنطق العام يقول .. مِن اعتقد بوجوب عدم وجود شيء ، ليس له على من يقول بوجوده ، مِن شيء ، طالما أن هذا الشيء غير موجود .. و هنا تقع التبَعَة على من قال بوجوده و تخصه هو نفسه فقط .. لأنه ليس من الإشكال القول بوجود شيء غير موجود أو خيالي .. تماماً كما هو حال قصص الأطفال الشعبية التي تُروى لهم و تتضمن شخصيات خيالية .. كالمصباح السحري مثلاً أو الحيوانات و البهائم الناطقة العاقلة أو الجمادات الناطقة مثلاً ، فهذا أمر غير منطقي و لا يستقيم عقلاً و لا منطقاً لأنه من الأساس لا وجود له .. لكنه في النهاية ، لا ضير من التكلم عنه و كأنه موجود لأنه لا إشكالية مادية في ذلك أبداً أو تبعات عقلية تترتب على ذلك .. فالطفل لن يلبث إلا أن يكبر و يعرف في النهاية أن هذه المخلوقات الخيالية غير موجودة و هي محض خيال و سيتقبلها على هذا الأساس .

و إنه من الجدير ذكره أن قصص الأطفال الخيالية ، ليس هي فقط ما يتم تسويقه الآن لدى الأطفال ، بل إن هنالك الآن الكثير من أفلام الخيال العلمي و التي هي للكبار ، و يتم تداولها و تسويقها إعلامياً ، و جميع من يشاهدها و من يمثل فيها و من يخرجها و من ينتجها ، يعلم أنها خيال بخيال ، و مع ذلك لم تظهر و لا إشكالية حولها أو استنكار لها .. فلماذا يتم ذلك فقط مع الرحمن رب العالمين الذي جميع آيات و براهين و دلائل وجوده ، حاضرة مبصِرة مبَصِّرة موجودة ؟؟؟!!! .

بالعودة إلى منطق ما ذُكِر آنفاً ، فقد ألزم القرآن الكريم الحجة على هؤلاء الذين ينكرون وجود الله سبحانه و تعالى بأنه لا حجة لكم و لا بأس لكم على الذين يؤمنون بوجود الله رب العالمين .

و هنا لا بأس من أن أورد مما شاهدته بنفسي و لمسته حينما كنت في روسيا و تحديداً في موسكو ، إذ أنه و بعد تفكك و زوال الاتحاد السوفييتي ، اندثرت الشيوعية فيه و تضاءلت إلى حد كبير ، لكن المفهوم الإلحادي لم يتعرض للزوال كما الشيوعية بل بقي مستمراً نوعاً ما بالرغم من بدء عودة روسيا تدريجياً إلى الديانة المسيحية كدين رسمي للدولة .. . كنت هناك ألتقي بالكثير من الملاحدة ، كبارهم و صغارهم ، بحكم التواصل في الجامعة أو الشارع و السكن .. و كان هؤلاء من عتاة الملاحدة و منهم أساتذة في الجامعات ، و منهم من كان له مؤلفات في الإلحاد .. و منهم من كان يفاخر بأنه رب الإلحاد و أنه ساهم في نشر الإلحاد ليس في دول و منظومة الاتحاد السوفييتي فحسب بل في العالم أيضاً .

لكن ما عرفته فيما بعد بل و حتى فوجئت به تماماً ، هو أن هؤلاء لم يكونوا يتحدثون عن الدين و لا يتناولونه حتى في سياق الحديث .. ثم فوجئت بعد ذلك أنهم لم يكونوا ينتقدون الدين لا بل كانوا يتحاشون تماماً توجيه أي نقد له . و عندما كنت أحياناً أتكلم و أخوض معهم في أمور و قضايا دينية ، كانوا يتكلمون بشكل عادي طبيعي و لكن كأن الأمر لا يعنيهم ، و يتحاشون تماماً الإساءة للدين أو نقده .. و عندما فاتحتهم في نهاية الأمر و أعربت لهم عن دهشتي من تصرفهم هذا و هل هم ملاحدة حقيقيون .. و سؤالي لهم إن كان ذلك خجلاً مني أو استحياء لكوني مسلم ؟؟!! . فاجأوني أنهم لا يفعلون ذلك خجلاً مني أو ما شابه لكن لأنهم لا يؤمنون بالدين أصلاً و من الأساس .. و أنهم لا ينتقدون شيئاً لا

يؤمنون به و بوجوده ، إطلاقاً .. و لا يتناولونه أبداً ، سواء بالسلب أم بالإيجاب لأنهم إن فعلوا ذلك فإنهم يكونون قد أوجدوا الدين أو أثبتوا وجوده .. و أنهم عادة لا يفعلون ذلك إلا إذا فُرِض عليهم النقاش في الدين أو تعرض أحد المتدينين ، للإلحاد بالنقد و الهجوم ، و هو أمر نادر الحدوث . لكنهم أخبروني أنه في فترة بدايات الاتحاد السوفييتي ، كان هناك عداء للدين من قبل الملاحدة السوفييت القدماء ، ربما بسبب الأمر السياسي أو ما شابه .

و عندما سألتهم عن رأيهم في انتشار الدين المسيحي في روسيا الاتحادية ، أخبروني أن هذا الأمر لا يعنيهم كثيراً .. و علمت منهم أنهم يعتبرون أو يُسمون أنفسهم الملاحدة العلميون أو الأساس .

في الواقع و بناء على ما سبق من قول ، ربما نستطيع فهم و تفسير الآية القرآنية موضوع القضية المنطقية التاسعة ..

بسم الله الرحمن الرحيم { لنا أعمالنا و لكم أعمالكم لا حجة بيننا و بينكم الله يجمع بيننا و إليه المصير } .

إن المنطق القرآني قد يتفق هنا مع هذه الفئة من الملاحدة العلميين أي الذين اتبعوا سبيل العلم المادي البحت المجرد .. لأن المنطقية القرآنية في هذا المبحث ، تقوم على فرض أنه لا يوجد أي قاسم مشترك فيما بين الدين و الإلحاد .. و بمعنى أدق ، بين العقيدة الدينية و العقيدة الإلحادية .. و لا يتضح هذا الأمر أكثر إلا إذا علمنا أن الإلحاد و بمفهوم هؤلاء ، يُعتَبَر عقيدة أيضاً ، تقوم على المادية و الحرية في الفكر و العمل .. و هنا أيضاً قد يتضح لنا مفهوم سورة الكافرون في القرآن الكريم ، بشكل أفضل .

لكن ما الذي و من الذي ينقض هذا المفهوم تماماً و بشكل مباشر ؟؟!! .

إن الذي ينقض هذا المفهوم أو المنطق السليم و يبطله تماماً ، هو العداء من دون سبب أو مبرر ، من أحد الأطراف على الآخر سواء بالفعل المادي أم بالنقد و التهجم الكلامي .

و كما ذكرنا ، فقد وضع القرآن الكريم قواعد و أصول في التعامل مع الطرف الكافر غير المؤمن بالله سبحانه و تعالى ، و هي أن لا علاقة للإنسان المؤمن المسلم ، بالكافر و لا سلطان له عليه ، ما دام هذا الكافر لا يعاديه و لا يستعديه و لا يبسط يده إليه بالعدوان و لا يظاهر عليه بالعداوة و الخصومة . و الآيات القرآنية السابقة ، كانت حاسمة واضحة في هذا المجال .

لا بل أنه حتى في حال التعدي من قِبَل الكافر أو المشرك على المؤمن ، فإن القرآن الكريم قد أوجب على المؤمن الاقتصاص من الطرف المتعدي ، بالعدل و المساواة و لا يتجاوز ذلك إلى حد أعلى يكون فيه جور و ظلم على المعتدي ، فيكون المؤمن المسلم هو الظالم و المعتدي .. و قد أورد القرآن الكريم هذا الأمر في آيات كثيرة عدة ، منها على سبيل المثال ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم و اتقوا الله و اعلموا أن الله مع المتقين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم و لا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين } .

لا بل إن القرآن الكريم ، يطلب من المؤمن أن يتسامح أحياناً و في ظروف معينة مع الطرف الآخر ، ربما لا يكون فيها خطر على حياته أو ماله أو عرضه أو شيء من هذا القبيل و كما في الآيات التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به و لئن صبرتم لهو خير للصابرين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما خلقنا السماوات و الأرض و ما بينهما إلا بالحق و إن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل } .

بسم الله الرحمن الرحيم { إن تُبدوا خيراً أو تُخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً } .

أما آيات القتال أو القتل التي أمر بها القرآن الكريم ، فليست فيها آية واحدة تأمر المسلمين بأن يكونوا هم البادئين بالقتال أو القتل أو من دون سبب أو مبرر .. بل كانت كلها من باب الدفاع عن الدين و العقيدة و النفس ، و كلها بسبب أن الكفار أو المشركين كانوا البادئين و المعتدين أو الناقضين للعهود و المواثيق .. و لم يورد القرآن الكريم آية في القتال و القتل إلا و قدّم سبب إيرادها و شرح موجباتها و فسر لها ، و الآيات كثيرة في ذلك ، منها على سبيل المثال لا الحصر ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم و طعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون (*) ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهمّوا بإخراج الرسول و هم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و قاتلوا المشركين كافةً كما يقاتلونكم كافةً و اعلموا أن الله مع المتقين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم و لا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين (*) و اقتلوهم حيث ثقفتموهم و أخرجوهم من حيث أخرجوكم و الفتنة أشد من القتل و لا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين } .

ليس ذلك فقط بل إن القرآن الكريم قد أجرى قتال الظالم و حربه ، حتى على المؤمن المسلم و ذلك إن كان هو المعتدي . و من ذلك ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل و أقسطوا إن الله يحب المقسطين } .

إن جميع ما سبق في هذا المبحث يقود إلى أن الطرف الذي يعتدي و يتحرش و يهاجم الدين و الإيمان و الله ، هو الطرف الكافر الملحد ، و هو من يبادر بالهجوم و الاستفزاز . و هو هنا في هذه الحالة قد تحول من الكفر و الإلحاد الافتراضي أو ما يسمى الآن بـ (الإلحاد السلبي) إلى العداء للدين و لله سبحانه من دون أدنى مبرر أو حتى منطق و وجه حق . و هو ما حصل من قبل و يحصل الآن اليوم ، و هو ما تحدث عنه القرآن الكريم في آيات عدة ، منها على سبيل المثال ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى (*) أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي و عدو له } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه و ذريته أولياء من دوني و هم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { من كان عدواً لله و ملائكته و رسله و جبريل و ميكال فإن الله عدو للكافرين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله و عدوكم و آخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { كيف و إن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً و لا ذمةً يرضونكم بأفواههم و تأبى قلوبهم و أكثرهم فاسقون } .

من خلال ما تكلمنا به عن الملاحدة العلميين الروس أو المكتفين بإلحادهم لا يتجاوزونه لغيره ، تتضح لنا صورة و مفهوم العدو لله سبحانه و تعالى و عدو الدين بشكل عام ، و الإسلام و القرآن الكريم بشكل خاص .. كما يتضح لنا أن مفهوم الإلحاد الطبعي (أنا أسميه الافتراضي فدعونا نسميه كذلك) أي الذي يكتفي بنفسه و حدوده و لا يُعنى بشيء خارج قناعاته تلك ، لا من حيث الإيجاب و لا من حيث السلب ، هو غير مفهوم العداء لله سبحانه و تعالى أو العداء للدين .. و لذلك و طبقاً لما سبق ، نستطيع القول أن الآية المنطقية القرآنية ذات المبحث هنا ،

قد أوضحت و أبانت هذه الإشكالية بشكل كبير جداً .. إشكالية ربما كانت مخفية على الكثيرين ، فيما مضى و إلى الآن .. إشكالية ربما كانت في الماضي تُستخدم بغير ما هي عليه الآن ، فجاءت القضية المنطقية هنا لتكشفها و تظهرها للعلن .

في الماضي كان هنالك ما يسمى بالنفاق الديني المتعارف عليه ، و الذي تمثل بإظهار الدين و التدين و الإيمان و إخفاء الكفر .. و هي حالة ذكرها القرآن الكريم و شدد عليها و على خطورتها على الإنسان و المجتمع . و ذلك في مواضع كثيرة ، حتى أنه أفرد لها سورة خاصة هي .. سورة المنافقون . و من تلكم الآيات ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و من الناس من يقول آمنا بالله و باليوم الآخر و ما هم بمؤمنين (*) يخادعون الله و الذين آمنوا و ما يخدعون إلا أنفسهم و ما يشعرون (*) في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً و لهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (*) و إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون (*) ألا إنهم هم المفسدون و لكن لا يشعرون (*) و إذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء و لكن لا يعلمون (*) و إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا و إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و قالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار و اكفروا آخره لعلهم يرجعون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله و الله يعلم إنك لرسوله و الله يشهد إن المنافقين لكاذبون (*) اتخذوا أيمانهم جنةً فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون } .

إذا النفاق الديني هنا ، هو حالة يُظهِر فيها الشخص للناس أنه مؤمن بالله سبحانه و تعالى و أنه متدين لكنه في قرارة نفسه على عكس ذلك تماماً .. هو كافر ملحد أو مشرك يكره الدين و لا يؤمن بالله سبحاته و تعالى .. و هو هنا ينتحل صفة الدين إما نتيجة للإكراه أو نتيجة لغاية في نفسه هدفها الإساءة للدين و تخريبه أو تعطيله من الداخل .

و حقيقة الأمر ، أن هذه الفئة لا تندرج ضمن جدلية القضية المنطقية التاسعة موضوع البحث هذا ، و لا تخضع لشروطها و حيثياتها .. ذلك لأن هذه الفئة تدّعي أنها متدينة و تؤمن بالله سبحانه و تعالى ، و أنها لا تعادي الدين بل على العكس هي متضامنة معه و مؤيدة له .

لكن هنالك فئة أخرى مشابهة للفئة السابقة و هي فئة ظهرت حديثاً في عصرنا الحالي ، و هي ربما لم تكن معروفة أو حتى موجودة من قبل و لربما انطبقت عليها الآية القرآنية التي تقول ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و ممن حولكم من الأعراب منافقون و من أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يُرَدّون إلى عذاب عظيم } .

هذه الفئة الظاهرة اليوم ، تتمثل في ادّعائها الإلحاد و ليس التدين ، أي هي على النقيض من الفئة المنافقة الأولى التي تدّعي الإيمان و تُبطِن الكفر أو الشرك . هي تدّعي الإلحاد لكنها تُبطن العداء للإسلام و القرآن الكريم حصراً .. و هي ربما (أو على الأرجح) ليست ملحدة بل تتبع لملة دينية أخرى غير ملة الإسلام .

من هنا و من هذا المنطلق ، يتضح للقارئ الكريم لماذا أوردنا مثال الملاحدة الروس في فقرة سابقة من هذا المبحث .. ذلك للتمييز فيما بينهم و بين هذه الفئة الذين هم للدين و لله ، عدو .

تنظر اليوم إلى هؤلاء القوم الذين يدّعون الإلحاد ، و إلى مواقعهم في النت أو التواصل الاجتماعي (فيسبوك .. تويتر .. تيك توك .. الخ) و وسائلهم السمعية و البصرية ، فترى أن لا هَمَّ لهم و لا شغل و لا شاغل سوى التهجم على الدين و على كل ما يمت بِصلة إلى الدين و بخاصة الإسلام و القرآن الكريم و الله سبحانه و تعالى ، دوناً عن بقية الأديان و الكتب الدينية و رموز ((الآلهة)) خاصتها ؟؟؟!!! لا بل تراهم أحياناً يثنون بالمديح أو الإعجاب على تلكم الأديان الوثنية أو الوضعيّة أو غيرها ، و على موادها الفكرية و الأدبية و رموزها الدينية و لا يرون فيها بأساً أو عيباً ؟؟؟!!! علماً أنه من المنطق الافتراضي أن يكون لديهم ما يشغلهم عن الدين و الإسلام بل و حتى بقية الأديان و كل ما هو ديني أو غيبي أو ما يُسمى .. ميتافيزيقي .

هذا الأمر يعود بنا إلى الآية القرآنية التي تختص بالقضية المنطقية ذات المبحث هذا ، و هي ..

بسم الله الرحمن الرحيم { لنا أعمالنا و لكم أعمالكم لا حجة بيننا و بينكم } .

و كما كان التساؤل المنطقي المستوجب الإجابة و الرد ، هو شأن جميع القضايا المنطقية القرآنية السابقة ، كذلك هي القضية المنطقية هذه .. تطرح تساؤلاً منطقياً مستوجب الإجابة و الرد ، و هو .. بما أنك أيها الذي تدّعي الإلحاد و عدم الإيمان بالدين و الله و الروحانيات و الغيبيات ، و تنكر وجودها ، فما شأنك و شأن الله سبحانه و تعالى و الإسلام و القرآن الكريم ؟؟!! لماذا لا دأب لك و لا شغلٌ و لا

شاغل و همّ إلا الله سبحانه و تعالى و الإسلام و القرآن الكريم ؟؟!! . و كيف تجعل شغلك الشاغل في شيء تنكره بالكلّية و المجمل و تدّعي أنك لا تؤمن بوجوده أصلاً ؟؟!! هل لديك إجابة منطقية مقبولة معقولة

هذه الآية القرآنية الكريمة ذات القضية المنطقية ، تفسر لماذا يتم إنفاق مئات المليارات من الدولارات و بناء المؤسسات الضخمة و المنظمات الكبرى و تجييش وسائل الإعلام و التواصل بمختلف أنواعها ، لإثبات أن الله سبحانه و تعالى ، غير موجود .. إنها بشكل غير مباشر ، تقدم التساؤل المنطقي الثاني و المرتبط بالتساؤل المنطقي الأول ، و هو .. طالما أن الله سبحانه و تعالى ، بنظركم غير موجود و أنكم تقولون إنه غير موجود ، فلماذا تتعبون أنفسكم و تنفقون كل هذه الأموال الطائلة و التكاليف الهائلة المهولة و تنشئون كل تلكم المؤسسات و المنظمات الكبيرة لأجل شيء غير موجود من وجهة نظركم و لتقولوا للناس إنه غير موجود ، و هو غير موجود بنظركم و اعتقادكم ؟؟؟!!! أليس هذا هو الجنون بعينه ؟؟!! . هذا أمر شبيه بأن ينفق شخص ما ، كل أمواله و سنيّ عمره و خلايا عقله و رصيد عواطفه ليقول للناس أن قصة ذات الرداء الأحمر (ليلى و الذئب في الأدبيات العربية) هي قصة وهمية و ينشئ لأجل ذلك وسيلة أو قناة إعلامية فضائية و صحيفة مقروءة و مواقع أنترنت و تواصل اجتماعي .. ذلك كله ليثبت للناس أن قصة ذات الرداء الأحمر أو قصة علاء الدين و المصباح السحري ، هما قصتان خياليتان و غير موجودتان في الواقع .

هذا مثال لما تتضمنه القضية المنطقية لهذا المبحث و هو ما تريد أن توصله لنا الآية القرآنية الكريمة القائلة ..

بسم الله الرحمن الرحيم { لنا أعمالنا و لكم أعمالكم لا حجة بيننا و بينكم } .

لكن هذا مثال ناقص من حيث الجزئيات المنطقية أو هو معكوس لنتائجها . فدلائل وجود الله سبحانه و تعالى إلهاً أحداً أوحداً واحداً ، لهذا الكون و ما فيه و من فيه ، هي دلائل علمية عقلية ظاهرة واضحة لا مجال للشك فيها و قد أقَرَت بها كل معطيات العقل و المنطق و حتى العلم التجريدي بمختلف فروعه الطبية و التطبيقية و الفلكية ، و ذلك على خلاف ما هو الحال عليه بالنسبة لقصة ذات الرداء الأحمر التي اتفق كل الناس ، عقلياً و منطقياً على عدم وجودها أو إمكانية تواجدها على أرض الواقع . بينما كل دلائل و منطق الإلحاد في عدم وجود إله لهذا الكون و أنه قد جاء بما فيه من مخلوقات ، حية عاقلة أو جامدة غير عاقلة ، نتيجة الصدفة أو الفوضى ، هي دلائل داحضة لا دليل عليها و لا إثبات ، و لم يستطع هؤلاء حتى الآن إثبات عدم وجود الله سبحانه و تعالى و لن يستطيعوا .. حتى و لو .. حتى و لو .. حتى و لو انتفت دلائل وجوده بما ذكرناه آنفاً ، فهذا لا يعنى أبداً ، عقلياً و منطقياً ، عدم وجود الله سبحانه و تعالى ، فكيف يثبتون ما يدعون ؟؟؟؟!!!!!! و هو ما مصداقه الآية القرآنية الرائعة المنطقية العقلية العلمية القائلة ..

بسم الله الرحمن الرحيم { ... انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفَكون } .

كذلك الآية القرآنية ذات الروعة و البلاغة و البنيان المنطقي القائلة ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و يعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص } .

إن هذه الآية القرآنية آنفة الذكر ، بالذات .. توضح حقيقة كل شيء و تُحَصحِصُ الحق و تطرحه قضية منطقية إعجازية لا راد لها .. أنتم أعداء الرحمن .. أنتم حرب عليه .. أنتم عون عليه .. أنتم عليه ظهير ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و كان الكافر على ربه ظهيراً } .

إنها تقول لهم .. أنتم تعلمون الحقيقة و تعلمون الحق و تعلمون بوجود الرحمن إلهاً أحداً أوحداً واحداً خالقاً لهذا الكون و ما فيه و من فيه .. لكنكم تنكرون ذلك و تتظاهرون بالإلحاد كذباً و زوراً و الإلحاد منكم براء ، و ها هي الأرض أمامكم بمتاعها و مواردها و سبلها و مسالكها ، هل يمكنكم الإتيان بدليل واحد يثبت عدم وجود الرحمن إلهكم و ربكم و خالقكم الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء ؟؟؟!!!! .

القضية المنطقية العاشرة .. تعدد الآلهة منطق مرفوض .

هي قضية منطقية عقلانية طرحها القرآن الكريم و خالف فيها معظم الأديان التي سبقته .. الوثنية منها و غير الوثنية ، إن لم يكن كلها باستثناء اليهودية ، من حيث أن جميع تلك الأديان أكدت على تعدد الآلهة الذي اعتبرته أحد أهم أعمدتها .

و يعود منطلق خلاف القرآن الكريم مع بقية الأديان ، إلى تبنيه فكرة التوحيد الإلهي الرباني و جعلها أحد أهم أعمدته وأسسه لا بل هي الأساس الأول في الإسلام ، و من دونها لا يصح إسلام المرء في شيء و لا يُقبَل منه إسلامه و إيمانه .. و إن أحد أهم شروط الانضمام إلى الإسلام و إعلان اعتناقه ، هو النطق بالشهادتين .. لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله .

لقد وردت آيات كثيرة جداً لا يتسع المجال لسردها ، تذكر التوحيد و تدعو إليه و تشدد عليه .. منها على سبيل المثال لا الحصر ..

بسم الله الرحمن الرحيم { رب المشرق و المغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السماوات و الأرض لا إله إلا هو يحيي و يميت } .

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء و الأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { فلما أتاها نودي يا موسى (*) إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوًى (*) و أنا اخترتك فاستمع لما يوحى (*) إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني و أقم الصلاة لذكري } .

بسم الله الرحمن الرحيم { الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم و إليه ترجعون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه و هو على كل شيء وكيل } .

لقد أنكر القرآن الكريم ، فكرة تعدد الآلهة تماماً و شدد كثيراً على نكرانها و التبرؤ منها و أسماها .. الشرك ، أي الإشراك بالله سبحاته و تعالى من أحد أو شيء .. و جعلها من مراتب الكفر ، فالمشرك في نظر القرآن الكريم ، هو كافر ، بينما الكافر في نظر القرآن الكريم ليس بالضرورة أن يكون مشركاً .. و شدد القرآن الكريم كثيراً على عقوبة الشرك من حيث ذكر أن الله سبحانه و تعالى قد يتغاضى عن أي شيء إلا أن يُشرك به .. و إن الشرك بالنسبة لله سبحانه و تعالى ، هو جريمة لا تُغتفَر .

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء و من يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً } .

و كثيرة هي الآيات القرآنية التي تنهى عن الشرك و تحذر منه و تتوعد صاحبه بالويل و الثبور و عظائم الأمور ، منها مثالاً لا حصراً ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذ قال لقمان لابنه و هو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً و لا يشرك بعبادة ربه أحداً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و من يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و من يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق } .

بسم الله الرحمن الرحيم { إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة و مأواه النار و ما للظالمين من أنصار } .

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الذين كفروا من أهل الكتاب و المشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية } .

لقد نفى القرآن الكريم مفهوم الشرك كله و حرّمه بالمطلق و نهى عنه و حذر من عواقبه ، لكنه و في الوقت نفسه قد قدم مبررات عقلية منطقية و حتى علمية ، لتحريمه الشرك بل و نفيه لجهة كونه غير موجود و لا أساس له من الصحة و الواقع .

و قد جعل القرآن الكريم مجموعة من الأسس و المبررات لتحريمه الشرك و نفيه له ، جعلها في قضية منطقية واحدة هي موضوع هذا المبحث . و هي قضية لربما استندت في مسائلها المنطقية ، على حيثيات و مضامين بقية الأديان الوثنية و التي فيها تعدد آلهة ، لإثبات عدم صحة وجود أكثر من إله واحد . و قدّم القرآن الكريم آيات عدة ذات قضايا منطقية في هذا المضمار ، منها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { أم اتخذوا آلهةً من الأرض هم ينشرون (*) لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً (*) سبحانه و تعالى عما يقولون علواً كبيراً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { { ما اتخذ الله من ولد و ما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق و لعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون (*) عالم الغيب و الشهادة فتعالى عما يشركون } .

إن الآيات سابقة الذكر ، قد قدمت دلائل منطقية ، حول نفي قضية تعدد الآلهة .. و الذي يتضح من منطق سياق الآيات ، أن إشكالية تعدد الآلهة ، قد أوردها القرآن الكريم بصيغة البت أو الحكم المسبق المعروف و الذي لا حاجة لإثباته و البرهان عليه و ذلك من عبارات (إذاً لابتغوا .. لفسدتا) أي أن القرآن الكريم كان يقدم للطرف الكافر به المنكِر له ، تبريرات يدرك أن هذا الطرف يعلمها جيداً ، ألا و هي حيثيات و أفكار و حتى أدبيات الأديان ذات الآلهة المتعددة .. فمعظمنا إن لم يكن كلنا ، يعلم الصراعات فيما بين آلهة أديان الحضارات القديمة (اليونان القديمة .. مصر القديمة .. بلاد الرافدين .. الهند .. الخ) من قتل و قتال و حروب و صراعات دموية فيما بين هذه الآلهة للوصول إلى سدة الحكم و التحكم (إن صحت التسمية) هذا غير المؤامرات و الدسائس الحقيرة الدنيئة (بحسب مصادر مرويات تلكم الأديان و منها الأساطير) و الخراب و الدمار و الفساد و الإفساد و الظلم الناتج كله عن ذلك . و هذا كله أيضاً يعلمه الطرف الكافر أو المشرك ، تمام المعرفة و هو لا يُشَكّل لديه ، شيء من استنكار أو حرج ؟؟؟!!! .

من هذه الحيثية المنطقية و الحقائق الثابتة الملازمة لها ، قدّم القرآن الكريم قضيته المنطقية تلك ذات المبحث هذا ، وعلل لها بأن قضية تعدد الآلهة يتنافى تماماً من حيث المنطق و العلم و العقل ، مع نظام شكل و هيئة و خلق الكون البديع الفريد

بما فيه من كائنات و مخلوقات ، بطريقة دقيقة منظَمة بشكل ثابت لا تغير فيه و لا فوضى أو تحويل أو تبديل ، سواء في السماء و الكواكب و الأجرام أم في الأرض و موجوداتها و كائناتها الحية ، العاقلة منها و غير العاقلة .. و أن هذا النظام الكوني الشامل الدقيق المنظَم الثابت ، بدءاً من أكبر مجرة عملاقة و انتهاءً بأصغر خلية ، لا يدل عقلياً و علمياً و منطقياً إلا على نتيجة واحدة لا ثانٍ لها ، ألا و هي .. وجود إله أحد أوحد واحد خالق لهذا الكون و ناظم له .. و إن كل هذه الفوضى المزعومة من تعدد الآلهة و اختلافها و صراعها و اقتتالها ، بعضها مع بعض ما هو إلا اختلاق و افتراء ، بشرياً كان أم غير ذلك .. ذلك لأنه لم يثبت حتى الآن و بعد تطور العلم الحديث لدرجة كبيرة مهولة ، حدوث أي تغيير في نظام الكون الفضائي من حيث البرمجة التي هو عليها (كفوضى أو تخريب أو تغيير) .. كما لم يحدث أي تغيير في منظومة الكائنات الحية التي على ظهر الأرض .

من هنا ، طرح القرآن الكريم قضيته المنطقية تلك و قدّم حيثياتها كفرضية ثابتة معلومة مسبقاً و سوف يتم التأكيد عليها لاحقاً بعد ظهور العلم الحديث و التكنولوجيا المتطورة . و قدم لها براهين قرآنية تدل عليها ، و ذلك في آيات كثيرة ، منها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { خلق الله السماوات و الأرض بالحق إن في ذلك لآيةً للمؤمنين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { إن في اختلاف الليل والنهار و ما خلق الله في السماوات و الأرض لآيات لقوم يتقون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم (*) إن في ذلك لآيةً و ما كان أكثرهم مؤمنين (*) و إن ربك لهو العزيز الرحيم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { هو الذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب و منه شجر فيه تسيمون (*) ينبت لكم به الزرع و الزيتون و النخيل و الأعناب و من كل الثمرات إن في ذلك لآيةً لقوم يتفكرون (*) و سخر لكم الليل و النهار و الشمس و القمر و النجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (*) و ما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآيةً لقوم يذكرون (*) و هو الذي سخّر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً و تستخرجوا منه حليةً تلبسونها و ترى الفلك مواخر فيه و لتبتغوا من فضله و لعلكم تشكرون (*) و ألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم و أنهاراً و سبلاً لعلكم تهتدون (*) و علامات و بالنجم هم يهتدون (*) أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و أوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً و من الشجر و مما يعرشون (*) ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآيةً لقوم يتفكرون } .

ثم إن القرآن الكريم بعد ذلك كله و بعد كل ما ثبت من معطيات ، يعود و يطالب الكفار و المشركين ، بتقديم دلائلهم و براهينهم على وجود آلهة متعددة لهذا الكون و ما فيه و من فيه ، في آيات قرآنية عدة ، منها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و من يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { أم اتخذوا من دونه آلهةً قل هاتوا برهانكم هذا ذِكر من معي و ذِكر من قَبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم مُعرِضون } .

هنا في هذه الآية القرآنية الآنفة الذكر ، يخبر القرآن الكريم الكافرين و المشركين ، أنه قد قدم لهم كل المعطيات العقلية و العلمية و المنطقية ، فيه و فيما سبقه من كتب ربانية سماوية ، و إنه سائلهم إن كان لديهم كتب علمية أو منطقية تثبت صحة دعواهم .. فإن كان لديهم ما يثبت صدق ادّعائهم فليخرجوه و يعرضوه على الملأ .

في الواقع إن إحدى المشاكل الحقيقية لدى الكافر و المشرك ، هي رفضه المطلق للتوحيد الإلهي و لفكرة الإله الواحد .. هي إحدى إشكاليات الكفر و الإشراك ، منذ القدم بل منذ وجود البشر على هذه الأرض .. و هي إشكالية منطقية طرحها القرآن الكريم في هذا المبحث بشكل غير مباشر .. فكما أورد القرآن الكريم بطلان قضية تعدد الآلهة و إثبات قضية الإله الواحد المنطقية ، فيما سبق من آيات .. كذلك أورد تساؤل غير مباشر ، مفاده .. ما هي الإشكالية و الاستعصاء الذهني عندك أيها الكافر و المشرك بالله سبحانه و تعالى لقضية الإله الواحد بالرغم من كل توافر معطيات إثباتها العقلية و العلمية و المنطقية ؟؟؟!!! و لماذا أنت مُصّر على فكرة تعدد الآلهة ، بالرغم من عدم توافر أي دليل عقلي أو علمي أو منطقي بل و حتى أخلاقي ، يدعم وجودها ؟؟؟!!! .

لقد أورد القرآن الكريم آيات عدة في عقلية هؤلاء و طريقة تفكيرهم الأعوج ، و هذه الآيات القرآنية ، مثّلت كذلك قضايا أو تساؤلات منطقية ، صبّت في نفس خانة قضية الإله الواحد المقبول و تعدد الآلهة المرفوض ، و منها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و عجبوا أن جاءهم منذر منهم و قال الكافرون هذا ساحر كذاب (*) أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب (*) و انطلق الملأ منهم أن امشوا و اصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد (*) ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق } .

أبرز سابق الآيات آنفاً ، قضية استغراب و تعجّب الكفار و المشركين من قضية الإله الواحد و استنكارهم التام لها ؟؟!! و نلاحظ أن القرآن الكريم قد أورد قضية استغراب هؤلاء و تعجبهم ، بصيغة الاستغراب و التعجب أيضاً أي الاستغراب من استغرابهم و التعجب من تعجبهم ؟؟!!! .

و الحقيقة أن القرآن الكريم كان صائباً في صيغة استغرابه و عجبه مِن استغراب و عجب هؤلاء الكفار .. و ذلك استناداً إلى أن قضية الإله الواحد الأحد الأوحد قد أثبتت صحتها و منطقها ، عقلاً و علماً و منطقاً .. و إن قضية العجب من حدوث شيء ما أو صحة حدوثه ، تستوجب منطقاً وجود براهين عقلية علمية منطقية ، مادية و غير مادية ، على نفي وجود هذا الشيء أو على صحة عكسه تماماً .. هذا هو المنطق الجدلي و هكذا يقول المنطق .. تماماً عندما نعجب و نستغرب ممن يقول لنا إن هنالك عنزة تطير .. ذلك لأن جميع المعطيات و الدلائل العقلية و العلمية و المنطقية ، تثبت أن ليس هنالك من عنزة تطير .

و بالتالي فإن كل آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن و تتناول قضية الإله الواحد الأحد و قضية تعدد الآلهة و الشرك بالله سبحانه و تعالى ، هي آيات ذات قضية منطقية جدلية تطلب من الطرف المخالف الرد عليها و إيراد حججه و براهينه المنطقية حيالها .

و لذلك و بما أن الطرف الآخر المخالف ، لم يقدم حتى الساعة أي دليل واحد أو برهان واحد يثبت فيه صحة ادّعائه .. لا من قبل و لا حتى الآن ، فإن الآيات القرآنية التي تناولت هذه القضية من حيث البت و الحكم المسبق القاطع الذي لا رجوع عنه و نكول ، هي أيضاً صائبة تماماً لجهة المنطق ، و منها مثالاً ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الذين كفروا ينادَون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون (*) قالوا ربنا أمتنا اثنتين و أحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل (*) ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم و إن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير } .

لذلك و بناء عليه و عليه بناء ، فإن قضية وجود الرحمن الإله الواحد الذي لا إله إلا هو ، وحده لا شريك له في شيء أو من شيء .. هي قضية صحيحة تماماً .. عقلاً و علماً و منطقاً .. قضية خضع لها اليوم كبار علماء الغرب في العلوم الوضعية التجريدية التطبيقية و أقروا بها و أعلنوها جهاراً نهاراً صراحةً .

القضية المنطقية الحادية عشر .. الحكم بالعدل .

منذ وجود الإنسان العاقل على وجه الأرض ، ارتبط وجوده بمفاهيم عدة تلازمت معه و ترافقت ، و شكل وجودها هي أيضاً ، عامل ارتباط بالنسبة للإنسان حصراً ، دوناً عن بقية الكائنات الحية في الأرض .. فعامل الارتباط هنا هو عامل حصري متبادل و هو عامل تاريخي وجودي في آن معاً .. فلا يصح وجود هذه المفاهيم من دون وجود الإنسان العاقل .. كما لا يصح و لم يصح تاريخياً وجود الإنسان العاقل من دون وجود هذه المفاهيم .

إن ما سبق من قول ، يؤدي إلى نتيجة منطقية هامة و ثابتة و هي .. إن هذه المفاهيم المرتبطة بوجود الإنسان منذ تاريخه على وجه الأرض ، و ارتباطه هو بها ، يعني أنها تشكل قضايا منطقية بمجرد طرحها للنقاش أو الحوار .. و لا يمكن لأحد ما ، أن يطعن بوجودها أو منطقها أو حتى طرحها .. و لا يمكنه أن يتهرب من الإجابة و الرد على إحدى مسائلها .

إن هذه المفاهيم هي مفاهيم إنسانية عدة .. كالعدالة .. الخير .. الحقيقة .. الأخلاق .. الخ . و هي مفاهيم نادى بها كل الفلاسفة و المفكرين ، القدماء منهم و المعاصرين .. المؤمنين منهم و الملحدين .. الحكام منهم و العبيد .. و تغَنّى بها الشعراء و الفنانون و الرسامون و النُحّات ، في أشعارهم و أقوالهم و لوحاتهم و أعمالهم .. و قد صارت هذه المفاهيم فيما قبل و بعد ، شعارات و مبادئ يتنافس جميع من سبق ، على تبنيها و جعلها نبراساً له و مُثُلاً عليا تُحتذى .

كذلك الأديان بمجموعها ، السماوية منها و الأرضية الوثنية الوضعية ، نادت بهذه المفاهيم و تبنتها و جعلتها بمجموعها من ضمن أحكامها الرئيسة . و لم يحدث في تاريخ البشرية ككل ، أن اعترض أحد ما على تلك المفاهيم ، على الأقل نظرياً و نادى علناً جهاراً بمخالفتها .

إن من أحد أهم هذه المفاهيم المذكورة سابقاً ، هو مفهوم العدالة الإنسانية و الذي هو أكثر مفهوم نادت به البشرية عبر التاريخ و إلى الآن ، و طالب به جهابذتها و بُسطاؤها .. كبارها و صغارها .. أسيادها و عبيدها .

و مفهوم العدالة الإنسانية باختلاف أنواعها .. الاجتماعية و القانونية ، لم يختلف عليه اثنان قَطّ و ليس فيه شك من أحد .. لكن كل ما قيل فيما سبق ، عن هذه المفاهيم الإنسانية ، و منها مفهوم العدالة ، كان للأسف يقع ضمن الإطار النظري فقط ، لا الإطار العملي التطبيقي .. الجميع اتفق على تلك المفاهيم و منها مفهوم العدالة ؟؟!! نعم و لكن نظرياً فقط ، أما عملياً فقد كان ذلك للأسف الشديد بعيداً عن حيّز التنفيذ ، فكان الظلم و الجور و القهر و أكل الحقوق و الاستعباد و القتل و كل ما هنالك من أمور مخالفة للأخلاق و الشيم الإنسانية النبيلة .

إن العدالة هي أرقى القيم الإنسانية النبيلة .. ذلك لأنها قيمة و شيمة إنسانية أخلاقية تنفيذية تعلق بحقوق الإنسان .. هي مفهوم أساسه الفعل العملي و ليس القول النظري فالعدالة مفهوم أساسه التنفيذ و التطبيق و ليس التنفيس و التطبيل .. من هنا فإن العدالة كانت منطق الوجود الإنساني على هذه الأرض ، فإن انتفت ، انتفى معها منطق وجود الإنسان نفسه .

من هنا و من هذا المنطلق ، تناول القرآن الكريم مفهوم العدالة و طرحها كحكم أساس من أحكامه لا يقوم الإسلام إلا به .. ليس ذلك فقط بل إن صفة من

صفات الله سبحانه و تعالى ، في القرآن الكريم هي العدل ، و شيمة من شيم مقامه و أفعاله ، هي العدالة .. جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { ذلك بأن الله هو الحق و أن ما يدعون من دونه الباطل و أن الله هو العلي الكبير } .

كما إن من صفات الرحمن رب العالمين ، صفة انتفاء الظلم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { ما يبدل القول لدي و ما أنا بظلّام للعبيد } .

بسم الله الرحمن الرحيم { ذلك بما قدمت أيديكم و أن الله ليس بظلام للعبيد } .

إن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي انفرد بكثرة مصطلحات و كلمات و مفاهيم ، العدل و العدالة و الحق .. كذلك فيما يقابلها من الأضداد كالظلم و الجور و العسف ، ذلك من حيث أن القرآن الكريم قد كثرت فيه آيات الأمر بالعدل و مرادفاته و مشتقاته ، و كثرت فيه آيات النهي عن الظلم و مرادفاته و مشتقاته .. و لا تجد كتاباً آخر مثل القرآن الكريم ، يحث على العدل و ينهى عن الظلم بهذا الكم الكبير الواسع .. فمن آيات العدل و العدالة و ما اتسم فيهما ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و تمت كلمة ربك صدقاً و عدلاً لا مبدل لكلماته و هو السميع العليم } .

أي أن الله سبحانه و تعالى ، هو إله صادق في كلماته لا يقول إلا صدقاً .. كذلك هو إله عادل في كلماته ، حاشاه أن يظلم فيها أحداً ، و لا يقول إلا عدلاً .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذا قلتم فاعدلوا و لو كان ذا قربى و بعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون } .

تخبر الآية القرآنية أن الله سبحانه و تعالى ليس هو فقط من يطلب الحق و العدل ، بل هو أيضاً يأمر الناس و العباد فيهما و بالأخذ بهما أيضاً .. و هذا من العهد الذي أمضاه الله سبحانه و تعالى فيما بينه و بين الناس و أوصاهم به ، فهل هنالك من (إله) غير الله سبحانه و تعالى من يفعل ذلك ؟؟!! .

بسم الله الرحمن الرحيم { فلذلك فادع و استقم كما أُمرت و لا تتبع أهواءهم و قل آمنت بما أنزل الله من كتاب و أُمِرت لأعدل بينكم } .

تخبر الآية السابقة أن الله سبحانه و تعالى ، قد أمر أيضاً أنبياءه و رسله بأن يعدلوا بين الناس و أن يشيعوا العدل فيما بينهم و يخبرونهم أنهم مأمورون من الله سبحانه و تعالى بذلك .

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الله يأمر بالعدل و الإحسان و إيتاء ذي القربى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغي يعظكم لعلكم تذكرون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها و إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعمّا يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً } .

هما آيتان من أروع و أحسن ما جاء في القرآن الكريم ، لجهة مبحثنا هذا .. فهما تخبران إن الله سبحانه و تعالى ، يقوم شرعه على الأمر بالعدل المؤدي إلى الخير ، و يُحَرِّم السوء و الظلم .. و إن ذلك هو بمثابة موعظة و نصح للبشر لأن وجودهم على الأرض لا يقوم و يستقيم إلا بذلك .

بسم الله الرحمن الرحيم { اعدلوا هو أقرب للتقوى و اتقوا الله إن الله خبير بما تعملون } .

الآية السابقة ، هي دليل حي قوي واضح على أن العدل هو من الصفات الإلهية و هو من أشد و أهم أسس العلاقة فيما بين الله سبحانه و تعالى و بين البشر .. و أن ذلك هو من تقوى الله .

كذلك أيضاً فهنالك آيات قرآنية تطرقت لمفهومي العدل و العدالة و أمرت بهما ، من خلال مسميات و مصطلحات أخرى تحدد ربما مفهوم العدالة في إطار مُعَيَّن ، كمفهوم القسط ، و من ذلك ..

بسم الله الرحمن الرحيم { أوفوا الكيل و لا تكونوا من المخسرين (*) و زِنوا بالقسطاس المستقيم (*) و لا تبخسوا الناس أشياءهم و لا تعثوا في الأرض مفسدين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل أمَرَ ربي بالقسط } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و أوفوا الكيل إذا كلتم و زنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير و أحسن تأويلاً } .

الآيات الآنفة الذكر حددت إحدى طرق تطبيق العدالة الإنسانية ، ألا و هي .. القسط الذي هو تعبير عن الكم و المقدار الدقيق الثابت الذي لا مجال للتغيير فيه أو العبث و التلاعب .. و القسط بموجب ما سبق من آيات ، هو أمر إلهي رباني .. أي هو من ضمن الشريعة القرآنية الإلهية الربانية .

بسم الله الرحمن الرحيم { إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا و عملوا الصالحات بالقسط و الذين كفروا لهم شراب من حميم و عذاب أليم بما كانوا يكفرون } .

توضح الآية السابقة ، قوة و مقدرة الله سبحانه و تعالى العظيمتين في التأثير و التغيير في هذا الكون و ما فيه و من فيه .. و أنه سبحانه و تعالى سوف يحاسب و

يجزي الناس يوم البعث و الحساب بموجب أعمالهم .. و أن المؤمنين الصالحين سيكون جزاؤهم الجنة بما .. بما ماذا ؟؟!! بما كانوا يعملون صالح العمل بالقسط .. بالقسط .. و أما الذين كانوا على خلاف ذلك كله ، فمصيرهم نار جهنم .. هنا يتبدّى لنا قوة مفهوم القسط و أثره عند الله سبحانه و تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم { و قُضيَ بينهم بالقسط و هم لا يُظلَمون } .

تخبر الآية السابقة أن الله سبحانه و تعالى ، لن يحاسب الناس و لن يقضي فيما بينهم .. كفاراً كانوا أم مؤمنين ، إلا بموجب مفهوم القسط .. و أنه بذلك لن يتم ظلم أحد منهم لأن نظام و مفهوم القسط ، هو الذي سيكون قائماً .. فالقسط يمنع ظلم الناس و العباد ، حتى عند يوم البعث و النشور و الحساب .

أيضاً فإن القرآن الكريم قد أدرج مفهوماً آخراً للعدل و العدالة ، و هو خير تعبير عنهما ، ألا و هو الميزان .. و الميزان هو أداة للقياس و الضبط و التحديد الدقيق ، فلا تلاعب فيه و لا زيغ أو ميل .. و الميزان كأداة و مفهوم ، كان بحسب القرآن الكريم ، المعيار الأساس الذي قامت عليه السماوات و الأرض و حتى الشرائع الإلهية الربانية و غيرها .. فالعدالة الوضعية البشرية و قوانينها التي وضعها البشر في مختلف أصقاع الأرض و دولها و ممالكها ، يتم التعبير عنها بصورة الميزان .. حتى المحاكم البشرية تضع شعاراً لها ، معروفاً ، هو الميزان .. و مما جاء في القرآن الكريم تعبيراً عن الميزان و مفهوم الميزان ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و السماء رفعها و وضع الميزان (*) ألا تطغوا في الميزان (*) و أقيموا الوزن بالقسط و لا تخسروا الميزان } .

هي أقوى الآيات القرآنية في التعبير عن مفهوم العدالة و تطبيقها . و قوة هذه الآيات تأتي من منظورها عن العدالة الذي تقدمه للمتلقين من عباد الرحمن كلهم .. سواءٌ فيه كلهم لا فرق بينهم .. و ذلك لكونها تعتبر أن العدالة هي مفهوم سماوي رباني يشمل الكون كله بما فيه و من فيه ، و أن الكون كله بما فيه و من فيه ، قائم على مفهوم العدالة و القوانين الإلهية الربانية الحق ، و هو ما تشهد و تشير إليه الآية القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما خلقنا السماوات و الأرض و ما بينهما إلا بالحق } .

كذلك فقد ارتبط مفهوم العدالة في المنظور القرآني ، بمنع الفساد .. ذلك أن العدالة هي مانعة للفساد في الأرض و مكافحة له ، و بتغييبها أو زوالها ، ينمو الفساد في للأرض و بين الناس و يستفحل و لا يجد له حائلاً و لا ممانعاً .. و كل من لا يطبّق شروط العدالة بمفهومها و أدواتها كاملة ، من مكيال و ميزان و قسط ، هو فاسد مفسِد ، و هو ما عبرت عنه الآية القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و يا قوم أوفوا المكيال و الميزان بالقسط و لا تبخسوا الناس أشياءهم و لا تعثوا في الأرض مفسدين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و نضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً و إن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها و كفى بنا حاسبين } .

توضح الآية السابقة أن طبيعة و كيفية الحساب و جزاء الناس على أعمالهم ، يوم البعث و القيامة سيكون بموجب العدل التام المعادل تماماً و الموازي لأعمال الناس .. وبالتالي لن يُظلم أحد شيئاً أو يُبخَس من حقه شيء .

بسم الله الرحمن الرحيم { شهد الله أنه لا إله إلا هو و الملائكة و أولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم } .

الآية السابقة ربما هي أقوى آية على الإطلاق من حيث الشهادة و الدليل ، على أن الله سبحانه و تعالى ، يعمل بالحق و العدل .. من حيث أنه شهد هو لنفسه أنه يعمل بالعدل المطلق ، و كذلك تشهد له الملائكة و أصحاب العلم ، في السماوات و الأرض . و هو ما لم يحصل من قبل في باقي الأديان غير الإسلام .

و من خلال ما سبق و من شهادة الله سبحانه و تعالى على نفسه بالعدل ، فإن الله سبحانه و تعالى لا بد أن يُجري العدل حتى فيما بين عباده و أن يأمر به بِغَض النظر عن فئاتهم و طرائقهم ، و هو ما عبرت عنه الآية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين و لم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم و تقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين } .

تدل الآية السابقة دلالة قوية مباشرةٍ واضحة على الإنسان المؤمن المسلم يجب أن بتعامل بالعدل حتى مع الإنسان الكافر أو المشرك أو الذي يختلف معه في الدين .. فالعدل و العدالة هما أمران إلاهِيّان ربانيان قامت عليهما السماوات و الأرض و الكون كله فلا بد من تطبيقهما ، حتى على أقرب المقربين من الشخص نفسه و هذا أيضاً ما عبّرت عنه الآية القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله و لو على أنفسكم أو الوالدين و الأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا و إن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً } .

تدل الآية السابقة دلالة واضحة على تطبيق العدل و إحقاق الحق حتى مع الوالدين الذين أوصى الله سبحانه و تعالى ، بهما .. فالحق حق لا يجوز التلاعب به أو تحويره أو تعديله أو ميله حتى مع أقرب المقربين أو الوالدين أو من كان له فضل سابق عليك ، و إلا فإن الإنسان هو فاسق عن أمر الله سبحانه و تعالى و عاصٍ له .. لا مناص من ذلك .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل و أقسطوا إن الله يحب المقسطين } .

مضمون الآية السابقة يدعو إلى إقامة العدل و منع الظلم حتى فيما بين المؤمنين أنفسهم .. و إذا قام أحد الأطراف المؤمنة بالتعدي على الغير و ظلمه و الجور عليه ، فيجب قتاله حتى يرجع إلى أمر الله سبحانه و تعالى ، بالعدل و القسط و إحقاق الحق .. لا مناص من ذلك و لا يجوز التلاعب فيه أو الميل .

من كل ما سبق جميعاً ، يظهر سؤال ربما قد يطرحه القارئ نفسه .. ما هو وجه المنطق في ذلك كله و أين هي القضية المنطقية فيما سبق جميعاً ؟؟!! .

إن وجه المنطق فيما سبق جميعاً هو أن القرآن الكريم قد طرح قضية منطقية هامة على الطرف المؤمن به و الطرف الكافر به المعاند ، على حد سواء .. لكن الطرف الكافر ، مَعنيّ أكثر بهذه القضية المنطقية ألا و هي .. إن لم تكن تؤمن أو تريد أن تؤمن بالرحمن رب العالمين و بكتابه و ذكره القرآن الكريم ، فألزم نفسك على الأقل اتّباع العدالة و قيَم العدل ، بينك و بين الناس إن كنت محكوماً ، و بين الناس أنفسهم ، و بينك أنت إن كنت حاكماً .. ذلك لأن قضية العدالة و العدل بين الناس ، هي قضية ملزمة للجميع و قد التزم بها جميع البشر .. على الأقل ظاهرياً ،

بما فيهم أنت و حزبك و فصيلتك و ملّتك .. و إن تبَنّيك للعدل و العدالة و مفاهيمهما ، لن يضيرك في شيء و لن يؤثر على ظنك و معتقدك مهما كانا ، سواء أكنتَ مؤمناً بالله سبحانه و تعالى أم لم تكُ مؤمناً .

و لكن على ماذا تقوم حيثية تلك القضية المنطقية موضوع البحث هذا ، التي اعتمدها القرآن الكريم ؟؟ .

إنها تقوم على أساس منطقي هو .. إن ما افترضه البشر جميعاً ، و باختلاف أعراقهم و مللهم و نِحَلِهم ، لأنفسهم ، كَحَلْ موائم مقبول لا بديل عنه لصيانة الحياة البشرية و وجود البشر كجنس ، لا بد أن يكون غير ذي موضع خلاف فيما بينهم .. ليس فقط لجهة النظر و القناعة ، بل حتى لجهة التطبيق و التنفيذ و الوضع قيد القيام الدائم غير المنقطع .. إنها تقوم أيضاً على فرضية أن القانون هو فوق الجميع و لا أحد هو فوق القانون .

فالقرآن الكريم يضع الطرف المخالف المنكِر له في مساءلة منطقية عبّرت عنها الآية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نِعمّا يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً } .

القضية المنطقية في الآية السابقة تقول للطرف الآخر .. إن كنتَ حاكماً على الناس و مسيطراً عليهم ، فهل أنت مستعد لأن تسوسهم بالعدل ؟؟!! و هل أنت مستعد لأن يكون القانون هو فوق الجميع ؟؟!! و هل مستعد لأن تَلزِم نفسك القانون البشري الوضعي المتعارف عليه لدى كل البشر و الذي يجسده مفهوم العدالة ؟؟!! .

إن الوجه المنطقي الآخر الذي طرحه القرآن الكريم في قضية المبحث هذا ، المنطقية هو .. إن كان الله سبحانه و تعالى .. الرحمن الملك القدوس السلام المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، قد ألزم نفسه العدل و العدالة ، في خلق هذا الكون و ما فيه و من فيه ، و في التعامل مع عباده أجمعين بالعدل و القسط الدائمين الذَين لا انقطاع لهما و ذلك من أن الرحمن رب العالمين قد ألزم نفسه الرحمة أيضاً التي أفاضت منه العدل و العدالة التي ألزم نفسه بها ، و مصداقه الآية القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قل لمن ما في السماوات و الأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون } .

فهل بمقدورك أنت يا من لا تؤمن بوجود الرحمن الإله الأحد الأوحد الواحد ، أن تحذو حذو من أنكرت وجوده ، في إقامة العدل و إحقاقا الحق و تلزم نفسك بذلك كما ألزم الرحمن نفسه بذلك ، و قد تبوأتَ السلطة و الحكم اللذان يُخَوّلانك كل ذلك ؟؟!! .

إن الله سبحانه و تعالى و بموجب القرآن الكريم ، هو ليس فقط يأمر بالعدل و يلزم نفسه العدل ، بل هو سبحانه و تعالى ينهى عن الظلم و يمنع نفسه عن الظلم .. و ذلك ما مصداقه آيات قرآنية كثيرة ، منها على سبيل المثال ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الله لا يظلم الناس شيئاً و لكن الناس أنفسهم يَظلمون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها و من جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها و هم لا يُظلمون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { وقضي بينهم بالحق و هم لا يُظلمون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و خلق الله السماوات و الأرض بالحق و لتجزى كل نفس بما كسبت و هم لا يُظلمون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لكل درجات مما عملوا و ليوفيهم أعمالهم و هم لا يُظلمون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لا يظلم ربك أحداً } .

لقد أثبتت الآيات القرآنية .. إخباراً و خِطاباً .. أن الله سبحانه و تعالى هو إله عادل لا يظلم أحداً و لا يقبل الظلم لأحد .. و ذلك الإخبار و الخطاب قد ثبت أيضاً .. عياناً و واقعاً . و ذلك من خلال من ما يأمر القرآن و الشرع الإسلامي الناس به من عدل و ينهاهم عنه من ظلم ، كتطبيق عملي واقعي لا يصح إسلام المرء من دونه .. . كذلك أيضاً ما ثبت عبر التاريخ من عدم ثبوت الظلم من الله سبحانه و تعالى على البشر ، بل كان الظلم منهم أنفسهم لا من الله سبحانه و تعالى ، و هذا هو تاريخ البشرية لا يزال قائماً يشهد على أعمال البشر و ما فعلوه بأنفسهم ، من حروب و مجازر و قتل و سرقة و نهب و اغتصاب و استعباد و تخريب و أذى .. تاريخ ليس بمقدورهم الفكاك منه أو التهرّب .. و هو أيضاً ما شهِد به القرآن الكريم عليهم في آيات عدة ، منها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما ظلمناهم و لكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك و ما زادوهم غير تتبيب } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما ظلمناهم و لكن كانوا هم الظالمين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما ظلمناهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون } .

إن ذلك كله ، مما سبق ، قد أنتج قضية منطقية ذات مساءلة منطقية كمثيلاتها مما سبق من قضايا منطقية ، هي .. إن كنت أيها الإنسان لا تؤمن بالرحمن رب العالمين إلهك و خالقك و ربك ، فهل أنت قادر على استعمال العدل و تطبيق العدالة بوجوهها كافة ، في حياتك الدنيا ، على اعتبار أنها ذات مطلب إنساني عام لا يتعلق منطقاً بالدين ، حسب منظورك أنت ؟؟!! و هل أنت أيها الإنسان الكافر الملحد قد قمت خلال سني حياتك الدنيا كلها ، و خلال تاريخك البشري كله ، قد قمت بتطبيق العدل و العدالة و امتنعت و نهيت عن الظلم و المظالم ؟؟؟!!! أم أنك فعلت كل تلكم المظالم و المعاصي و المفاسد جميعاً في الأرض ثم تنصّلتَ منها أو ربما نسبتها زوراً و بهتاناً إلى الله سبحانه و تعالى ؟؟!! .. و هو ما عبرت عنه الآية القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذا فعلوا فاحشةً قالوا وجدنا عليها آباءنا و الله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون (*) قل أمر ربي بالقسط ... } .

ها هو تاريخك منذ بدايته و إلى الآن ، يشهد عليك بما أنت فيه من سوء و ظلم .

إن حيثية القضية المنطقية القرآنية الحادية عشر ، المتعلّقة بالعدل ، ربما هي القضية الوحيدة التي لا تحتاج إلى جواب منطقي ، فجوابها المنطقي الحق ، هو التاريخ نفسه و هو أعمال كل كافر فاسق عن أمر الرحمن رب العالمين ، عاصٍ له خصيماً ظهيراً عليه .. و لا أدَلَّ من النظر اليوم في عصرنا الحالي ، إلى كل ما عليه البشرية اليوم من شذوذ و آثام و كفر و طغيان و فساد و إفساد و رذائل من أنواع شتّى ، ما أنزل الرحمن بها من سلطان ، فضلاً عن الحروب و القتل و الدمار و التجويع و الخراب .. أمور خارجة حتى عن مستوى العقل و المنطق .. شيء لا يُعقَل و لا يُصَدَّق ..

ليس شيء بل أشياء عدة صارت خارج العقل و المنطق .. فما هو الجواب ؟؟!! و هل هنالك جواب أو رد ؟؟!! هل هنالك عدل و عدالة ؟؟!! .

هل هنالك من جواب على القضية المنطقية التي طرحها القرآن الكريم و المختصة بالعدل و العدالة ؟؟!! و هي ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نِعمّا يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً } .

بل هل من استطاعة لتنفيذها ؟؟!! .

نهاية المطاف لا يسعنا إلا التذكير بالآية القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الله يأمر بالعدل و الإحسان و إيتاء ذي القربى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغي يعظكم لعلكم تذكرون } .

القضية المنطقية الثانية عشر .. كتاب الصدق .

إن مفهوم كلمة و مصطلح (الكتاب) يعني أموراً عدة ، أهمها مجموع القوانين و العلوم و الأفكار أو الشرائع المنحصرة ضمن حيز معين ، كأن يكون قرطاساً أو مجموعاً بين دفتين .. كذلك يعني مصطلح (الكتاب) الأشياء المكتوبة و المسجَّلة على الأوراق أو مواد الطباعة و الكتابة ، كالجلود و الأحجار و السُعُف و ما إلى ذلك .

و أساس مفهوم الكتاب ، هو تثبيت فكر أو عقيدة أو أمور نظرية ما هي بالمادية أو الجامدة الملموسة .. أمور و أشياء تحتاج إلى توثيق و تسجيل ، و ذلك حفظاً لها من الضياع أو الزوال و النسيان .. و الكتابة تعني القونتة و جعل الشيء شارعاً أو مشروعاً .. مشتهَراً أو معروفاً .

لقد كان أساس عملية الكتابة بحسب التاريخ الإنساني الوضعي و بحسب علم الآثار ، هو توثيق و تثبيت ما هو شفاهي ، من حيث لا يتم نسيانه أو فقدانه كالكلام و الرموز الصوتية .. فكانت الغاية منه هي دوام البقاء و الاستمرارية من دون الحاجة إلى التكرار مرة أخرى .. كما كانت الغاية منه أيضاً هي تحصيل التراكم .. تراكم الخبرات و الأحداث و المعلومات و غير ذلك .

إذن .. يمكن القول من خلال ما سبق ، إن الكتابة هي أحد أهم عوامل التاريخ و تدوين التاريخ .. و لولا الكتابة ، ربما ما كان هنالك تاريخ سوى تاريخ المستحاثات

المكتشفة بالصدفة .. و لولا الكتابة ، ربما ما كان هنالك أيضاً علوم و اختراعات و لما وصل إنسان اليوم إلى ما هو عليه اليوم و لربما بقي كما كان أسلافه الأوائل في العصور الحجرية السابقة .

في القرآن الكريم ، فإن مفهوم الكتابة فيه ، هو مفهوم مشابه تماماً لما ذُكِر آنفاً ، من حيث وردت كلمات مصطلحية عدة ، حول مصطلح الكتابة في القرآن الكريم ، تدل على ذلك و هي كلمات مثل .. كتاب .. كتب .. مسطوراً . و هذه الكلمات اشتُقَ منها في القرآن الكريم معانٍ عدة ، يدل كل واحد منها على وظيفة معينة . و الآيات القرآنية في ذلك ، هي كثيرة ، منها على سبيل المثال ..

بسم الله الرحمن الرحيم { ما لكم كيف تحكمون (*) أم لكم كتاب فيه تدرسون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قد علمنا ما تنقص الأرض منهم و عندنا كتاب حفيظ } .

بسم الله الرحمن الرحيم { كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته و ليتذكر أولو الألباب } .

بسم الله الرحمن الرحيم { فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما يعمر من معمر و لا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير } .

بسم الله الرحمن الرحيم { يا يحيى خذ الكتاب بقوة و آتيناه الحكم صبياً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قال إني عبد الله آتاني الكتاب و جعلني نبياً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي و لا ينسى } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما من غائبة في السماء و الأرض إلا في كتاب مبين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض و لا في السماء و لا أصغر من ذلك و لا أكبر إلا في كتاب مبين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما أهلكنا من قرية إلا و لها كتاب معلوم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما من دابة في الأرض و لا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يُحشَرون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { كلا سنكتب ما يقول و نمد له من العذاب مداً } .

يوضح سابق الآيات ، المفهوم و المعنى الكاملين لمصطلح الكتاب و الكتابة .. و يتضح من ذلك أن الكتاب يأخذ معنى الصحيفة التي يُدَوّن بها كل شيء عن شيء معين .. و يأخذ معنى القوانين الناظمة لشيء معين أو أشياء عدة تحدد أمور معينة .. كما يأخذ الكتاب معنى مجموع العلوم باختلاف أنواعها ، كأن يقال مثلاً .. كتاب الفيزياء ، أي كل ما يختص بعلم الفيزياء .. أو كتاب الفلك و الرياضيات ، أي كل ما يختص بعلوم هذين المجالين .. أو كتاب الطب مثلاً أو غير ذلك .

و كما أدلينا من قبل ، فإن مفهوم الكتاب يأخذ أيضاً التاريخ ، تاريخ أي شيء أو أي كائن .. كتاب الإنسان .. كتاب الحيوان .. كتاب كذا و كذا .. أي هو تاريخ وسيرة كل ما يختص به هذا الكتاب .

على أن أهم ما يُضاف أيضاً إلى مجموع معاني كلمة و مصطلح الكتاب ، هو سِجِلّ أعمال الشخص .. و هذا موجود في المفهوم القرآني . و هو ما يقابله في المصطلح الحالي كلمة (الإضبارة) أو كلمة (الملف) أي سيرة هذا الشخص .. التي ربما تكوت سيرة مهنية .. حياتية .. جنائية و ما إلى ذلك و التي بموجبها يتم الحكم على شخص معين في قضية معينة .. مهنية أم قضائية أم اجتماعية أم غير ذلك .

و قد أورد القرآن الكريم آيات تدل على هذا المعنى ، منها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية (*) فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه (*) إني ظننت أني ملاق حسابيه (*) فهو في عيشة راضية (*) في جنة عالية (*) قطوفها دانية (*) كلوا و اشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية (*) و أما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه (*) و لم أدر ما حسابيه (*) يا ليتها كانت القاضية } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لا نكلف نفساً إلا وسعها و لدينا كتاب ينطق بالحق و هم لا يُظلَمون } .

من منطلق ذلك كله جاءت القضية المنطقية القرآنية الثانية عشر ، لتطالب الطرف الآخر الكافر و المعاند و المنكِر بما يسمى .. كتابه ، فتقول ..

بسم الله الرحمن الرحيم { ما لكم كيف تحكمون (*) أفلا تذَكَّرون (*) أم لكم سلطان مبين (*) فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين } .

إن حيثية هذه القضية القرآنية المنطقية ، أنها تطلب المقارنة فيما بين كتاب الرحمن رب العالمين ، بكل معانيه و مدلولاته المذكورة سابقاً .. من قرآن و براهين و تاريخ

و كتب سماوية منزلة و شرائع و أحكام و علوم .. و بين كتاب الكافر الملحد المنكر لله سبحانه و تعالى .. ماذا لدبه من دلائل و براهين ؟؟!! ماذا لديه من علوم و قوانين ؟؟!! ماذا لديه من شرائع و أحكام ؟؟!! بل ماذا لديه من تاريخ و سجلّ و عطايا قدمها للبشرية جمعاء ؟؟!! ماذا لديه من أثر و تأثير في الأرض و الفضاء و الإنسان ؟؟!! ماذا قدم من معايير و قيم إنسانية و أخلاقية ، قدّمها للبشرية عبر تاريخها الطويل و عبر تاريخه هو الطويل ؟؟!! .

لقد قدم لنا القرآن الكريم ، نماذج من هؤلاء القوم و كيفية تصرفهم و تعاملهم مع منهج الرحمن رب العالمين .. الأخلاقي الحضاري الراقي العلمي المنطقي ، و كيف رد عليهم بالمسألة المنطقية ذاتها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا و قالوا إنا بكل كافرون (*) قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين (*) فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم و من أضل ممن اتبع هواه بغير هدًى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين } .

يطالب القرآن الكريم ، منطقياً ، هؤلاء القوم المنكرون لله سبحانه و تعالى و لأحكامه و شرائعه ، بالإتيان بدلائل تخصهم و تُنسَب إليهم ، كبديل عقلي علمي منطقي ، صحيح و سليم ، عن شرائع الله سبحانه و تعالى و أحكامه و أفعاله و مجريات مشيئته في هذا الكون و ما فيه .

و القرآن الكريم يطرح هذه القضية المنطقية ، كما سابقاتها من قضايا قرآنية منطقية .. بالتساؤل و التحدي معاً .. كما يطرح أجوبة منطقية مسبقة بأن هؤلاء القوم ليس لديهم ما يقدمونه في هذا الشأن ، ويترك الدليل على ذلك ، للتاريخ و الزمن و تقلّب أحداث الأمور و الوقائع و مجرياتهما .

بناء على ما سبق نقول .. إن صحة و سلامة القضية المنطقية ذات المبحث هذا ، في طرح القرآن الكريم .. هو توافق ما طرحه القرآن الكريم مع ما ثبته التاريخ .. من حيث أن الاحداث التي تكلم عنها القرآن الكريم ، هي أحداث تاريخية منطقية صحيحة موثّقة و موثوقة في آن معاً .. ذلك من حيث أنه قد أثبتت صحتها الأحداث و الوقائع التاريخية .. فمعطيات الدين و أحكامه و شرائعه بشكل عام ، كانت كلها عبارة عن أخلاق و قِيم و مُثل عليا ، و كلها ذات خدمة للبشرية و الإنسانية و عامل خير و أمان و عدالة بمختلف أنواعها .. بينما تاريخ الكفر و الإلحاد كان كله عبارة عن فساد و إفساد و ظلم و قهر و خراب و قتل و دماء . و التاريخ يثبت ذلك كله من خلال أحداثه و وقائعه ، منذ بداية البشرية و إلى الآن .

فالقرآن الكريم كما منع الظلم و الفساد و الإفساد ، فإنه يمنع الحروب و سفك الدماء و القتل من دون أي مبرر ، بل و يشترط مبررات قوية لذلك .. فليس أي سبب أو مبرر بسيط ، يستوجب القتل و الحروب و سفك الدماء ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم و لا تُخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم و أنتم تشهدون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً و من أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق } .

بسم الله الرحمن الرحيم { كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله و يسعون في الأرض فساداً و الله لا يحب المفسدين } .

بينما نرى أموراً و قوانين و مبادئ من مثل .. الغاية تبرر الوسيلة .. أو اعتماد المبادئ المكيافيلية مثلاً .. أو المصلحة فوق أي اعتبار .. أو .. أو .. الخ .. هي السبب في ما جرى و يجري عبر التاريخ منذ القدم و إلى الآن .. و تلكم أمور و مبادئ و قوانين هي بعيدة كل البعد عن القرآن الكريم و أحكامه و شرائعه و مبادئه .. هي أمور تنطبق عليها الآية القرآنية القائلة ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها و يهلك الحرث و النسل و الله لا يحب الفساد } .

و عود على ذي بدء فإنه لا يتبقى من تلك القضية المنطقية القرآنية ذات المبحث هذا ، سوى الآية القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون } .

فقدموا كتابكم الذي تزعمون و الذي يشهد على تاريخكم و الذي فيه اعتمادكم و برنامجكم ، إن كنتم صادقين .

القضايا المنطقية .. خلاصة و استخلاص .

إن القرآن الحكيم العزيز العظيم الكريم المجيد .. هو في نهاية الأمر ، كتاب عقلي علمي منطقي منهجي ذو حقائق و براهين و أدلة عقلية علمية منطقية ، يخضع لها العقل البشري من تلقاء نفسه .. ذلك لأنها هي الحق و لأنها هي الفطرة السليمة التي فطرها الله سبحانه و تعالى و وضعها في عباده ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم و لكن أكثر الناس لا يعلمون (*) منيبين إليه و اتقوه و أقيموا الصلاة و لا تكونوا من المشركين } .

لم يكن القرآن الحكيم العزيز العظيم الكريم المجيد ، كتاب دين و طقوس دينية و مناسك تعبدية ، بقدر ما كان كتاب عقل و علم و منطق .. و لربما هو الكتاب الديني الوحيد الذي يتحدث عن العقل و إعماله .. و عن العلم و اعتماده .. و عن التفكر و التأمل و التدبر و التدقيق و التمحيص و الأخذ بالأسباب .. ذلك في آيات كثيرة ، منها على سبيل المثال ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و تلك الأمثال نضربها للناس و ما يعقلها إلا العالمون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون } .

الآيات الثلاث السابقة تدل بوضوح على أن القرآن الكريم هو كتاب عقلي علمي منطقي ، موجه خصيصاً لأهل العقل و العلم و المنطق لا لأهل الجهل و السفاهة ،

و بالتالي فهو قد وضع نفسه موضع التدقيق و التمحيص ، و هذه بحد ذاتها قضية منطقية جديرة بالوقوف عندها .

بسم الله الرحمن الرحيم { كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و سخر لكم الليل و النهار و الشمس و القمر و النجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد تركنا منها آيةً بينةً لقوم يعقلون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { في ذلك لعبرةً لأولي الأبصار } .

بسم الله الرحمن الرحيم { إن في خلق السماوات و الأرض و اختلاف الليل و النهار لآيات لأولي الألباب } .

أيضاً في الآيات القرآنية السابقة ، نجد أن القرآن الكريم قد دعا أهل العقل و العلم ، للنظر و التفَكّر في كل ما قدمه الرحمن رب العالمين من براهين و دلائل ، و التأكد من صحتها و خلوها من الأوهام و الأباطيل و من أنها بالفعل من صنع إله أحد واحد خالق لهذا الكون و ما فيه و من فيه ، ناظم له و مدَبِّر .. و هو بالفعل ما وصل إليه اليوم كبار علماء الغرب في العلوم التطبيقية .. فهذه الثقة المطلقة و كذلك منح الحرية المطلقة لكل ذي عقل و علم ، للتأكد من صحة المفاهيم و الأحكام و الخطاب القرآني ، هي بحد ذاتها قضية منطقية و دلالة عقلية على صحة ما دعا إليه الرحمن رب العالمين ، في ذكره القرآن الحكيم العزيز العظيم الكريم المجيد . و لا أدَلّ على ذلك من الآية القرآنية التالية التي تدعو صراحة إلى التدقيق في القرآن الكريم و تمحيص آياته تمحيصاً للتأكد من صحتها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها } .

لقد اعتمد القرآن الكريم ، المنطقية لأنه كتاب منطقي .. و القضايا المنطقية لا يمكن دحضها كما هو الحال بالنسبة للمعجزات الخارقة للطبيعة أو تلك العلمية ، أو الشرائع و الأحكام التي سوف يتم نقضها فوراً بمجرد طرحها .. و لذلك فإن القضايا المنطقية هي قضايا دائمة الثبات ، ما دام هنالك إنسان عاقل موجود على وجه الأرض .. فهذه القضايا تفرض عليه مساءلة منطقية يتوجب عليه حلها و الإجابة عليها بطريقة من الطرق ، و إلا فإنه ملزَم بأن يسلم بها و لها ، منطقاً .

القضية المنطقية إما أن تجد لها حلاً و تجيب على مسائلها المنطقية ، أو تقبل بها كمسَلَّمه لابد منها .. و من هنا جاء مسمى الإسلام كدين ، و جاء مفهوم الإسلام لله سبحانه و تعالى .. من هنا طالَبَ القرآن الكريم الانسان بأن يسلم لله و يسلم و يفوّض أمره إليه ، بناء على كل تلك المعطيات المنطقية .. سواء في الفضاء أم في الأرض في السماوات أم في الأرض أم في داخله نفسه ، و هو ما يحدث اليوم بموجب الاكتشافات العلمية الحديثة بموجب العلم الحديث المتطور ، من تثبيت لهذه القضايا المنطقية و جعلها مسَلَّمات واجب التسليم بها .

لقد ثبت اليوم عقلاً و علماً و منطقاً ، أنه حتى الآن لم يتم دحض أي قضية منطقية أوردها القران الكريم و طرحها على الطرف الآخر الذي هو الطرف الكافر المنكر لله سبحانه و تعالى ، المعترض على ذكره ، القرآن الكريم .. و ما نراه اليوم متمثلاً في إيمان الكثير من الملاحدة و جلّهم من علماء العلوم التطبيقية .. رياضيات .. فيزياء .. فلك .. كيمياء .. طب .. فهؤلاء قد وصلوا سابقاً إلى نتيجة منطقية قوامها العلم و العقل الذي درسوا و خبِروا وامنوا به بداية ، و سلموا أمرهم له طوعاً و اعتبروه أنه هو الأساس .. فكان أن قادهم هذا العلم إلى وجود الله سبحانه و تعالى .. إلها واحداً خالقاً لهذا الكون و ما فيه و من فيه .. ناظماً له و مدبراً .

نهاية الأمر نختم مبحثنا هذا بالسؤال .. هل من إله غير الرحمن رب العالمين ، مَن يأمر بما جاءت به الآية القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و تعاونوا على البر و التقوى و لا تعاونوا على الإثم و العدوان و اتقوا الله إن الله شديد العقاب } .

القضايا الافتراضية في القرآن الكريم

لا يخفى عقلاً و لا علماً و لا منطقاً ، أن لكل شيء في هذه الحياة ، سواء أكان كائناً حياً عاقلاً أم غير عاقل ، أم كان مجسماً جامداً .. شروط و أسباب و مسببات ، لحدوثه أو للتعامل معه أو لتعامله هو مع غيره .. كما لا يخفى عقلاً و لا علماً و لا منطقاً ، أن لكل شيء مما سبق ، إمكانات و طاقات و حدود ، للعمل و الاستطاعة و المقدرة على التعامل مع الأشياء أياً كانت . و هذا أمر معروف تماماً في علم الفيزياء و يعلمه تماماً أهل الاختصاص بهذا العلم .. فأي جسم أو كتلة مادية معينة صلبة كانت أم سائلة أم غازية .. لها حدود معينة محددة في التعامل و التعاطي مع الوسط الخارجي المحيط بها ، بل و حتى الوسط الداخلي ضمنها .. من شد و جذب و حرارة و ضغط و حركة و مناورة و أرسال و تلقي .. أي باختصار شديد ، لها قوانينها الافتراضية الخاصة بها و التي لا يمكنك تغييرها و لا يمكن التعاطي معها إلا من ضمن تلك القوانين الافتراضية الخاصة بها .. الماء في الوضع الافتراضي ، هو جسم مادي سائل لكنه يتجمد افتراضياً بدرجة حرارة ثابتة هي صِفر مئوية ، و يغلي و يتبخر افتراضياً بدرجة حرارة ثابتة هي مئة مئوية .. هذا واقع افتراضي لحالة الماء كجسم مادي سائل .. هذا هو الواقع .

كذلك الهواء الذي هو افتراضياً جسم مادي غازي لكنه و تحت درجة ضغط افتراضية معينة ثابتة ، يتحول إلى سائل .. و تحت درجة برودة افتراضية معينة ثابتة ، يتحول إلى جسم صلب .. كذلك الحديد مثلاً الذي هو افتراضياً جسم مادي

صلب لكنه في درجة حرارة افتراضية معينة ثابتة ، ينصهر و يتحول إلى سائل ، و في درجة حرارة افتراضية ثابتة أعلى ، يتبخر و يتحول إلى غاز .. هكذا يقول علم الفيزياء التطبيقي الذي هو علم كوني يمتد بقوانينه و معطياته ، إلى الفضاء و الأرض معاً .. فالكواكب و النجوم و المجرات و السدوم جميعها تخضع لقوانين فزيائية معينة ، ثابتة لا تتغير و لا يمكن تغييرها .. منذ ملايين بل مليارات السنين و هي قائمة بحد ذاتها .. سواء أكان الرحمن رب العالمين قد وضعها ، أم كما يدعي الملاحدة أنها وضعت نفسها بنفسها أو أنها تشكلت هكذا صدفة (بالطبع نحن هنا سنعتمد الحياد العقلي العلمي المنطقي ، بالرغم من إيماننا القاطع بأن الرحمن رب العالمين هو من وضع ذلك كله ، لكن و كما سلك المنهج القرآني أحياناً ، هذا المسلك الافتراضي الحيادي للوصول إلى النتائج المنطقية الحاسمة القاطعة ، كذلك نحن سنعتمد هذه المنهجية في البحث) .

و كما أن هنالك قوانين افتراضية فيزيائية تختص بالأجسام الجامدة المادية .. الصلبة أو السائلة أو الغازية .. كذلك هنالك قوانين افتراضية تختص بالكائنات الحية ، و بالأخص العاقلة منها ، و هي قوانين فيزيائية و نفسية في آن معاً ، تختص بالجنس البشري تحديداً ، كونه مكون من جسد و نفس ، و هو ما عبّر عن القرآن الكريم في محكم تنزيله ، و من ذلك ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين (*) ثم جعلناه نطفةً في قرار مكين (*) ثم خلقنا النطفة علقةً فخلقنا العلقة مضغةً فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و من آياته أن خلَقَكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها و بث منهما رجالاً كثيراً و نساءً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { هو الذي خلقكم من نفس واحدة و جعل منها زوجها ليسكن إليها } .

مما سبق من آيات قرآنية ، يتبين لنا أن الله سبحانه و تعالى ، قد خلق الإنسان من عنصرين .. عنصر مادي هو التراب أو الطين ، و عنصر غير مادي هو النفس التي اختُص بها الله سبحانه و تعالى ، فلا يعرف خباياها و أسرارها إلا هو ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و نفس و ما سواها (*) فألهمها فجورها و تقواها (*) قد أفلح من زكاها (*) و قد خاب من دساها } .

كيف لا و هو القائل ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين (*) فإذا سويته و نفختُ فيه من روحي فقعوا له ساجدين } .

فالروح أو الجوهر أو النفس الربانية العاقلة ، هي التي أودعها الرحمن رب العالمين ، البشر ليكونوا خلفاء في الأرض .. و لولاها ما كانوا خلفاء و لا كانوا شيئاً مذكوراً .

في الواقع و كما اتفق البشر بمعظم شرائحهم و فئاتهم .. كافرهم و مؤمنهم .. جاهلهم و عالمهم ، على قضايا من مثل العدل و العدالة و الحقوق و غيرها (و لو على الأقل نظرياً) كذلك فإنهم قد اتفقوا على الأمر الافتراضي لأي أمر كان أو شيء أو حدث أو فعل أو قول .. فمنطقية الأمر الافتراضية أو افتراضية الأمور و الأشياء ، هي مسَلَّمَة لا جدال فيها و لا نقاش .. هي طبيعة الأشياء من حيث يجب أن تكون .. هي القوانين العلمية التي بحث عنها علماء العلوم التطبيقية

فاكتشفوها و لم يخترعوها ، و سلّموا لها جدلاً و عقلاً ، فمن دونها لا يمكن الوصول إلى تطبيق الأشياء و لا إلى حلها .. و من دونها لم يكن للعلم الحديث أن يصل إلى ما وصل عليه الآن .

الافتراضية في الأمور و الأشياء و الأفعال ، هي قضية أقر بها فلاسفة البشر و علماؤهم و مفكروهم ، قبل أي فئة أخرى .. و بنوا عليها كل نظرياتهم العلمية و الفكرية و الفلسفية .. الافتراضية في الأشياء و الأمور هي التي تُقاس بموجبها و عليها ، الأشياء و الأمور و إلا فلا يؤخذ بأي شيء ليس له حالة أو وضع افتراضي يُقاس به عليه .

إن القرآن الكريم و كما وضع لنفسه منهج عقلي علمي منطقي ، يحاجّ به و يأخذ به على الغير ، كذلك وضع لبعض أحكامه و شرائعه ، أسس افتراضية منهجية ، كي يسير بها الناس و يعملوا بموجبها .

لكن الأساس الأهم في المنهج الافتراضي الذي وضعه القرآن الكريم لبعض شرائعه و أحكامه ، هو منع الشطط و الغلو اللذَين سيؤديا حتماً إلى الضلال و العِوَج ، و هو أمر ليس من صفات و منهج القرآن الكريم الذي هو نور إلهي رباني من الرحمن رب العالمين الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له في شيء أو من شيء .. و الذي قام الرحمن رب العالمين بصونه من أي خلل أو زلل أو عِوَج و تعهد بحفظه أبد الدهر ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إنا نحن نزلنا الذكر و إنّا له لحافظون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون (*) قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجاً } .

لقد صان الله سبحانه و تعالى ، كتابه و ذكره القرآن الحكيم العزيز العظيم الكريم المجيد ، و حَفِظه و جعل فيه آيات بينات و دلائل و براهين علمية و تاريخية و بيانية و رقمية و مِحرفية (ألف باء) و ما إلى ذلك .. لكن ذلك كله كان لا بد له من الإحكام و سد جميع الثغرات التي تودي إلى اختراقه و حرفه عن مواضعه و الشط بقارئ القرآن الكريم أو المستمع له ، إلى مهاوي الضلال و الشرك . فقال جل من قال ..

بسم الله الرحمن الرحيم { الر كتاب أُحكِمَت آياته ثم فُصِّلت من لدن حكيم خبير } .

و لا يصح أيضاً و منطقاً ، أن يعاقب الله سبحانه و تعالى ، عباده ، بمعاصي و ذنوب قد تشتبه عليهم ، عقاباً شديداً قاسياً ، أو أن يمنع عنهم سبيل الرحمة و المغفرة ، و هو الغفور الرحيم الودود ؟؟!! .. لاحظ معي أيها القارئ الكريم ، الآية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء و من يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً } .

و الشرك كما هو معلوم و كما ورد في الأحاديث و الأثر .. ذو شبهات قوية جداً ليس من السهل إدراك خطورة بعضها .. جاء في المستدرك على الصحيحين عن الرسول الكريم أنه قال .. الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلماء ، و أدناه أن تحب على شيء من الجور و تبغض على شيء من العدل . (انتهى) .

و ربما قصة الرجلين التي وردت في القرآن الكريم ، توضح قوة شبهة الشرك غير الظاهرة ، بالله سبحانه و تعالى ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و اضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب و حففناهما بنخل و جعلنا بينهما زرعاً (*) كلتا الجنتين آتت أكلها و لم تظلم منه شيئاً و فجرنا خلالهما نهراً (*) و كان له ثمر فقال لصاحبه و هو يحاوره أنا أكثر منك مالاً و أعز نفراً (*) و دخل جنته و هو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً (*) و ما أظن الساعة قائمةً و لئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً (*) قال له صاحبه و هو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً (*) لكنا هو الله ربي و لا أشرك بربي أحداً (*) و لولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترَنِ أنا أقل منك مالاً و ولداً (*) فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك و يرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً (*) أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلباً (*) و أحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها و هي خاوية على عروشها و يقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً (*) و لم تكن له فئة ينصرونه من دون الله و ما كان منتصراً (*) هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً و خير عقباً } .

توضح قصة الرجلين المذكورة في الآيات السابقة ، أن أحدهما قد كفر لأنه قد أشرك بالله سبحانه و تعالى .. علماً أنه يتضح من كلامه ، أنه كان يؤمن بالله سبحانه و تعالى .. لكنه و بمجرد دخوله لبستانه و قوله عنه إنه لن يفنى و لن يزول ، فقد أشركه بالله سبحانه و تعالى و عُدَّ من الكافرين و عوقب على ذلك ، بالرغم من أن قوله هذا قد يكون بمنزلة زلة لسان ، بخاصة و أنه كان يؤمن بالبعث و المعاد ، بحسب قوله ، و مع ذلك تمت معاقبته و اعترف هو بشركه .

و طبقاً لما سبق فإنه حاشا لله سبحانه و تعالى أن يشدد العقوبة على أمر معيَّن فيه شبهات كثيرة مخفية ، من دون أن يجعل له ضوابط افتراضية قرآنية يتم الرجوع إليها حال الشبهة فيه ، و تكون بمثابة ضابط و صمام أمان لمن يشتبه في قضية معينة ، يظنها لا بأس فيها بينما هي تكون من كبائر الشرك .. و هو ما عبّرَت عنه الآية القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لا تقف ما ليس لك به علم إن السمع و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً } .

فإن كان السمع و البصر و الفؤاد ، من الأعضاء أو الحواس التي سيكون المرء مسؤولاً عنها يوم القيامة ، فلا بد أن اللسان هو كذلك ، يقع عليه ما يقع على تلك الأعضاء و الحواس .. و ربما أيضاً تكون الآية القرآنية التالية ، دليلاً على ذلك ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً (*) إلا أن يشاء الله و اذكر ربك إذا نسيت و قل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً } .

إذن .. فإن القضايا الافتراضية في القرآن الكريم ، هي بمنزلة القواعد و المراجع الأساس التي يتم الرجوع إليها حال الوصول إلى شبهات معينة أو قضية فيها إشكال ما .

و يسعنا القول هنا و التنبيه .. إن الإشكالات التي تستوجب العودة إلى القضايا الافتراضية أو تلك المحكومة بقضايا افتراضية ، هي ليست من القرآن الكريم و ما هي موجودة بين دفتيه ، لكنها موجودة خارج دائرته و نطاقه و تتركز غالب الأحيان في الدوائر المحيطة بالقرآن الكريم ، التابعة لفرق و مذاهب دينية .

إن الأحكام في القرآن الكريم هي أحكام افتراضية لها شروط تصوغها و تسوقها ضمن سياق محدد لا تشذ عنه و لا تخرج و لا تشطط .. الأحكام في القرآن الكريم هي أحكام افتراضية لها حدود تبدأ بها و تنتهي بها .. لا تتأخر عنها و لا تتقدم .. و إن تقدمت أو تأخرت ، تصبح شططاً لا علاقة له بالقران الكريم و لا ينتمي إلى القرآن الكريم .. و القران الكريم بريء منه .

فالآية تقول ..

بسم الله الرحمن الرحيم { كلوا من طيبات ما رزقناكم و لا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي و من يحلل عليه غضبي فقد هوى } .

إن الطغيان هو تجاوز الحد المعقول أو الافتراضي لأمر معين ، و هو أمر يقع على الأحكام أيضاً كما يقع على الأفعال .

لقد نزلت أحكام القرآن الكريم جلّها إن لم يكن كلها ، بصيغة الوضع الافتراضي .. ذلك أن الرحمن رب العالمين لا يريد للقرآن الكريم أن تُستَغل أحكامه لأجل أمور شخصية خاصة أو لأجل أهواء فئوية و مذهبية .. و لذلك كان لكل حكم قرآني ، شرطه للتحقق .. فلم يأتي الحُكم القرآني هكذا جزافاً بالمطلق ، و إلا لكان القرآن الكريم قد ترك ثغرة كبيرة فيه ، يَسهُل اختراقها من قِبَل من حرَّفوا الكتب الدينية من قَبل ، و اخترعوا مذاهب و كتب خاصة بهم و على أهوائهم .. و هنالك الكثير من الآيات القرآنية التي توضح هذه النقطة بالذات ، منها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الذين يشترون بعهد الله و أيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة و لا يكلمهم الله و لا ينظر إليهم يوم القيامة و لا يزكيهم و لهم عذاب أليم (*) و إن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب

و ما هو من الكتاب و يقولون هو من عند الله و ما هو من عند الله و يقولون على الله الكذب و هم يعلمون (*) ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب و الحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله و لكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب و بما كنتم تدرسون (*) و لا يأمركم أن تتخذوا الملائكة و النبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون } .

توضح الآيات القرآنية السابقة ، طبيعة النفس البشرية و ميلها لأهوائها و غرائزها النفعية الخاصة و حبها للدنيا و للتسلط فيها ، و نزوعها إلى الحرية في التصرف و الهوى .. و في ذلك قال القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه و كان أمره فرطاً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات و الأرض و من فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون } .

و لا عجب في ذلك أيضاً حين جاء في القرآن الكريم أن الإنسان ينزع حتى إلى أن يكون له إله خاص به على مزاجه و هوى نفسه ..

بسم الله الرحمن الرحيم { أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { أفرأيت من اتخذ إلهه هواه و أضله الله على علم و ختم على سمعه و قلبه و جعل على بصره غشاوةً فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون } .

لقد علِمَ الله سبحانه و تعالى أن النفس البشرية مُعَرضة للأهواء و معرضة لأمور كثيرة شتى ، من الانسياق و الانقياد نحو الأهواء و الرغبات و الغرائز ، سواء أكان هذا الهوى منها هي .. نابعاً منها ذاتياً أم كان من الغير الذي هو خبير في الضلال

و التضليل .. و لذلك لم يترك الله سبحانه و تعالى ، لنفسه في القرآن الكريم أن يضع الشروط أو الأحكام الافتراضية ، في مهب الشطط و الاستغلال البشري و لذلك جاءت الآية القرآنية سابقة الذكر ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات و الأرض و من فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون } .

فهنالك من يريد أن يجد ثغرة في القرآن الكريم يلج من خلالها إلى أحكامه فيحَرّفها و يحوّرها على هواه و هو ما حصل في الخطابات الدينية غير الإسلامية أو الدينية الإسلامية التي هي خارج القرآن الكريم ، سواء بشرحه أو تأويله أو إيراد أحاديث للرسول الكريم محمد ، غير صحيحة و مكذوبة عليه .

لذلك و بناء على ما سبق ، فلا بد من أن يكون لكل حكم قرآني ، شروط حاكمة له ، و بيئة افتراضية تحدد أطره و مجال عمله و تفعيله و تنفيذه ، بحيث يكون خارج هذه الأطر ، غير قابل للتنفيذ أو متروك أمر تنفيذه للمرء نفسه بحسب تقديراته .

لقد حدد القرآن الكريم أن كل أمر أو حكم ، له شروط استثنائية أو يكون محكوماً بشروط استثنائية ، فهذا يعني أن له بيئة افتراضية خاصة للقيام به و تنفيذه .. فهو خاضع لتلكم الشروط المقيِّدة له .

فالصلاة مثلاً و التي هي من أهم الأحكام القرآنية .. فبالإضافة إلى أحكامها ، وضع لها القرآن الكريم شروطها الافتراضية و شروطها الطارئة ، من حيث متى يجب أن يتركها الإنسان و متى يجب أن يقصر بها و يختصر ، و متى يجب تأجيلها .. الخ .

و الآيات القرآنية التالية ، تحدثت عن هذا النقطة بجلاء ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك و ليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم و لتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك و ليأخذوا حذرهم و أسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم و أمتعتكم فيميلون عليكم ميلةً واحدةً و لا جناح عليكم إن كان بكم أذًى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم و خذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم و أيديكم إلى المرافق و امسحوا برءوسكم و أرجلكم إلى الكعبين و إن كنتم جنباً فاطهروا و إن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم و أيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج و لكن يريد ليطهركم و ليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لا تجهر بصلاتك و لا تخافت بها و ابتغ بين ذلك سبيلاً } .

يتضح من كل ما سبق أن الصلاة في القرآن الكريم ، هي مفهوم افتراضي معياري و لها بيئتها الافتراضية الناظمة لها و المعطية لها تعريفها و هيكلها الأساسين .

هنالك أحكام دقيقة وضعها القرآن الكريم و لم يتركها جزافاً أو هُمَلاً يعبث بها العابثون .. إن الله سبحانه و تعالى يعلم أن هنالك من يريد أن يُحَرِّف القرآن الكريم

أو يستخدم القرآن الكريم لمآرب خاصة أو يجد ثغرة من خلال القرآن الكريم أو يختلق ثغرة يلج اليها أو يدّعيها ، لتحريف آيات القرآن الكريم من حيث التأويل أو التفسير مثلاً .

نعم لقد قال الله سبحانه و تعالى في محكم تنزيله ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إنا نحن نزلنا الذكر و إنّا له لحافظون } .

لكن هنالك من يحاول عن طريق التفسير أن يجد له ثغرات ، خاصة به ليُحَرِّفها .. و لذلك جاءت الأحكام بالوضع الافتراضي كلها أو معظمها .. فمثلاً ، أن تطيع الوالدين ، فهذا يعني أن تطيعهما بالطريقة الافتراضية المعيارية .. أي أن يكون الأب و الأم هما فعلاً أب و أم ، لجهة التربية مثلاً و لجهة الحنان و العطف و الدين و الأخلاق .. ذلك كله يجب أن يكون في الحالة الافتراضية .. الوالدين .. الأبوين .. الإمام .. الفقيه .. الحاكم .. و أي أحد مهما كان منصبه أو كانت مكانته في المجتمع و الحياة العامة .. له شروط محددة إن لم تنطبق عليه ، فلا يصح اتِّباعه فيها بالمطلق . و لنا أن نقيس على ذلك باقي أحكام القرآن الكريم .

و لو ترك الله سبحانه و تعالى ، في القرآن الكريم ، العنان للناس ليتصرفوا على هواهم و لم يضع أحكامه ضمن الشروط الافتراضية الحقيقية ، لكانت الناس قد تصرفت على هواها و حَوَّرت على هواها .. و هو للأسف الشديد ما يحصل في بعض الخطابات المذهبية و شِيَع المِلل ، من شطط كبير و ابتعاد عن محكم آيات القرآن الكريم ، حتى أن بعضه قد وصل إلى حد المخالفة الصريحة و الشرك بالله سبحانه و تعالى و الكفر به .

كيف لا يمكن للناس أن يبتدعوا من عندهم ضلالاً بعيداً و شططاً كبيراً ، حال وجدوا في القرآن الكريم ثغرات و أحكام مطلقة ، ثابتة البتة ، و نفوسهم و أهواؤهم في ميل عظيم لذلك ؟؟!! .

هنالك آيات قرآنية تقول ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و منهم من يلمزك في الصدقات فإن أُعطوا منها رضوا و إن لم يُعطَوا منها إذا هم يسخطون (*) و لو أنهم رضوا ما آتاهم الله و رسوله و قالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله و رسوله إنا إلى الله راغبون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و السابقون الأولون من المهاجرين و الأنصار و الذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم و رضوا عنه و أعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم } .

إذن .. النفس الإنسانية هي نفس ساخطة في وجه من وجوهها على ما تجهله أو على ما لم تُوطِّن غريزتها عليه .. و لذلك فقد أدخل الله سبحانه وتعالى هذا الأمر في الحسبان .. أن يُتهَم أو تؤخذ عليه حجة ما من البشر أو يُساء الظن به .. سبحانه عما يفترون .. جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً } .

حتى الأنبياء و الرسل ، قد يقعون في مثل هكذا اختبار و مَحص و يتعرضون لمثل هكذا أهواء .. و لعل سورة الضحى توضح شيئاً من هذا الأمر ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و الضحى (*) و الليل إذا سجى (*) ما ودعك ربك و ما قلى (*) و للآخرة خير لك من الأولى (*) و لسوف يعطيك ربك فترضى (*) ألم يجدك يتيماً فآوى (*) و وجدك ضالاً فهدى (*) و وجدك عائلاً فأغنى } .

كذلك الآية التي تقول ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك و ضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير و الله على كل شيء وكيل } .

و لعل الآية الأخطر في القرآن الكريم ، لجهة هذه المسألة ، هي ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره و إذاً لاتخذوك خليلاً } .

من هنا يمكن لنا أن نفهم ما هي القضايا الافتراضية .. و لماذا هي القضايا الافتراضية .. و لأي سبب جاءت القضايا الافتراضية .

من هنا أيضاً جاءت الآية القرآنية التي تقول ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فلا تخشوا الناس و اخشونِ و لا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } .

و من هنا أيضاً جاءت الآية الأكثر تحديداً و فصلاً في هذا الشأن ، التي تقول ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت و يُسَلّموا تسليماً } .

هنالك من لا يعجبه القرآن الكريم و لا يسري القرآن الكريم على هواه ، و يرى أن القرآن الكريم قد ضيّق عليه في كل مجالات هواه و متطلبات نفسه .. فلا بد و

الحال هذه ، من أن يبحث له عن مخرج أو يجد ملاذاً آمناً من أحكام القرآن الكريم الذي تحدث بدوره عن هذه القضية فقال ..

بسم الله الرحمن الرحيم { وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بَدِّله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم } .

و هنا .. نقع على قضية هامة جداً و هي على غاية من الخطورة ، لها ارتباط غير مباشر ربما ، في النأي عن القضايا الافتراضية في القرآن الكريم ، ألا و هي الكذب بآيات الله سبحانه و تعالى ، أي آيات ذكر الله سبحانه و تعالى ، القرآن الكريم ، و ذلك في أحد وجوهه ، الشطط فيها .. و الكذب بآيات الله سبحانه و تعالى ، هو غير إنكارها و تكذيبها .. الكذب بآيات الله سبحانه و تعالى ، يعني استخدام هذه الآيات القرآنية و صرفها في غير محلها الافتراضي و شروطها الحق ، و من ذلك مثلاً لا حصراً ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون (*) و يعبدون من دون الله ما لا يضرهم و لا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات و لا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون } .

هذه الآيات ربما توضح تماماً آلية استخدام البعض لآيات القرآن الكريم و صرفها و لَيّها عن مواضعها الافتراضية للوصول إلى غايات و مرامٍ خاصة بهم و بأهوائهم .

لقد دعا اللهُ سبحانه و تعالى ، عباده للاحتكام إلى القران الكريم لأنه كتاب حق ضمن الشروط الافتراضية الطبيعة .. و أي شطط في الاحتكام و التأويل و الشروط ،

يختلقه الناس لأجل ذلك ، هو غير مقبول و هو باطل في القرآن الكريم من حيث وضعه لهذه الشروط الافتراضية .

هنالك العديد من القضايا الافتراضية التي أوردها القرآن الكريم كضابط و مرجع .. نذكر منها في هذا الكتاب ..

القضية الافتراضية الأولى .. العبادة الافتراضية .

لقد خلق الله سبحانه و تعالى الكون و ما فيه و من فيه ، و جعل السماوات و الأرض و هيأ أسباب الحياة بمجموعها ، على كوكب الأرض بدءاً من خَلْقْ الكون و انتهاء بوجود الإنسان و استعماره الأرض .. و قد ذكر القرآن الكريم عملية بدء الخليقة هذه برمتها ، في آيات كثيرة عدة ، منها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و هو الذي خلق السماوات و الأرض في ستة أيام و كان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين و تجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين (*) و جعل فيها رواسي من فوقها و بارك فيها و قَدَّر فيها أقواتها في أربعة أيام سواءً للسائلين (*) ثم استوى إلى السماء و هي دخان فقال لها و للأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين (*) فقضاهن سبع سموات في يومين و أوحى في كل سماء أمرها و زَيّنا السماء الدنيا بمصابيح و حفظاً ذلك تقدير العزيز العليم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { أولم ير الذين كفروا أن السماوات و الأرض كانتا رتقاً ففتقناهما و جعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون (*) و جعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم و جعلنا فيها فجاجاً سبلاً لعلهم يهتدون (*) و جعلنا السماء

سقفاً محفوظاً و هم عن آياتها معرضون (*) و هو الذي خلق الليل و النهار و الشمس و القمر كل في فلك يسبحون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { الذي أحسن كل شيء خلقه و بدأ خلق الإنسان من طين (*) ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين (*) ثم سواه و نفخ فيه من روحه و جعل لكم السمع و الأبصار و الأفئدة قليلاً ما تشكرون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون (*) و الجان خلقناه من قبل من نار السموم } .

إذن .. و مما سبق من آيات ، يتضح لنا الكيفية و المراحل التي خلق الله سبحانه و تعالى بها الكون و ما فيه و من فيه .. و لكن تبقى قضية واحدة هي .. ما الغاية من خلق ذلك كله ؟؟!! و لماذا خلق الله سبحانه و تعالى ، الكون بما فيه و بمن فيه ؟؟!! .

في الواقع ، لم يخلق الله سبحانه و تعالى الكون بما فيه و بمن فيه ، هكذا جزافاً عبثاً ، بل كان له غاية محددة ، ذكرها القرآن الكريم و حددها في وجوه عدة و هي ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما خلقنا السماء و الأرض و ما بينهما لاعبين (*) لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدُنّا إن كنا فاعلين } .

تخبر الآيتان السابقتان هنا ، أن الرحمن رب العالمين لم يخلق الكون و ما فيه و من فيه ، هكذا من دون سبب أو من دون هدف أو لمجرد الخلق

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما خلقتُ الجن و الإنس إلا ليعبدونِ } .

بسم الله الرحمن الرحيم { أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً و أنكم إلينا لا ترجعون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { هو أنشأكم من الأرض و استعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و هو الذي خلق السماوات و الأرض في ستة أيام و كان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً } .

كذلك الأمر ، توضح سابق الآيات أن الله سبحانه و تعالى ، لم يخلق الإنسان عبثاً و لهواً أو لأجل لا شيء .. كلا بل كان له هدف و غاية من ذلك و هو خلق نظام إلهي رباني كوني متناسق يقوم على اتباع مشيئة الله سبحانه و تعالى في هذا الكون و إمضاء إرادته الربانية في الأرض و إنشاء الحضارة الإنسانية فيها باتباع أحكام و شرائع الرحمن رب العالمين .

إذن .. و بما أن الله سبحانه و تعالى ، قد أمضى مشيئته و إرادته في هذا الكون و خلق الكائنات العاقلة بما فيها البشر و أوكل إليها مهمة عبادته أي اتباع إرادته في إنشاء الحضارة الأرضية .. و فرض عليها عقوبات مشددة حال الإخلال بذلك .. فإذن و الحالة هذه لا بد من أن يكون الله سبحانه و تعالى قد وضع لها متطلبات افتراضية لتيسير عملها و القيام بعبادته على الوجه الأكمل الصحيح .. فما هي الحالة الافتراضية التي وضعها الله سبحانه و تعالى للبشر كي يقوموا بعبادته خير قيام و تماماً على الذي هو أحسن ، و التي هي موضوع القضية الافتراضية الأولى ؟؟!! .

إن الحالة أو القانون الافتراضي الذي وضعه الله سبحانه و تعالى ، للبشر كي يقوموا على عباده بالوجه الأمل و لا يشركوا به شيئاً هو .. الأمان و الشبع .. و هو ما تحدده و تخبر عنه الآيتان الأخيرتان من سورة قريش و التي تقول ..

بسم الله الرحمن الرحيم { لإيلاف قريش (*) إيلافهم رحلة الشتاء و الصيف (*) فليعبدوا رب هذا البيت (*) الذي أطعمهم من جوع و آمنهم من خوف } .

لقد حدد القرآن الكريم ، المنهج الرباني الافتراضي لعبادة الرحمن رب العالمين ، بأمرين اثنين هما .. الشبع أو الاكتفاء الذاتي من الطعام و الحاجات الإنسانية الضرورية ، و من ثم الأمان و الاطمئنان . و من دون هذين الشرطين الأساسين ، من الصعب أن يكون هنالك عبادة أو من الصعب أن تتحقق شروط العبادة الكاملة غير المنقوصة ، و سوف يتخلل هذه العبادة ، أعمال شرك لا محالة ، و ربما كفر أيضاً .. و هذا هو ما كان حال قبيلة قريش عليه ، من شرك و كفر و عبادة أوثان ، حتى في الكعبة بيت الله الحرام . و هو ما يشرح و يفسر حيثيات سورة قريش أيضاً و سبب طلب الله سبحانه و تعالى منهم ، عبادته عبادة كاملة لا شِيّة فيها و لا شبهة .. ذلك أنه سبحانه و تعالى قد وفّر لهم كل متطلبات العبادة الكاملة له أي الشروط و القوانين الافتراضية لها ، و هي ..

- الشبع و الاكتفاء الذاتي و غير الذاتي من كل متطلبات الجسد و النفس البشريين ، من طعام و وطر و إرب و ما يتبع ذلك كله .
- الأمان و الاطمئنان من أي خطر داهم ، أياً كان هذا الخطر .. خطر عدو خارجي .. خطر غازٍ دخيل .. خطر أمراض و أوبئة .. خطر حيوانات مفترسة .. خطر كوراث طبيعية أو بيئية ... الخ .

و لذلك طالبهم الله سبحانه و تعالى بالعبادة الكاملة له . و قرن مبررات طلبه لهم ، بالشروط الافتراضية التي حققها لهم . و يتضح ذلك من معنى الآيتين التي جعلهما الله سبحانه و تعالى شرط افتراضية للعبادة الكاملة له (فليعبدوا رب هذا البيت (*) الذي أطعمهم من جوع و آمنهم من خوف) نلاحظ هنا ، فاء الأمر و التأكيد ..

(فليعبدوا) و نلاحظ الاسم الموصول (الذي) و هنا هو بمعنى (لأنه كذا) فيصبح ارتباط الآية الافتراضي الشرطي هو .. **افعلوا كذا لأنني فعلت لكم كذا** .

و يلاحظ في القضايا الافتراضية الشرطية أنها في القرآن الكريم ، تأتي دائماً سابقة للطلب الإلهي . أي أنها تكون محَقَّقة و موجودة بالفعل قبل نزول الطلب ، فيراها الطرف الآخر أو الطرف المتلقي لها موجودة بالفعل ، واقعاً ملموساً حين نزول الطلب أو الأمر الإلهي له . و بالتالي لا مناص له من القبول بها لأنه قد حققت له شرط اللزوم و التنفيذ .

بالعودة إلى تاريخ السيرة النبوية و تاريخ الإسلام ، نرى أن مكة التي فيها الكعبة الشريفة ، البيت الحرام .. كانت آمنة تماماً من الأخطار و الكوارث الطبيعية البيئية و الأمراض و الأوبئة و الغزوات .. و قد ذكر القرآن الكريم ذلك فقال ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و قالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا و لكن أكثرهم لا يعلمون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدةً من الناس تهوي إليهم و ارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون } .

و عندما هاجمهم أبرهة الحبشي بجيشه ليدمر الكعبة بيت الله الحرام .. دَمّرَ الله سبحانه و تعالى ، عليه و على جيشه فأهلكهم أجمعين ، كما في سورة الفيل المذكورة في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل (*) ألم يجعل كيدهم في تضليل (*) و أرسل عليهم طيراً أبابيل (*) ترميهم بحجارة من سجيل (*) فجعلهم كعصف مأكول } .

لقد جاء في القرآن الكريم ، استثناءات عدة لعبادة الله سبحانه و تعالى ، في أحكامه التي وضعها للناس ، حتى تلك الصارمة منها ، و ذلك حال خروجها عن الوضع الافتراضي لها ، و من ذلك ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قل لا أجد في ما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتةً أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ و لا عاد فإن ربك غفور رحيم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم } .

واضح تماماً من الآيتين السابقتين أن الوضع الافتراضي لتحريم بعض الأطعمة و بعض الأمور من قبل الله سبحانه و تعالى ، هو وجود البديل المكافئ لها .. فلحم الخنزير أو الدم أو الميتة ، محرم كله عند الله سبحانه و تعالى ، لوجود اللحم الحلال البديل له .. كذلك الأمر بالنسبة لبعض الآثام و الذنوب و الكبائر ، كالزنا مثلاً التي هي محرمة لوجود الزواج الحلال كبديل لها .. كما أن الخليلة أو الصاحبة هي محرمة لوجود الزوجة الحلال كبديل لها .. كذا الأمر بالنسبة لزواج المحارم ، فهو محرم لوجود الأشخاص البدلاء للمحارم .. هذا الأمر يقودنا إلى النتيجة الربانية التالية ..

ما حرّم الله سبحانه و تعالى من حرام إلا و أحَل بديلاً له مِن حلال . كي لا يكون للناس على الله من حجة .

لقد أورد القرآن الكريم ، واقعة من أهم الوقائع التي تدل أهمية الوضع أو الحالة الافتراضية للأشياء و الأفعال و الأحكام و التعاطي معها .. و هي حادثة لم تَرِد ربما في أي كتاب آخر ، إلا و هي واقعة لقاء موسى مع الله سبحانه و تعالى ، من حيث التكليم .. إنها تعطي مثالاً حياً أعلى ، كيف أن الله سبحانه و تعالى ، قد اعتمد هذا المنهج مع موسى الرسول و تعاطى معه بصيغة الاستيعاب و الصبر .. و يمكننا معرفة ذلك من كلام الله سبحانه و تعالى مع موسى جانب الطور ، التي ذكرها القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و هل أتاك حديث موسى (*) إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدًى (*) فلما أتاها نودي يا موسى (*) إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوًى (*) و أنا اخترتك فاستمع لما يوحى (*) إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني و أقم الصلاة لذكري (*) إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى (*) فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها و اتبع هواه فتردى (*) و ما تلك بيمينك يا موسى (*) قال هي عصاي أتوكأ عليها و أهش بها على غنمي و لي فيها مآرب أخرى (*) قال ألقها يا موسى (*) فألقاها فإذا هي حية تسعى (*) قال خذها و لا تخف سنعيدها سيرتها الأولى (*) و اضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آيةً أخرى (*) لنريك من آياتنا الكبرى (*) اذهب إلى فرعون إنه طغى (*) قال رب اشرح لي صدري (*) و يسر لي أمري (*) و احلل عقدةً من لساني (*) يفقهوا قولي (*) و اجعل لي وزيراً من أهلي (*) هارون أخي (*) اشدد به أزري (*) و أشركه في

أمري (*) كي نسبحك كثيراً (*) و نذكرك كثيراً (*) إنك كنت بنا بصيراً (*) قال قد أوتيت سؤلك يا موسى } .

و جاء في موضع آخر من القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فلما قضى موسى الأجل و سار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون (*) فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين (*) و أن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً و لم يعقب يا موسى أقبل و لا تخف إنك من الآمنين (*) اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء و اضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون و ملئه إنهم كانوا قوماً فاسقين (*) قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون (*) و أخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون (*) قال سنشد عضدك بأخيك و نجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما و من اتبعكما الغالبون } .

و في موضع ثالث من القرآن الكريم ، جاء ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إذ قال موسى لأهله إني آنست ناراً سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون (*) فلما جاءها نودي أن بورك من في النار و من حولها و سبحان الله رب العالمين (*) يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم (*) و ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً و لم يعقب يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون (*) إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم (*) و أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون و قومه إنهم كانوا قوماً فاسقين } .

بالنظر إلى المواضع الثلاث السابقة نجد الأمور التالية ..

– **أولاً** .. إن الله سبحانه و تعالى بذات نفسه قد نزل إلى الأرض أو تكلم من بقعة منها و خاطب عبده موسى و لم يرسل له ملاكاً لينوب عنه أو يخبره مثلاً إن الله سبحانه و تعالى سيكلمه الآن .

– **ثانياً** .. إن الله سبحانه و تعالى قد عن عرّف نفسه بنفسه لموسى و لم يسمح لأحد آخر بالتعريف عنه من باب التبجيل و التوقير و الاحترام بل جعل ذلك مباشرة بينه و بين موسى .

– **ثالثاً** .. إن الله سبحانه و تعالى لم يسمح لأحد بحضور ذلك اللقاء .. لا من الملائكة و لا من غيرهم .. أو على الأقل أن يري أحداً منهم لموسى .. إذ كان من المفترض عادة أن يكون الله سبحانه و تعالى محاطاً بالملائكة في منظر مهيب أو على الأقل أن يراهم موسى .

– **رابعاً** .. الله سبحانه و تعالى طلب بنفسه من موسى أن يخلع نعليه و شرح له ذلك و بَرّر ، بأنه في الواد المقدس طوى .. و في الحالات الافتراضية كان يجب أن يطلب أحد ما من موسى أن يفعل ذلك ، لكن الله سبحانه و تعالى العزيز المتعال المتكبر .. لم يكلف أحداً ما بذلك بل قام هو بنفسه بهذه المهمة .

– **خامساً** .. يطلب الله سبحانه و تعالى من موسى أن يلقي عصاه ، و لما فعل موسى ذلك و تحولت العصا إلى ثعبان أو صارت حية تتحرك .. خاف موسى و هرب من فوره مع أنه كان بحضرة الله سبحانه و تعالى .. هرب و ترك الله سبحانه و تعالى و لم يلتفت إلى الوراء .. و مع ذلك فإن الله سبحانه و تعالى لم يغضب أو ينفعل أو يعاقب موسى لأنه فر من حضرته من دون استئذان (إذ كان من المفترض

أن يخاف موسى من الله سبحانه و تعالى ، لا من أفعى) .. بل ناداه مرة أخرى برفق طالباً منه العودة و ألا يخاف .

– **سادساً** .. بعد أن طلب الله سبحانه و تعالى من موسى الذهاب إلى فرعون و أنه سيمده بآيات بينات و معجزات و أنه سيكون معه ، احتج موسى بشكل غير مباشر و قال لله سبحانه و تعالى إنه قد لا يستطيع القيام بهذه المهمة لأن قوم فرعون قد يقتلونه و لأن قومه هو قد لا يصدقونه و يكذبونه و طلب من الله سبحانه و تعالى أن يرسل معه هارون ليساعده في مهمته تلك .. و هذا الأمر في الواقع الطبعي الافتراضي ، هو خطأ فادح بحق الله سبحانه و تعالى لأن ذلك يعني أنه لا يثق بالله سبحانه و تعالى أو أنه لم يقتنع كثيراً بكلامه أو أنه يريد أن يكون له رأيه الخاص به و مشيئته الخاصة و نظرته للأمور من دون الله سبحانه و تعالى .. أي بالمحصلة النهائية فإن موسى لم يحسن التصرف أمام الله سبحانه و تعالى .. و مع ذلك فإن الله سبحانه و تعالى لم يغضب منه أو يعاقبه أو يلومه بل لبى طلبه بكل بساطة .

– **سابعاً** .. كان الله سبحانه و تعالى يخاطب موسى دائماً باسمه الشخصي و لم يخاطبه مرة واحدة بغير ذلك أو بصفة ما .. كأن يقول له .. أيها الرجل .. أو أيها العبد .. أو أنت هناك تعال إلى هنا .. أو ما اسمك ... الخ .

بينما نرى أنه في العهد القديم في سفر الخروج في الإصحاح الرابع قد ثار غضب الرب على موسى لمجرد نقاشه و جداله معه .. [فقال موسى للرب : "استمع أيها السيد، لست أنا صاحب كلام منذ أمس و لا أول من أمس، و لا من حين كلمت عبدك، بل أنا ثقيل الفم واللسان".. قال له الرب: "من صنع للإنسان فما؟ أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيرا أو أعمى؟ أما هو أنا الرب؟ .. فالآن اذهب

و أنا أكون مع فمك و أعلمك ما تتكلم به".. فقال موسى : "استمع أيها السيد، أرسل بيد من ترسل" .. فحمي غضب الرب على موسى و قال: "أليس هارون اللاوي أخاك؟ أنا أعلم أنه هو يتكلم، و أيضا ها هو خارج لاستقبالك .

إذن .. و من خلال كل ما سبق من آيات قرآنية ، يتضح لنا تواضع الله سبحانه و تعالى لعبده موسى ، لكن هو تواضع الملك العزيز الجبار المتكبر الفَعّال لما يريد .. و إن تواضعه ليس كتواضع أي مخلوق بل هو من باب الرحمة كونه هو الإله الرحيم الذي اتخذ الرحمة صفة له و الذي وسعت رحمته كل شيء .. هو الله الحكيم الذي شاء بحكمته أن يتعامل مع موسى بالوضع الافتراضي بأن يكون أقرب إليه من إله .

لا يمكن لنا أن ندرك معنى القضية الافتراضية في العبادة إلا إذا نظرنا إلى الجانب الآخر من الخطاب الديني الذي هو خارج القرآن الكريم ، و الذي يمتلئ بالشطط والتحامل على أحكام الله سبحانه و تعالى .. و هو ما يُسمّى .. **شدة إحكام الأحكام** .. ذاك يقول بأحكام و أمور خارج طاقة البشر ، جسداً و عقلاً .. و ذاك يغالي في **شدة إحكام الأحكام** ، و هذا مسلك خطِر جداً .. ربما يُطرح لأول مرة في هذا الكتاب .. لأن شدة إحكام الأحكام تعني في وجه من وجوهها ، نفي الافتراضية عن أحكام القرآن الكريم ، و جعلها أحكام مطلقة لا تساهل فيها و لا مراعاة أبداً ، و بالتالي فهي في وجه من وجوهها .. عامل تنفير للناس من القرآن الكريم و من شرع الرحمن رب العالمين ، بشكل أو بآخر .

و واجب التذكير هنا بقضية الاختلاف الجذري فيما بين مفهوم شدة إحكام الأحكام و إخراجها من الحيز الافتراضي الشرطي لها ، و بين مفهوم منع حرف الأحكام القرآنية الشرعية عن مقاصدها الحقيقة و محاولة التغيير فيها و التحوير ..

الأمران مختلفان تماماً لكن ربما تقع شبهة على من أشبهت عليه الشبهات .. و هذان الأمران ينطبق على الأول منهما ، الآية القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و قال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه لعلكم تغلبون } .

بينما الأمر الثاني ينطبق عليه الآية القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر } .

و عَودٌ على ذي بدء فإننا عندما ننظر إلى التاريخ البشري منذ بدايته و إلى الآن ، نرى أن منهج العداء لله سبحانه و تعالى ، قد اتخذ في أحد وجوهه مبدأ إخراج العبادة لله سبحانه و تعالى ، من شرطيها الافتراضيين ، و هما الطعام من الجوع ، و الأمن من الخوف . و عمل أصحاب هذا المنهج على وضع العالم كله ، منذ بداية التاريخ البشري و إلى الآن ، في حيز الجوع و الخوف معاً و بالتالي ، السعي إلى تعطيل عبادة الله سبحانه و تعالى و منهاج قوانينه في البشر تحديداً ، و إقعاد صراطه المستقيم ، و بالتالي عدم الشكر لله سبحانه و تعالى ، أي عدم رد هذه النِعَم جميعها لله سبحانه و تعالى ، بالعمل و العبادة الصالحة المستقيمة .. و لا أدل على ذلك من الآية القرآنية التي تقول ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قال أنظرني إلى يوم يبعثون (*) قال إنك من المنظرين (*) قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم (*) ثم لآتينهم من بين أيديهم و من خلفهم و عن أيمانهم و عن شمائلهم و لا تجد أكثرهم شاكرين } .

هذه القضية تقودنا إلى قضية أخرى أو بالأحرى ، الارتباط بين فيما بينها و بين قضية الحضارات الإنسانية عبر التاريخ البشري .. من حيث أننا إذا دققنا في

حيثيات نشوء أية حضارة إنسانية ، نرى أنها ارتكزت على أمرين اثنين لا ثالث لهما ، و هما .. الأمن أي الاستقرار و الأمان و انتفاء الاضطرابات السياسية و الدينية و غيرها .. و الشبع أي الاكتفاء الذاتي و غير الذاتي من الموارد الطبيعية و الغذائية و غيرها .. أي بمعنى أدق و أوضح .. إن الحضارات الإنسانية منذ تاريخ البشرية و إلى الآن ، قامت على مبدأين اثنين هما .. الإطعام من الجوع و الأمان من الخوف .. و لا توجد حضارة إنسانية واحدة منذ تاريخ البشرية و إلى الآن ، قامت على خلاف هذين المبدأين .. بل العكس هو الصحيح أيضاً ، من حيث أن زوال أية حضارة إنسانية عبر التاريخ البشري ، كان من خلال زوال هذين الأمرين .. هذه متلازمةٌ صنوانٌ لا انفصام لها .

إذن .. و من خلال ما سبق نصل إلى نتيجة هامة جداً ألا و هي .. إن عبادة الرحمن ، هي نظام كامل مكتمل شامل قائم في أحد وجوهه على إنشاء حضارة إنسانية أخلاقية خلّاقة قائمة على الإيمان بالرحمن رب العالمين و التقيد بشرائعه و منهج أحكامه جميعاً .

لكن ذلك لا يعني أن كل حضارة بشرية ، هي حضارة قائمة على تقوى الله سبحانه و تعالى و على أحكامه ، حتى و لو ارتكزت على المبدأين السابقين .. الأمن و الاكتفاء .. ذلك أن معظم و ربما كل الحضارات البشرية ، عبر تاريخ البشرية و إلى الآن ، قائمة على الاحتلال و الظلم و القهر و الحروب و القتل و الاستعباد و النهب و كل أمر فيه أذى و سوء و شر .. أي أنها نعم حضارة لكنها ليست حضارة قائمة على المنهج الإلهي الرحماني بل على عكسه تماماً .. لكن كان لا مناص لها من الارتكاز على المبدأين السابقين .. الأمن و الاكتفاء .. و لذلك لجأ البشر عبر تاريخهم الطويل إلى الاحتلال و الاستعمار و سرقة خيرات بعضهم

البعض و إنشاء الممالك و الامبراطوريات القوية العملاقة ، فحققوا بذلك شروط بناء الحضارة و هي .. الأمن و الاكتفاء ، لكن من طُرُق الظلم و الكفر و الفساد و ليس من طُرُق عبادة الرحمن رب العالمين .

بالعودة إلى قانون الوضع الافتراضي الذي وضعه الرحمن رب العالمين لعبادته ، و هو الأمن من الخوف و الإطعام من الجوع .. نرى أن هنالك آيات قرآنية أخرى ناظمة لهذا القانون الافتراضي لعبادة الرحمن رب العالمين ، و هي بمنزلة أحكام عامة شاملة و مهيمنة على بقية الأحكام القرآنية الأخرى ، لكنها مختصة بالله سبحانه و تعالى ، و من هذا الآيات ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر } .

بسم الله الرحمن الرحيم { لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت و عليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا و لا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا و لا تحملنا ما لا طاقة لنا به و اعف عنا و اغفر لنا و ارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج و لكن يريد ليطهركم و ليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و جاهِدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم و ما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { ليس على الأعمى حرج و لا على الأعرج حرج و لا على المريض حرج و لا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم

أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم (*) و أن عذابي هو العذاب الأليم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به و لكن ما تعمدت قلوبكم و كان الله غفوراً رحيماً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها و من جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها و هم لا يُظلَمون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده و أصلح فأنه غفور رحيم (*) و كذلك نُفَصّل الآيات و لتستبين سبيل المجرمين } .

لقد بيّن الرحمن رب العالمين في الآيات السابقة ، الحالات الافتراضية الناظمة لعبادته و التي هي بمنزلة شروط حاكمة ناظمة لها .. و لذلك فأي تعارض لهذه الشروط مع القواعد الافتراضية ، يجيز للإنسان عدم التقيد أو الالتزام التام بها ، كونها تعارضت مع القوانين الافتراضية الحاكمة لها و المهيمنة عليها .

كما بيّن الرحمن رب العالمين أن رحمته هي الأساس في حُكمِه و عدله بين الناس و هي الغالبة على غضبه و عقابه .. و بيّن كذلك أيضاً أن الجزاء على السيئات هو جزاء مكافئ معادل لا زيادة فيه ، بينما الجزاء على الحسنات هو جزاء مضاعف ..

و في ذلك تشجيع للخير و الإحسان و الصلاح و التقوى .. و بيّن سبحانه و تعالى أن عذابه شديد صعب ، لكنه بيّن في الوقت نفسه أنه سبحانه ، هو الغفور الرحيم الذي يقبل توبة عباده و يترك باب التوبة مفتوحاً لمن يريد الدخول .. كذلك بيّن الرحمن رب العالمين لعبادة كيف يدعونه و يطلبون الرحمة منه و المغفرة حال ارتكابهم الذنوب و المعاصي .. و أجاز لهم أن يطلبوا إليه إلا يُحمّلهم أعباءً و قيوداً إضافية كما جعلها على من كان قبلهم من أقوام و أمم .. كما بيّن لهم أن أخطاءهم ، هي بمعظمها من الكافرين و من المجرمين .

ذلك كله هو الشرع الافتراضي الحاكم و الناظم لعبادة الله سبحانه و تعالى ، و هو الداعم و المتلازم للقانون الافتراضي الأساس لعبادة الرحمن رب العالمين .. الإطعام من الجوع و الأمان من الخوف .

مما سبق من ذلك كله ، يتبين لنا إذن .. أن أنجع طريقة لصرف الناس عن عبادة الرحمن رب العالمين ، العبادة الحق ، تماماً على الذي أحسن ، يرضاه الرحمن لعباده ، هو جعل الناس في حالة من الجوع بأنواعه كافة ، و كذلك جعلهم بحالة من الخوف بأنواعه كافة .. ربما من هنا جاء المثل المشهور عند الناس و هو .. الجوع كافر .

فالجائع ، يضطر في نهاية المطاف إلى ارتكاب أعمال و تصرفات مخالفة تماماً للشرع القرآني كله ، ليبقى على قيد الحياة ، و هو قد يرتكب الموبقات و الفواحش الجنسية المحرمة في القرآن الكريم من زنى و لواط و غيره ، حال كان جائع جنسياً و مكبوتاً و ممنوع عنه الزواج و الاستقرار العاطفي .

كذلك الإنسان الخائف قد يضطر نهاية المطاف للقبول بأوامر و إملاءات الطرف الذي يشكل خطراً عليه ، و لو كانت مخالفة للشرع القرآني .. أو يضطر للإخلال ببعض شروط و أحكام الشرع القرآني نتيجة للخوف و القلق الذي يعتريانه .

و لنا أن ننظر الآن إلى الوضع الحالي في العالم كله ، من حروب و ويلات و قهر و جوع و ألم و ظلم و قتل و دم و دعارة و جنس و شذوذ و .. و .. إلى آخر ذلك كله . و ما يرافق ذلك كله من كفر و فساد و شرك و عصيان و دعوات متواترة إلى الإلحاد و الخروج عن أوامر و نواهي الرحمن رب العالمين .. لندرك معنى قوله تعالى ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فليعبدوا رب هذا البيت (*) الذي أطعمهم من جوع و آمنهم من خوف } .

القضية الافتراضية الثانية .. الاعتدال و الوسطية .

القرآن الكريم ، هو ليس فقط كتاب دين و روحانيات و مناسك و غيبيات ، بل هو كتاب عقل و علم و منطق ، و أكثر من ذلك كله .. هو كتاب أنزله الرحمن رب العالمين رحمة منه و رأفة بعباده ليكون لهم هدى و نور و يخرجهم من ظلمات يعرفها جيداً ، و هي آتيتهم لا محالة .. كيف لا و هو القائل ..

بسم الله الرحمن الرحيم { كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته و ليتذكر أولو الألباب } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد جئناهم بكتاب فصّلناه على علم هدًى و رحمةً لقوم يؤمنون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر من ربكم و هدًى و رحمة لقوم يؤمنون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون } .

إذن .. فالقرآن الكريم ، هو كتاب مُنزَلٌ للبشر من الرحمن إلههم و ربهم و خالقهم الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء ، فيه الهداية و الرحمة لهم و الراحة و السعادة .. أنزله الرحمن إلههم و ربهم و خالقهم الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء ، لهم ليتفكروا فيه قبل أن يخِرّوا عليه تلاوة و ترديداً ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و الذين إذا ذُكِّروا بآيات ربهم لم يخِرّوا عليها صماً و عمياناً } .

بل هو كتاب للقراءة و التفكر و التمعن فيه و استخلاص المعاني و الدروس و العبر .. فيه من العلم ما فيه .. و فيه من الهداية ما فيه .. و فيه من الحكمة ما فيه .. كيف لا ، و الرحمن رب العالمين قال فيه ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لو أن قرآناً سُيّرت به الجبال أو قُطِّعَت به الأرض أو كُلِّم به الموتى } .

بسم الله الرحمن الرحيم { لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله و تلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون } .

كيف لا و قد قالت فيه الجن ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً (*) يهدي إلى الرشد فآمنا به و لن نشرك بربنا أحداً } .

من منطلق ما سبق .. فإن القرآن الكريم قد اعتمد –كما ذكرنا من قبل – القضايا المنطقية و الافتراضية في مخاطبة البشر جميعاً .

إن من إحدى أهم القضايا الافتراضية التي وضعها القرآن الكريم كضابط و ناظم لأحكامه ، هي الاعتدال و الوسطية .. الاعتدال و الوسطية في كل شيء ، و جعْلها منطقاً افتراضياً ، ليس فقط لحياة البشر و أعمالهم و تصرفاتهم و أقوالهم ، بل حتى لنظام الكون كله بما فيه و من فيه .. فالاعتدال و الوسطية ، مفهوم و منطق يعني منع الشطط و منع التطرف و الإسراف في الأشياء و بالتالي خروجها عن مسارها الصحيح .. هو منطق منع الغلو ، لأن الغلو في الأشياء ، لا بد مُخرِجُها عن

مسار الحق و الشرع القرآني السليم ، و سائر بها إلى مهاوي الضلال أو الشرك و الكفر .

الاعتدال و الوسطية ، كمفهوم .. يعني الحق و الصراط المستقيم .. لأن الوسط في الشيء هو المركز من هذا الشيء و هو عينه ، تماماً كما هو قُطْب الرحى من الرحى .. و الوسط أيضاً كمفهوم و مصطلح ، يعني الحياد في الشيء أو من الشيء الذي يعني الوقوف على مسافة واحدة بين أمرين أو طرفين أو قضيتين ، إما لاستبيان حقيقة معينة أو لاستيضاح حق و حكم معين .. و هذا أمر مقدمته الشك في الأشياء و الأمور .. فعندما يشك المرء في قضية بين أمرين أو مفهومين أو موقفين ، يأخذ موقف الحياد أو المسافة الوسط فيما بينهما ، تمهيداً لاستبيان الحقيقة كاملة .

الاعتدال أيضاً و الوسطية ، يعنيان في وجه من وجوههما .. مسافة الأمان ليس بالضرورة بين أمرين اثنين أو أكثر ، بل ربما بين أمر واحد فقط أو كائن واحد .. فمثلاً عندما يكون المرء في البرية و يرى من بعيد كائناً غريباً لا يستطيع التعرف على هويته ، فإنه لا يقترب منه كل الاقتراب ، بل يُبقي على ما يسمى بمسافة أمان .. هذا نوع من أنواع الوسطية .

الاعتدال و الوسطية تعني أيضاً التوافق و التوفيق بين الأشياء و محاولة التقريب فيما بينها .. و لذلك يقال أحياناً ما اشتُهِر و عُرِف بين الناس بعبارة .. الحل الوسط .. و هو الحل الذي يتم اعتماده لتقريب وجهات نظر معينة بين طرفين أو أطراف عدة ، سواء في خصومات معينة أو منازعات أو خلاف على حقوق و واجبات .. من هنا يقال عن الحل الوسط .. الحل الذي يرضي جميع الأطراف .

كذا الأمر فإن الاعتدال و الوسطية ، يقعان أيضاً في مجال العلم و العلوم التطبيقية و النظرية الوضعية ، و حتى تلكم العلوم الاجتماعية .. فمثلاً عند مراقبة ظاهرة

علمية معينة ذات شبهة علمية أو منطقية أو ليس معروفة من قبل .. فأنه يتم اعتماد الحياد اتجاهها و إطلاق فرضيات عدة حولها ، حتى التأكد من صحة إحداها أو عدم صحتها ، فيتم من ثم اعتماد تلك الظاهرة بناء على قبول تلك الفرضية المعينة أو عدم اعتمادها بناء على رفض تلك الفرضيات أو عدم التمكن من إثبات صحتها .

إذن .. و من خلال ما سبق نقول .. إن الاعتدال و الوسطية ، هو مفهوم إما ثابت و إما مؤقت للتثبت من شيء ما .. و الاعتدال و الوسطية ، هو في أساسه ، مفهوم لا يتعلق بالنفاق أو الانتهازية ، لأنه إن استُخدِم لأجل ذلك ، لصار عبارة عن نفاق خالص و هذا ما ليس هو مبحثنا في هذه القضية الافتراضية .. علماً أن القرآن الكريم قد تطرق لتلك القضية ذات الانتهازية و النفاق . فقد جاء فيه ..

بسم الله الرحمن الرحيم { الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم و إن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم و نمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة و لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً (*) إن المنافقين يخادعون الله و هو خادعهم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي و من اهتدى } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و من الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً و يتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء و الله سميع عليم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { إن المنافقين يخادعون الله و هو خادعهم و إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس و لا يذكرون الله إلا قليلاً (*) مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء و من يضلل الله فلن تجد له سبيلاً } .

لقد أوضح القرآن الكريم قضية الوسطية المتعلقة بالنفاق و المنافقين ، و أبان أن لا علاقة لها بمفهوم الوسطية الافتراضي .. ذلك أن المنافقين هم من يلجأون لهذا الأسلوب عمداً من أجل التغطية على نفاقهم .. تماماً كما يفعلون مع مفهوم الإيمان بالله سبحانه و تعالى ، من حيث يتخذونه ستاراً لنفاقهم و عدائهم للإسلام ، كما ذكر القرآن الكريم ، في آيات عدة ، منها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و الله يشهد إن المنافقين لكاذبون (*) اتخذوا أيمانهم جنةً فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون } .

فهل نتهم مفهوم الإيمان ، بالنفاق إن اعتمده المنافقون غطاء لهم و جُنّة ؟؟!! ذلك أمرٌ عِوَجٌ لا يستقيم ، و هذا ما يمكن إسقاطه أيضاً على مفهوم الاعتدال و الوسطية الذي دعا إليه القرآن الكريم ، في آيات عدة ، منها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و كذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً } .

يتضح من عبارات الآية السابقة و دلالاتها ، أنها إشارة قوية جداً على اشتمال مفهوم الاعتدال و الوسطية ، لمجمل أحكام الدين الإسلامي الحنيف .. فكلمة (جعلناكم) تعني في القرآن الكريم الوضع الثابت الذي لا يتغير .. ذلك أن كل ما جعله الله سبحانه و تعالى ، في القرآن الكريم ، هو ثابت لا يتغير .. و لا أدل على ذلك من آيات كثيرة في القرآن الكريم ، منها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون } .

هذا قانون فيزيائي ثابت لا يتغير .

بسم الله الرحمن الرحيم { و هو الذي جعل لكم الليل لباساً و النوم سباتاً و جعل النهار نشوراً } .

قوانين الليل و النهار و خصائصهما ، هي ثابتة لا تتغير .. هذه قوانين فلكية ثابتة .

بسم الله الرحمن الرحيم { تبارك الذي جعل في السماء بروجاً و جعل فيها سراجاً و قمراً منيراً (*) و هو الذي جعل الليل و النهار خلفةً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { الذي جعل لكم الأرض مهداً و سلك لكم فيها سبلاً و أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى } .

بسم الله الرحمن الرحيم { هو الذي جعل الشمس ضياءً و القمر نوراً و قدّره منازل } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر و البحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { الله الذي جعل لكم الأرض قراراً و السماء بناءً } .

يُلاحَظ مما سبق من آيات ، أن الأشياء التي جعلها الله سبحانه و تعالى ، هي أشياء ثابتة لا تتغير و لا يمكن حتى تغييرها .. لا من قِبل الإنسان ، و لا من غيره ، إلا أن يغير الله سبحانه و تعالى ، فيها بنفسه .

إذن .. و مما سبق ، فإن جَعْلَ الله سبحانه و تعالى ، لأمة الإسلام منذ عهد إبراهيم و إلى عهد الرسول الكريم محمد و إلى الآن ، أن يكون وسطاً ، فإن ذلك يعني أمرين اثنين ..

الأول .. أن مجمل أحكام الدين الإسلامي الحنيف ، عبر التاريخ ، كانت من منطلق و منطق الاعتدال و الوسطية .. و لم يكن فيها شيء من غلوّ أو تطرّف أو شطط و شطْحْ .

الثاني .. أن هذا الاعتدال و الوسطية ، كان ذا صبغة أو صيغة افتراضية .. ذلك لأن الله سبحانه و تعالى ، قد جعله في مجموع أمة الإسلام و المسلمين و لم يقتصر فيه على فئة محددة ، منهم مثلاً أم من غيرهم ، بل جعله في العموم و في الأحكام و الشرائع من حيث أنه كان من الواضح تماماً أن الله سبحانه و تعالى ، قد قصد الأحكام و ليس الموضع الجغرافي أو الزمني أو غير ذلك .

لقد تم اعتماد الحالة الوسطية كحالة افتراضية و كحالة مثلى ، حتى في مجالات العلوم و الصناعات التطبيقية ، فيلاحظ مثلاً في علم الطب أن المعايير الأساس لجسم الإنسان هي المعاير الافتراضية ، فمثلاً درجة حرارة الأنسان الافتراضية ، تتراوح بين درجة / ٣٥ – ٣٧ / فإذا زادت عن ذلك أو نقصت ، شكّل هذا عامل خطر على الإنسان و على حياته ، و اعتُبِر بمثابة مرض .. كذا الأمر في صناعة السيارات مثلاً ، نجد أن السرعة الافتراضية للعربة ، هي السرعة المتوسطة و هي السرعة الأكثر أماناً للعربة و من فيها ، فإذا زاد مقدار السرعة عن حد معين ، شكّل هذا عامل خطر على العربة و على من فيها .. و قس على ذلك الكثير .

حتى إذا نظرنا بشكل عام ، إلى المعايير الافتراضية الموضوعة من قبل الإنسان ، في أشكال و مناحي الحياة ، لوجدناها تتموضع في القيم الوسطى من مجال الحد الأدنى

و الحد الأعلى لعمل الأشياء و طاقتها .. و إن أي جنوح عن هذه المعايير أو التطرف فيها نحو الأدنى أو الأعلى ، شكّل ذلك خطراً على سلامة ما هو خاضع لتلك المعايير ، سواء أكان بشراً أم حيواناً أو نباتاً أم جماداً مصنوعاً أم غير ذلك .

إذا فإن الحكمة الإلهية الربانية ، عندما اقتضت أن تكون المعايير الافتراضية للأحكام الدينية و الشرعية ، هي المعايير الوسطى من القِيَم الخاصة بها ، فإنها فعلت ذلك بناءً على ابتغاء معايير السلامة و الأمان للإنسان نفسه و عدم تحميله ما لا طاقة له به .. و لذلك نجد الآية القرآنية التالية التي فرضت عقوبات معينة أو بدائل ، لنقض بعض الأحكام الشرعية القرآنية و مخالفتها ، قد وضعت ذلك ضمن المجالات الوسطى ، و من هذه الآيات مثلاً ..

بسم الله الرحمن الرحيم { لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم و لكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم و احفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون } .

لقد حددت الآية القرآنية ، أن مقدار الطعام الذي يجب أن يقدمه الشخص الذي لا يريد الصوم ، يتحدد بمقدار الطعام الوسطي الذي يأكله في اليوم الواحد .. لا زيادة و لا نقصان .. فلا يحصل عبئ على المتصدِّق طعاماً ، حال الزيادة في مقدار الطعام .. و لا يحصل ظلم على المتصَدَّق عليه حال النقص فيه .. كذلك الأمر حال كسوة هذا الشخص .

كذلك أورد القرآن الكريم ، الوسطية كحالة افتراضية ، في الحياة العامة للأشخاص و في تعاملاتهم الاقتصادية و جعلها كأداة للعيش الكريم و عدم الوقوع في مرامي الفقر و العوز .. جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك و لا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً } .

و قد تطرق القرآن الكريم إلى الضد المقابل للاعتدال و الوسطية ، و سماه بمسميات عدة كلها ليست بمسميات حسنة ، مثل الغلو و الإسراف و الشح و البخل .. كلها مصطلحات و مفاهيم أوردها القرآن الكريم بصفات غير حسنة و لا مستحسنة بل بمصاف السوء و الأذى ، و من ذلك مثلاً ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زُيّن للمسرفين ما كانوا يعملون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون و ملئهم أن يفتنهم و إن فرعون لعالٍ في الأرض و إنه لمن المسرفين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و أن مرَدّنا إلى الله و أن المسرفين هم أصحاب النار } .

بسم الله الرحمن الرحيم { الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل و يكتمون ما آتاهم الله من فضله و أعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل و من يتول فإن الله هو الغني الحميد } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و أما من بخل و استغنى (*) و كذب بالحسنى (*) فسنيسره للعسرى (*) و ما يغني عنه ماله إذا تردى } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما كان لنبي أن يغل و من يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت و هم لا يظلمون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم و لا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله و كلمته ألقاها إلى مريم و روح منه فآمنوا بالله و رسله و لا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات و ما في الأرض و كفى بالله وكيلاً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق و لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل و أضلوا كثيراً و ضلوا عن سواء السبيل } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء و لو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة و إن تصلحوا و تتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و الله يريد أن يتوب عليكم و يريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً } .

يُلاحَظ إن كل ما أورده القرآن الكريم من صفات و مفاهيم منافية للاعتدال و الوسطية ، هي مفاهيم قبيحة مكروهة لا بل و معاقَب عليها من قِبَل الله سبحانه و تعالى .. و يُلاحَظ أن هذه المفاهيم القبيحة المكروهة المعاقَب عليها ، هي مفاهيم تُشَكِّل أحد طرفي الاعتدال و الوسطية ، و ليست أطراف مفهوم آخر كالإيمان أو الكفر .. فالإسراف هو الخروج عن خط الوسط في قضية ما ، و الزيادة فيها بشكل

غير مبرر أو مقبول .. أما البخل فهو الخروج عن خط الوسط في هذه القضية ، و النقصان فيها بشكل غير مبرر أو مقبول .

أما الغلو في شيء ما ، فيعني الزيادة في النحو لأحد أطرافه .. إما هذا الطرف أو ذاك .. أي الابتعاد عن خط الوسط إلى أحد أطرافه ، كذلك الأمر من دون مبرر أو سبب موجب .

كذلك هو الميل .. الذي هو الجنوح لأحد أطراف الشيء و الابتعاد عن خط الوسط فيه .

إن ما يميز مفهوم الاعتدال و الوسطية ، هو المقدرة على المناورة حال الحرج من شيء ، و لو في جزء يسير ، و ذلك تجنباً للوقوع في المهالك أو الأخطاء أو ثغرات معينة .. لأن الميل اليسير .. حال الاضطرار .. خارج خط الوسط إلى أحد أطرافه ، لا يضير في الأمر شيئاً و هي قضية أمر الله سبحانه و تعالى ، بها في بعض الأحايين من حيث جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و اذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه و من تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى و اتقوا الله و اعلموا أنكم إليه تحشرون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة و على المولود له رزقهن و كسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها و لا مولود له بولده و على الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما و تشاور فلا جناح عليهما و إن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف و اتقوا الله و اعلموا أن الله بما تعملون بصير } .

لقد دلّت الآيات السابقة على أن لا إمكانية للمناورة المسموح بها إلا أن يكون المرء في خط الوسط أو منطقة الوسط .. ذلك لأن المناورة في مكان خارج خط الوسط أو على أحد الأطراف منه ، هو أمر محفوف بالمخاطر و قد يؤدي بالمرء إلى حافة المخاطر و الهلاك ، و هو ما عبر عنه القرآن الكريم في آيات عدة ، منها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله و رضوان خيرٌ أم من أسس بنيانه على شفا جرف هارٍ فانهار به في نار جهنم و الله لا يهدي القوم الظالمين } .

فعندما يكون المرء قريباً من شفا حفرة أو هاوية أو جرف صخري عميق أو سفح وادي ، فإن مجال المناورة لديه يكون ضيقاً محدوداً .. أما إن كان في مكان بعيد نسبياً عن مثل هكذا أماكن ، يصير مجال الحركة و المناورة أوسع لديه .. إن هذا هو بالضبط ما أراده الرحمن رب العالمين من عباده ، في أحكامه و شرائعه .. و ربما من هذه النقطة بالذات أيضاً ، خفف الرحمن رب العالمين عن عباده في أمور و شرائع معينة ، من حيث قال ..

بسم الله الرحمن الرحيم { الآن خفف الله عنكم و علم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مائتين و إن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله و الله مع الصابرين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و الله يريد أن يتوب عليكم و يريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً (*) يريد الله أن يخفف عنكم و خُلِقَ الإنسان ضعيفاً } .

أي أن الله سبحانه و تعالى ، يريد أن يخفف عن عباده بأن يعود بهم إلى خط الوسط ، على عكس الكفار الذين يتبعون الشهوات و الذين يريدون بالناس أن يجنحوا عن خط الوسط إلى العهر و الفجور و الفسق .

و من هنا أيضاً ربما قال الرحمن رب العالمين لعباده إنه لا يكلف نفساً إلا وسعها ، من حيث قال في محكم تنزيله ..

بسم الله الرحمن الرحيم { لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت و عليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا و لا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا و لا تحملنا ما لا طاقة لنا به و اعف عنا و اغفر لنا و ارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين } .

يُلاحَظ هنا أن الإصر و الطاقة ، هما زيادة في التكليف .. و ربما لاحظ القارئ الكريم كيف ارتبطتا مع عبارة (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) فعندما يكلف الله سبحانه و تعالى ، الإنسان شيئاً فوق طاقته الافتراضية و زيادة عن خط الوسط لمقدراته على التحَمّل ، يصبح هذا الشيء عبئاً ثقيلاً على الإنسان ، و إصراً لا طاقة له على حمله أو احتماله .

لكن القرآن الكريم قد نَوّه إلى نقطة هامة جداً ، و هي أن الوسطية تكون في كل شيء إلا في الحق .. الحق وحده لا توَسّط فيه و لا مناورة و لا مجال لتأويل أو لغيره .. و الحق وحده هو الواجب الغلو فيه و التمسك به حتى العظم .. فالحق حق ، أحَقُّ أن يُحَقّ .. **الحق أقرع أصَمّ لا يُمَحّك و لا يُبَعّض** .. و قد ذكر القرآن الكريم ذلك في مواضع كثيرة ، منها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إذ دخلوا على داوود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق و لا تشطط و اهدنا إلى سواء الصراط } .

الحق هنا بموجب الآية السابقة هو الوسط و هو القانون الافتراضي الذي يجب أن يؤخذ به ، و أي ميل عنه ، هو شطط و ضلال .

بسم الله الرحمن الرحيم { يا داوود إنا جعلناك خليفةً في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب } .

أيضاً تخبر الآية السابقة أن الحق الثابت هو معيار الحكم بين الناس و لا يمكن بحال من الأحوال الميل فيه أو المداهنة و الميوعة .. فأي ميل عنه ، هو الهوى و الضلال بعينه كما تخبر الآية .

بسم الله الرحمن الرحيم { حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل } .

كل ما هو مختص بالله سبحانه و تعالى ، هو حق ثابت لا يمكن المساس به أو التغيير أو المداهنة .. و لا أدَلّ من ذلك على الآية التالية التي تخبر أنه حتى الرسول الكريم محمد لا يمكنه أن يتصرف بشيء من عنده بالنسبة لله سبحانه و تعالى أو لذكره القرآن الكريم ، و أنه إن تصرف و لو بشيء بسيط من ذلك فإن عقابه سيكون شديداً ..

بسم الله الرحمن الرحيم { تنزيل من رب العالمين (*) و لو تقول علينا بعض الأقاويل (*) لأخذنا منه باليمين (*) ثم لقطعنا منه الوتين (*) فما منكم من أحد عنه حاجزين } .

و تأتي الآية التالية لتبين لنا أن الغلو فقط في الحق و في الله سبحانه و تعالى ، هو مسموح تماماً ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم و لا تقولوا على الله إلا الحق } .

لذلك .. بِناءً عليه و عليه بِناء .. فإن كل ما هو خارج مفهوم الاعتدال و الوسطية .. من دون الله سبحانه و تعالى و من دون الحق .. هو ضلال و تيه و تطرّف لا يؤدي إلا إلى الكفر و الفسوق و العصيان .

القضية الافتراضية الثالثة .. اتّباع الأسباب .

خلق الله سبحانه و تعالى ، السماوات و الأرض و ما فيهن و من فيهن ، بالحق .. وقلنا من قبل إن الحق في وجه من وجوهه ، يعني القوانين الكونية الافتراضية بما فيها حقيقةً ، تلكم القوانين العلمية الوضعية التي اكتشفها الإنسان و لم يخترعها من ذاته أو لدنه .. كقوانين الفيزياء و الكيمياء و الرياضيات و غيرها من القوانين .. فهذه قوانين تعَرّف عليها الإنسان خلال بحثه و تنقيبه في الأرض و اكتشفها بما مَنَّ الرحمن رب العالمين عليه من عقل و فتَحَ من آفاق .. كيف لا ، و العلم الحديث اليوم قد اكتشف أن كثيراً من الحشرات و الحيوانات و الطيور ، تُطَبق نفس تلك القوانين العلمية التي اكتشفها هذا الإنسان و ظن في قرارة نفسه أنه هو من اخترعها .

لقد ربط الرحمن رب العالمين .. قوانين العلم التطبيقي التجريدي الذي ألهمه للإنسان ليكتشفه ، مع قوانين الكون كلها .. فالكون كله بما فيه و من فيه ، له قوانينه الثابتة الكاملة المتكاملة التي جعلها الرحمن رب العالمين فيه .. فهو القائل في محكم تنزيله الحكيم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما خلقنا السماوات و الأرض و ما بينهما لاعبين (*) ما خلقناهما إلا بالحق و لكن أكثرهم لا يعلمون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { هو الذي جعل الشمس ضياءً و القمر نوراً و قدَّره منازل لتعلموا عدد السنين و الحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفَصِّل الآيات لقوم يعلمون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما خلقنا السماء و الأرض و ما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار } .

إن دلالة ما سبق من آيات ، لهي واضحة تماماً ، على ترابط قوانين الكون كلها بعضها مع بعض ، و على أن قوانين العلم التطبيقي التجريدي الذي اكتشفه الإنسان لاحقاً بفضل من الرحمن رب العالمين و نعمة منه ، ما هي إلا جزءاً بسيطاً يسيراً من هذه القوانين الكونية ، كما قال القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما أوتيتم من العلم إلا قليلاً } .

فهذا العلم البسيط القليل النزر اليسير ، هو تلكم القوانين الأرضية التي اكتشفها الإنسان .

إذن .. و من كل ما سبق ، يتضح لنا أن قوانين الأرض و الحياة و العلم فيها ، هي قوانين ثابتة و شاملة و لا بد منها للعيش في هذه الأرض و استعمارها و السيطرة عليها و التحكم بمواردها من قِبل الإنسان .. فكل شيء في هذا الأرض و في الفضاء المحيط فيها ، له قوانينه الخاصة به التي وضعها له الرحمن رب العالمين .. و هي قوانين ثابتة لا يمكن تغييرها أو تعديلها من قبل الإنسان .. و قد أظهر العلم الحديث اليوم ، أن قوانين الفضاء قد تختلف في بعضها ، عن قوانين الأرض من حيث الفيزياء أو الكيمياء أو غير ذلك و إن كانت مشابهة لها ، لكن هي قوانين ثابتة أيضاً كما هي قوانين الأرض .

و القوانين في الاصطلاح و التسمية ، هي أسباب أيضاً .. فقانون الشيء ، هو موجِد هذا الشيء و مُحَقِّقه و خالقه ، بالاعتماد على هذا القانون الذي وضعه الرحمن رب العالمين له .. القانون هو سبب وجود هذا الشيء المادي ، بإذن الله سبحانه و تعالى ، الذي جعله سبباً ثابتاً لوجوده .. فلولا وجود القانون لما تحقق وجود هذا الشيء المادي أو المصنوع .. فمثلاً إن أردنا صناعة سيارة (مركبة) ، فهنالك بانتظارنا مجموعة من القوانين العلمية الدنيوية الوضعية المتعددة و المختلفة الأنواع و المسالك ، تستوجب اجتماعها معاً لإمكانية صناعة سيارة أو خلقها .. و هذه القوانين ، لا بد من تحقيقها واحداً تلو الآخر كي يتسنى لنا صناعة أو خلق هذه السيارة .. منها قوانين الميكانيكا .. منها قوانين الكيمياء .. منها قوانين الكهرباء .. الخ .. و لا يمكن الانتقاص أو الإنقاص من أحد هذه القوانين أو تعديله أو تغييره ، لأن ذلك سوف يؤدي إلى إجهاض مشروع صناعة أو خلق هذه المركبة .. أو يجعلها تخرج للوجود ناقصة مشوّهة ليس هنالك من إمكانية لاستخدامها بشكل كامل .

إذن .. و من خلال ما سبق ، نستطيع القول إن الكون كله بنظامه البديع الدقيق المنظَّم الذي خلقه الرحمن رب العالمين ، بسماواته و أرضينه و ما فيهن و من فيهن ، هو خاضع لنظام السببية و قائم كله بالمجمل على هذه المنظومة .. و كل شيء في هذه المنظومة ، محكوم بقانون و سبب .. هذه هي المشيئة الإلهية الربانية .. وقد أورد القرآن الكريم ، قضية السببية و القوانين الناظمة لها في آيات عدة من مواضعه ، و أشار إليها ، و من ذلك مثلاً ، قصة ذي القرنين التي يوضح فيها القرآن الكريم بشكل مفَصّل ، آلية و كيفية و نظام السببية الإلهي الكوني ، و العلاقة فيه بين الله سبحانه و تعالى ، و بين عباده ، من حيث جاء ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و يسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً (*) إنا مكّنّا له في الأرض و آتيناه من كل شيء سبباً (*) فأتبع سبباً (*) حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة و وجد عندها قوماً قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب و إما أن تتخذ فيهم حسناً (*) قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً (*) و أما من آمن و عمل صالحاً فله جزاءً الحسنى و سنقول له من أمرنا يسراً (*) ثم أتبع سبباً (*) حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً (*) كذلك و قد أحطنا بما لديه خبراً (*) ثم أتبع سبباً (*) حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً (*) قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج و مأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا و بينهم سداً (*) قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم و بينهم ردماً (*) آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً (*) فما اسطاعوا أن يظهروه و ما استطاعوا له نقباً (*) قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء و كان وعد ربي حقاً } .

تخبر الآيات السابقة عن إحدى الشخصيات القرآنية ، و هي شخصية ذي القرنين .. و تتحدث عن أن الله سبحانه و تعالى ، قد أعطى هذه الشخصية ، صلاحيات واسعة في الأرض للتصرف و الحركة فيها (مكّنّا له في الأرض) .. و لكن هذه الإمكانيات التي وهبه الله سبحانه و تعالى ، إياها ، كانت بموجب القوانين العلمية الخاصة بالأرض و السماء (و آتيناه من كل شيء سبباً) أي أن كل شيء مكّنّا ذا القرنين فيه ، كان بموجب تعاطيه و تعامله مع هذه القوانين العلمية و من خلالها .

و الظاهر من سياق الآيات القرآنية ، أن ذا القرنين ، قد طبّقَ هذه القوانين و تعاطى مع ما حوله و من حوله ، بموجبها (فأتبع سبباً) .. و تخبر الآيات السابقة أن ذا القرنين و بموجب اتّباعه تلك القوانين و الأسباب ، وصل إلى مكان قَصيّ جداً من الأرض ، و هنالك وجد أقواماً ، ترك له الله سبحانه و تعالى ، حرية التعامل معهم بالشكل الذي يراه مناسباً .. بعد ذلك تحدّثت الآيات أن ذا القرنين أراد إكمال مسيرته ، فعاد سيرته الأولى في تطبيق القوانين الربانية ، فوصل إلى مكان آخر قَصيّ من الأرض ، أبعد من ذي الأول .. و هنالك وجد أقواماً جدد طلبوا منه أن يمنع عنهم قوماً آخرين يُدعَون .. يأجوج و مأجوج ، و يجعل بينهم حاجزاً .. و هنا تخبرنا الآيات القرآنية مرة أخرى عن القوانين الربانية و أسلوب التعاطي معها ، من حيث أن ذا القرنين يقول للقوم إن الله سبحانه و تعالى قد أعطاه و علّمه مجموعة من القوانين العلمية التي تتيح له القيام بهذه المهمة ، لكنه – لاحظوا هنا – اتّبع سبباً أيضاً من عنده فطلب العون المادي أي القوة الجسدية من القوم في إتمام مهمته .. و هذا أيضاً اّتباع سبب ، أي أنه اعتمد على القوة البشرية مع أن الله سبحانه و تعالى ، كان معه و يمده بأسباب القوة و الدعم و العلم .. ثم قام بعد ذلك باتّباع قوانين العلم من شيء من فيزياء و شيء من كيمياء ، ليصل إلى المهمة المطلوبة بنجاح .

إن ما سبق من آيات ، يعطي مثالاً قوياً و شرحاً مفَصّلاً بعض الشيء ، على كيفية السببية و اتّباع السبب .. و هنالك أيضاً آيات قرآنية أُخرى تسلط الضوء على مفهوم السبب و السببية و اتّباع القوانين ، و منها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا و الآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ } .

أي فليستخدم ما يراه من قوانين علمية يراها مناسبة ، و يصعد بموجبها إلى السماء .

بسم الله الرحمن الرحيم { أم لهم ملك السماوات و الأرض و ما بينهما فليرتقوا في الأسباب } .

أي فليستخدموا ما لديهم من قوانين علمية و إمكانات تقنية و يجربوا الصعود إلى السماء .. و هي آية موجهة إلى أهل هذا العصر من العلوم الحديثة المتقدمة .

بسم الله الرحمن الرحيم { و قال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب (*) أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى } .

أي ابن لي يا هامان بناءً عالياً ضخماً لأرصد منه السماء و أعرف شيئاً من قوانينها و كيفية تصاميمها .

بسم الله الرحمن الرحيم { إذ تبرأ الذين اتُّبِعوا من الذين اتَّبَعوا و رأوا العذاب و تقطعت بهم الأسباب } .

أي غابت و انقطعت عنهم الإمكانيات و الأدوات لمقابلتهم و إلقاء اللوم عليهم و تقديم العذر لله سبحانه و تعالى ، عن ذلك .

و تبقى هنالك حادثة أخرى قوية جداً في القرآن الكريم ، و تعطي دلالة واضحة أيضاً ، على أن الله سبحانه و تعالى ، لا يقوم بالخوارق الطبيعية ، هكذا جزافاً ، بل أن أساس نظام الكون عنده ، بما فيه و من فيه ، هو اتّباع القوانين الإلهية الربانية التي وضعها .. و أن التعامل هكذا عبثاً ، مع الخوارق الطبيعية و العلمية و طلبها جزافاً ، هو بمنزلة جريمة كبرى يعاقب عليها اللهُ سبحانه و تعالى ، جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدةً من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين (*) قالوا نريد أن نأكل منها و تطمئن قلوبنا و نعلم أن قد صدقتنا و نكون عليها من الشاهدين (*) قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدةً من السماء تكون لنا عيداً لأولنا و آخرنا و آيةً منك و ارزقنا و أنت خير الرازقين (*) قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين } .

تخبر الآيات السابقة أن الحواريين قد طلبوا من المسيح ابن مريم عن طريق السؤال ما إن كان الله سبحانه و تعالى بمقدوره أن ينزل عليهم مائدة مادية مجسَّمة من السماء و فيها من الطعام و الشراب .. فأجابهم السيد المسيح جواباً فيه من العِبرة ما فيه ، قائلاً لهم أن يخافوا الله سبحانه و تعالى و يتقوا غضبه من هذا الطلب الغريب المستهجن و الذي لا مبرر له ، علماً أن السيد المسيح قد أتاه الله سبحانه و تعالى ، معجزات خارقة للطبيعة البشرية و الكونية ، و مع ذلك استنكر السيد المسيح طلبهم و حذرهم من غضب الله سبحانه و تعالى عليهم .. و عندما قَبِلَ السيد المسيح مسألتهم و دعا الله سبحانه و تعالى أن ينزل عليهم المائدة المطلوبة ، استجاب الله سبحانه و تعالى لطلبه و لكن حذره تحذيراً شديد اللهجة بأن من يكفر منهم كلهم (بما فيهم السيد المسيح نفسه) فإنه سوف يعذبه عذاباً لم يعذبه لأحد قبل الآن .. فللقارئ الكريم هنا أن يتخيل مقدار قوة و افتراضية قوانين الكون و الحياة عند الله سبحانه و تعالى .

أن الله سبحانه و تعالى ، لا يتعامل هكذا عبثاً و من دون مبرر أو موجب كبير مستحق ، مع قوانين الطبيعة و العلم و الكون التي وضعها هو بنفسه ، و بنى عليها الكون كله ، بما فيه و من فيه .. بل سبحانه و تعالى ، يتعامل مع مخلوقاته .. و

بالذات العاقلة منها .. من مبدأ القوانين الإلهية الربانية و ليس من مبدأ آخر .. ذلك لأنه سبحانه و تعالى ، خلق السماوات و الأرض و ما فيهن و من فيهن ، بالحق ، فكيف يناقض نفسه بنفسه و هو الحق نفسه ؟؟!! ..

بسم الله الرحمن الرحيم { ذلك بأن الله هو الحق و أن ما يدعون من دونه الباطل و أن الله هو العلي الكبير } .

بسم الله الرحمن الرحيم { يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق و يعلمون أن الله هو الحق المبين } .

و لم يجعل الله سبحانه و تعالى ، استثناءات لتلك القوانين و النواميس السماوية و الأرضية ، إلا من خلال المعجزات الخارقة للطبيعة و التي جاءت ضمن نطاق ضيق محدود جداً و لأشخاص استثنائيين كبعض الأنبياء و الرسل الذين ترافقت دعواتهم إلى الله سبحانه و تعالى و رسالاتهم منه ، بتلك المعجزات الخارقة لنواميس الطبيعة ، و ذلك لتبيان أن الله سبحانه و تعالى ، هو الحق و أنه موجود قائم بذاته لا حاجة به لأحد أياً كان .

إن الوجه الآخر المقابل لمفهوم الأسباب و السببية ، هو مفهوم الادعاء بالله سبحانه و تعالى ، و حَرْفُ الدين و القرآن الكريم عن مواضعهما الحقيقية الثابتة و سَوق الناس نحو مهاوي الشرك و الضلال و الكفر و البدع و الشعوذات و عبادة الأشخاص .. و هو أمر نراه بكثرة خارج القرآن الكريم ، من نسبة أعمال خارقة للطبيعة ، لبعض البشر و تبيان ما يسمى بكراماتهم .. يضاف إلى ذلك أيضاً ، سَوق الناس إلى مهاوي الخنوع و التواكل و الابتعاد عن العلم و الأسباب التي فرضها الرحمن رب العالمين في القرآن الكريم ، على عباده ليصلوا بها إلى مدارج العلم الحديث و مصافي الحضارة الإنسانية المتقدمة .. و هو ما نراه اليوم ، جلّياً واضحاً

في الفرق بين الدول المتقدمة العظمى و بين الدول الفقيرة المتخلفة .. ذلك كله من منطلق اتّباع الأسباب أو عدم اتّباعها .. و هو أمر يقودنا إلى قضية هامة جداً ألا و هي .. إن الله سبحانه و تعالى لم يحصر الأسباب و اتّباعها في فئة معينة من عباده .. كالفئة المؤمنة به مثلاً ، بل جعلها متوافرة لكل من أراد اتّباعها .. أكافراً كان أم مؤمناً ، و هذا أمر يدل دلالة قوية على افتراضية تلكم الأسباب و القوانين .. ذلك أن الأمر الافتراضي هو مسموح به للعموم .. و مصداق هذا الكلام ، هو الآية القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { كُلاً نمد هؤلاء و هؤلاء من عطاء ربك و ما كان عطاء ربك محظوراً } .

القضية الافتراضية الرابعة .. الحقوق و الحدود .

هنا نقف عند مسألة غاية في الأهمية و ربما الخطورة ، في الدين الإسلامي .. ألا و هي قضية **الحقوق و الحدود** .. هي قضية افتراضية طبعية جعلها الله سبحانه و تعالى ، علاقة ثابتة دائمة فيما بين الحقوق و الحدود .. فما من حق و حكم فرضه الله سبحانه و تعالى على عباده ، إلا و جعل له حدوداً يقف عندها أو تنتهي صفته حيالها .. حدود يبدأ بها و حدود ينتهي عندها .. و هو أمر ملاحَظ في القرآن الكريم ، و ربما قد لاحظه القارئ الكريم فيما سبق من فصول هذا الكتاب .

إن قضية الحقوق و الحدود ، هي قضية ربانية أولاها الرحمن عز و جلّ رب العالمين ، أهمية كبيرة ، ذلك لأن عليها ، تقوم الأحكام و الشرائع و بها يقوم الحق نفسه ، و بها أيضاً يتم المنع من تمييع الحق و جعله أداة للتلاعب و التحوير و إلباسه لباس الباطل و التأويل الخاطئ ، ما يفتح أبواب الكفر و الشرك و الضلال ، على صواريها مُشْرَعة ، و ربما أبواب الظلم أيضاً ، فيصير الحق أداة للظلم . و هو أمر ذكره القرآن الكريم ، من حيث جاء فيه ..

بسم الله الرحمن الرحيم { الذين آمنوا و لم يُلبِسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن و هم مهتدون } .

كما يمكن أن يكون سوء استخدام الحق ، أداة لكتمان الحق نفسه من حيث لا يدري جمهور العامة بذلك ، و هو ما ذكرته الآيتان القرآنيتان التاليتان ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لا تلبسوا الحق بالباطل و تكتموا الحق و أنتم تعلمون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أهل الكتاب لِمَ تلبسون الحق بالباطل و تكتمون الحق وأنتم تعلمون } .

لذلك فإن تَرْكْ الحق من دون حدود يبدأ بها و حدود ينتهي عندها ، يجعل هذا الحق شارداً وارداً كمثل البستان أو الدار اللذين لا سور لهما ، يلِجهما من يلِجهما ، و ينتابهما من ينتابهما .. فكان لا بد من الحفظ و الصيانة و التوضيح و إزالة اللبسَ و الالتباس و منع الدخلاء المغرضين من الدخول .

و أدل و أوضح و أكبر شهادة على مدى قوة مفهوم حدود الحقوق عند الله سبحانه و تعالى الرحمن رب العالمين ، من أنه قد ألزَم نفسه أيضاً بعض الحدود في بعض الحالات ، و هو الذي لا يحده شيء .. الفعّال لما يريد .. لا يُسأل عما يفعل و هم يُسألون .. القاهر فوق عباده .. و هو أمر قد أورده في القرآن الكريم في العديد من مواضعه ، و منها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قل لمن ما في السماوات و الأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون } .

تدل الآية السابقة ، على إلزام الله سبحانه و تعالى ، لنفسه بأنه قد فرض على نفسه الرحمة بإرادته و مشيئته ، و ألزم نفسه بذلك ، بل و أخبر عباده بذلك .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم و إن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً و أجل مسمى } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما كان الناس إلا أمةً واحدةً فاختلفوا و لولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون } .

في الآيات السابقة ، ألزم الله سبحانه و تعالى ، نفسه بأن يؤخر الناس إلى يوم البعث و الحساب ، ثم يحكم فيما بينهم بما عملوا في دنياهم هذه .

بسم الله الرحمن الرحيم { قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض و لأغوينهم أجمعين (*) إلا عبادك منهم المخلصين (*) قال هذا صراط علي مستقيم } .

تخبر الآيات آنفة الذكر ، عن قبول الله سبحانه و تعالى لطلب إبليس و نزوله عند اختيار إبليس ، بأن يمهله الله سبحانه و تعالى ، إلى يوم القيامة .

كذا الأمر ، هنالك مصطلح آخر يدل على إلزام الله سبحانه و تعالى ، نفسه بشيء ، لأجل شيء آخر .. أي أن يطلب من عبادة أمراً معيناً (هو في النهاية لصالحهم) و من ثم يتعهد لهم بأمر آخر لهم .. و هذا المصطلح هو الميثاق الذي جاء في آيات عدة من القرآن الكريم ، منها ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم و بينهم ميثاق و الله بما تعملون بصير } .

تخبر الآية أن الله سبحانه و تعالى قد ألزم نفسه بميثاق بين العباد أنفسهم ، و هو دليل على مكانة الميثاق عند الله سبحانه و تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب و حكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به و لتنصرنه قال أأقررتم و أخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا و أنا معكم من الشاهدين } .

في الآية السابقة ، جعل الله سبحانه و تعالى من نفسه ، شاهداً أيضاً على ميثاق الأنبياء بينهم و بين الرسل الذين يأتون بكتاب من عند الله سبحانه و تعالى ، موافقاً تماماً لما معهم من كتب و شرائع سماوية .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل و بعثنا منهم اثني عشر نقيباً و قال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة و آتيتم الزكاة و آمنتم برسلي و عزرتموهم و أقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم و لأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل } .

التزم الله سبحانه و تعالى ، بعهد و ميثاق مع بين إسرائيل ، ألزمهم فيه بأمور معينة من عبادات و أعمال صالحة ، و ألزم نفسه فيه بأن يصفح عنهم أخطاءهم و يدخلهم جنات النعيم .

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و يقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة و الإنجيل و القرآن و من أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به و ذلك هو الفوز العظيم } .

كذلك هنالك مفهوم (الوعد) من الله سبحانه و تعالى ، لعباده بشيء ما أو أمر ما ، إن هم نفذوا له أمراً معيناً يكون في الغالب الأعم ، لصالحهم هم .. فيلزم الله سبحانه و تعالى نفسه بهذا الوعد و لا يخلفه ..

بسم الله الرحمن الرحيم { وعد الله الذين آمنوا و عملوا الصالحات منهم مغفرةً و أجراً عظيماً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { وعد الله المؤمنين و المؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها و مساكن طيبةً في جنات عدن و رضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وُعِدَ المتقون كانت لهم جزاءً و مصيراً (*) لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعداً مسئولاً } .

إذن .. و مما سبق ، نستنتج أنه لا يوجد في الدين السماوي الحق ، حقوق و أحكام توضع هكذا من غير ضابط يحفظها و يصونها و يمنع عنها دخول الدخلاء و تَطَفُّل المتطفلين ، بل كله مضبوط بحدود وشروط حاكمة عليه ناظمة له مانعة إياه من الوقوع فرسية الضالين المضلِّلين ذوي الأهواء و المصالح الدنيوية .

كذلك الأمر نستنتج أنه لا يوجد هنالك شيء بالمطلق من حكم أو فرض أو عبادة و إلا لصار خاضعاً لسوء الطوايا و النوايا ، و يكون مصداقه في هذه الحالة ، كما ذكرت الآية القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { أم يقولون به جِنة بل جاءهم بالحق و أكثرهم للحق كارهون (*) و لو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات و الأرض و من فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون } .

إن هؤلاء كارهون للحق لأن له ضوابط و ثوابت و حدود تمنع تفَلّته ، فهم يريدون حقاً على هواهم ، جامداً لا حدود له و لا ثوابت .. ذلك أن الحق إن فقد الثوابت

و الحدود و الضوابط و المناهج .. صار بلا هوية و تعريف ، و صار مدخلاً لكل داخل و دخيل .. و من هنا يتضح لنا معنى و مغزى مفهوم .. الحقوق و الحدود .

و لذلك كله ، طلب هؤلاء ، قرآناً آخر غير هذا القرآن المنزل من الرحمن رب العالمين .. الرحمن الملك الحق ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بَدِّله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم } .

القضية الافتراضية الخامسة .. الوالدين .

ذكر الله سبحانه و تعالى ، الوالدين في القرآن الكريم ، و خصّهما بمكانة عالية جداً و أكّد بشدة على احترامهما و البر بهما و عدم الإساءة إليهما ، ذاكراً جميلهما و صنائعهما مع الولد .. ذكراً كان أم أنثى .. ذلك في مواضع عدة من القرآن الكريم ، فمثلاً ، في القرآن الكريم ، يقسم الله سبحانه و تعالى ، بما يقسم ، بالوالدين ، و هذه مرتبة كبيرة لهما ، جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { لا أقسم بهذا البلد (*) و أنت حل بهذا البلد (*) و والد و ما ولد } .

و القرآن الكريم قد مدح النبي يحيى بصفات و خِصال عدة جميلة حسنة ، منها أنه كان باراً بوالديه ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يا يحيى خذ الكتاب بقوة و آتيناه الحكم صبياً (*) و حناناً من لدنا و زكاةً و كان تقياً (*) و براً بوالديه و لم يكن جباراً عصياً } .

كذلك المسيح عيسى ابن مريم الذي عندما كلّم الناس و هو في المهد ، ذكر بره بوالدته و ذلك من ضمن الصفات التي ذكرها لنفسه ، من الله سبحانه و تعالى ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً (*) قال إني عبد الله آتاني الكتاب و جعلني نبياً (*) و جعلني مباركاً أين ما كنت و أوصاني بالصلاة و الزكاة ما دمت حياً (*) و براً بوالدتي و لم يجعلني جباراً شقياً (*)

و السلام علي يوم ولدت و يوم أموت و يوم أبعث حياً (*) ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون } .

كذلك أيضاً النبي سليمان ، الذي عندما كان ذاهباً مع جيشه من الجن و الأنس و الحيوان و الطير ، سمع نملة تحذّر أتباعها من النمل و تدعوهم للدخول إلى قراهم ، فشكر ربه داعياً .. و من جمله ما دعا ربه به ، أن يكون شاكراً ربه فيما أنعم به على والديه ، فقال ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فتبسم ضاحكاً من قولها و قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ و على والدي و أن أعمل صالحاً ترضاه و أدخلني برحمتك في عبادك الصالحين } .

كذلك نوح الرسول الذي عندما دعا ربه ، كان من جملة ما دعاه ، أن يغفر الله سبحانه و تعالى له و لوالديه ..

بسم الله الرحمن الرحيم { رب اغفر لي و لوالدَيّ و لمن دخل بيتي مؤمناً و للمؤمنين و المؤمنات و لا تزد الظالمين إلا تباراً } .

كذلك هو النبي إبراهيم ، حينما دعا ربه ، كان من جملة ما دعاه ، أن يغفر الله سبحانه و تعالى له و لوالديه ..

بسم الله الرحمن الرحيم { رب اجعلني مقيم الصلاة و من ذريتي ربنا و تقبل دعاء (*) ربنا اغفر لي و لوالدي و للمؤمنين يوم يقوم الحساب } .

و إكراماً للوالدين و شكراً لهما ، فقد خصص الله سبحانه و تعالى ، لهما نفقة من قبل الولد عليهما و ذلك رداً لجميلهما معه حين صغره ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين و الأقربين و اليتامى و المساكين و ابن السبيل و ما تفعلوا من خير فإن الله به عليم } .

كذلك الأمر أيضاً ، فقد أمضى الله سبحانه و تعالى ، في أحكامه و قضائه ، الإحسان للوالدين و البر بهما ، و أخْذُ حالتهما حين كبرهما ، بعين الاعتبار من قبل الأولاد ، و عدم إهانتهما و تكريمهما و طلب الرحمة و المغفرة لهما ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف و لا تنهرهما و قل لهما قولاً كريماً (*) و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة و قل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً } .

كذلك الأمر فقد بلغ من مرتبة الوالدين عند الله سبحانه و تعالى ، أن جعل البر بهما و الإحسان إليهما ، في الميثاق و العهد الذي قطعه مع بني إسرائيل ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله و بالوالدين إحساناً و ذي القربى و اليتامى و المساكين و قولوا للناس حسناً و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة } .

و من جمل الوصايا التي أوصى بها الله سبحانه و تعالى ، الإنسان ، كان بر الوالدين و الإحسان معهما

بسم الله الرحمن الرحيم { و وصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي و لوالديك إلي المصير } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و وصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً و وضعته كرهاً و حمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده و بلغ أربعين سنةً قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي و على والدي و أن أعمل صالحاً ترضاه } .

أيضاً بلغ من مرتبة الوالدين عند الله سبحانه و تعالى ، أن جعل البر بهما ، من مراتب تحريم الشرك به ..

بسم الله الرحمن الرحيم { بسم الله الرحمن الرحيم { قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً و بالوالدين إحساناً } .

كذلك بلغ الأمر عند الله سبحانه و تعالى ، أنه ممكن أن يصدر حكم إعدام للولد إن كان سيئاً مع والديه مؤذياً لهما ظالماً ، و هما يقومان بكامل واجباهما اتجاهه .. فها هو العبد الصالح يبرر لموسى ، قَتْلَه للغلام الذي التقيا به ، كما الآية القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و أما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً و كفراً } .

واضح مما سبق من آيات قرآنية ، علوّ مرتبة و مقام الوالدين عند الله سبحانه و تعالى .. و ذلك مما أوصى الله سبحانه و تعالى ، به الإنسان و مما شدّد عليه بخصوص الوالدين .. و لكن .. و لكن كما هنالك حقوق .. هنالك حدود .. و هذا هو مبدأ الحقوق و الحدود الافتراضي الذي تكلمنا عنه فيما سبق .. فليس هنالك شيء بالمطلق و إلا لصار بلا هوية و بلا تعريف .. و لذلك و مع كل ما ذكره القرآن الكريم من تعظيم للوالدين و لحقوق الوالدين ، نرى أنه قد وُضِعَ لهما حدوداً و شروطاً و ضوابطاً ، مقيِّدة لكل ما ذكره عنهما من قبل ، و في حال انتفاء أحد هذه الحدود أو الشروط أو كلها ، ينتفي معها كل ما ذكره القرآن الكريم من صلاحيات و مزايا و مناقب معطاة للوالدين ، و من ذلك ..

بسم الله الرحمن الرحيم { قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً و بالوالدين إحساناً و لا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم و إياهم } .

في الآية السابقة ، كما طلب القرآن الكريم من الأبناء أن يكونوا بارين بوالديهم ، كذلك أمر الوالدين أن لا يقتلوا أبناءهم ، بسبب الفقر و العوز و الحاجة ، إما قتلاً مادياً جسدياً ، و إما قتلاً معنوياً بمنع الرزق و أسباب المعيشة عنهم .. إذن .. فهنالك واجبات على الوالدين اتجاه أولادهم ، إن أخَلّوا بها انتفت عنهم صفة الوالدين .

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الناس اتقوا ربكم و اخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده و لا مولود هو جاز عن والده شيئاً إن وعد الله حق فلا تغرّنكم الحياة الدنيا و لا يغرنكم بالله الغرور } .

تُحَدِّث الآية السابقة عن أن الوالدين ليس لهما كرامة شفاعة أو تحَمّل مسؤوليات عن أولادهم ، أمام الله سبحانه و تعالى ، يوم القيامة و الحساب .. كذلك هم الأولاد يخضعون للقانون ذاته .

إذن .. الوالدين لا حل لهما و لا ربط يوم القيامة .. و ما هذه المكانة أو المقام الذي أُعطِيانه إلا مقام شَرَفي تكليفي في الحياة الدنيا فقط لا في الدار الآخرة .. إن أخلّا بموجباته ، أحدهما أم كليهما ، سقط عنهما هذا المقام .

بسم الله الرحمن الرحيم { و وصينا الإنسان بوالديه حسناً و إن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون } .

إن مجال صلاحيات و مقام الوالدين ، في القرآن الكريم ، ينحصر في تربية الأولاد تربية سليمة صحيحة صالحة ، و تنشئتهم على الدين الحنيف القويم ، بتوحيد الرحمن

إلههم و ربهم و خالقهم الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء .. فإن اختلّ شيء من هذا أو حاد عن هدفه الأساس ، فَقَدَ الوالدان هذا المقام و فقدا سلطانهما على الأولاد ، لكن يبقى لهما فقط حسن الرعاية منهم حين الكِبَر .

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله و لو على أنفسكم أو الوالدين و الأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا و إن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً } .

هي آية من أقوى آيات القرآن الكريم ، في منع أن يكون مفهوم الوالدين ، مفهوماً مطلقاً للاستعباد ، يسرح فيه الوالدان و يمرحان على هواهما .. لا من رقيب و لا من حسيب .. إنها بكل بساطة ، آية تقول .. حين يخرج الوالدان عن الحق و ربقته ، عليك أن تقول لهما ذلك و تشهد عليهما بذلك و تتعامل معهما على أساس ذلك ، و لا تأخذك في ذلك لومة لائم .. و إنه بمجرد خروج الوالدين عن سكة الحق و سلوكهما مسلك الظلم ، تُنزَع عنهما حصانتهما الأبوية التي منحها لهم القرآن الكريم ، و التي هي أساساً دعم لهما و سند في أداء واجبهما الإنساني الأخلاقي الديني ، في تربية الأبناء تربية صحيحة سليمة شاملة .. و هو أمر مشابه تماماً لمبدأ نزع الحصانة عن نائب في البرلمان حين خرقه القانون العام و الدستور .

بسم الله الرحمن الرحيم { قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك و اهجرني ملياً (*) قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً (*) و أعتزلكم و ما تدعون من دون الله و أدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً } .

هنا في هذه الآيات آنفة الذكر ، يقول النبي إبراهيم لأبيه إنه سيطلب له المغفرة من الله سبحانه و تعالى ، بالرغم من أن أباه كان كافراً و يريد رجم ابنه إبراهيم فقط

لأنه يعبد الرحمن رب العالمين .. لكنه في الآية التالية عندما يدرك أن أباه هو عدو لله سبحانه و تعالى ، ليس فقط يمتنع عن إطاعة أبيه بل يتبرأ منه تماماً و يعود إلى حكم الله سبحانه و تعالى ، الحق ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأوّاه حليم (*) و ما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم } .

إذن .. و مما سبق نقول .. كما جعل الرحمن رب العالمين ، لكل حكم من أحكامه حالة افتراضية تتمثل في الحدود التي يقف عندها و التي يبدأ منها و ينتهي عنها .. كذلك الأمر جعل من مفهوم و قضية الوالدين ، قضية افتراضية لها أحكامها و شروطها .. و أية مخالفة لهذه القواعد و الشروط الافتراضية .. تسقط عن الوالدين تلك الحصانة الإلهية الربانية الممنوحة لهما ، و يصيران بالنسبة للولد ، مجرد أشخاص عاديين .. و لنضرب مثالاً على ذلك ، من حيث أنه بموجب الآية القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و وصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي و لوالديك إلي المصير } .

جعل الله سبحانه و تعالى للوالدين أو الأم تلك القدسية (إن صحت التسمية) و ذلك بسبب كونها قد حملت ولدها في بطنها تسع شهور و أرضعته لعامين و عانت و كابدت لأجل تربيته .. لكن هذه القدسية ، بل و حتى صفة الأمومة ، تسقطان عن الوالدة التي تحبل بولدها ، لكن ما أن تلده حتى ترميه على قارعة الطريق مثلاً لتتخلص منه .. فأية أمومة يمكن أن تُحسَب لهذه المرأة ؟؟!! بل و أية عاطفة و أية مشاعر ؟؟!! بل و أية إنسانية ؟؟!! .

إذن .. مفهوم الوالدين هو مفهوم افتراضي ، أُعطِيَت له هذه الهالة الربانية و المقام الكبير ، بناء على تلك الافتراضية و لا شيء سواها ، فإذا انتفت هذه الحالة الافتراضية ، انتفى معها موجبات المقام الرفيع و الدرجة العالية .

إن ما يقابل حالة الوالدين الافتراضية .. هو سوء أو إساءة استخدام مفهوم و حالة الوالدين ، في الدين الإسلامي .. و ذلك إما للوصول إلى غايات نفعية دنيوية ، و إما لإيصال المرء إلى حالة الشرك بالله سبحانه و تعالى ، من حيث يُدخل والديه .. أحدهما أو كِلَيهما في حالة الشرك مع الله سبحانه و تعالى ، و يجعلهما جزءاً منه – و العياذ بالله – و هو ما مصداقه الآية القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و جعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين } .

لا تختص الآية السابقة بالوالدين حصراً لكنها تشمل وجوه و أشخاص و رموز عدة ، أحدها الوالدين ، و ما ذلك إلا من خلال بعض الخطابات الدينية الإسلامية و بعض التصرفات للأشخاص ، التي تبرز حالة من الغلو الشديد في حب الوالدين (و بالذات الأم) لدرجة تجعل المرء داخل لا محالة و لا شك و ريب ، في دائرة الشرك بالله سبحانه و تعالى .

هنالك صور عدة و أحاديث كثيرة حول قضية التعامل مع الوالدين ، تدخل في حيز الشرك هذا و تخالف المنطوق القرآني بشكل كامل تماماً .. منها على سبيل المثال ، الحديث القائل .. الجنة تحت أقدام الأمهات؟؟!! .. و السؤال الذي يبرز هنا هو .. ماذا لو كانت هذه الأم زانية مثلاً ؟؟!! ماذا لو حملت بولدها ثم بعد ولادتها رمت به في قارعة الطريق رضيعاً لا يقدر على شيء ؟؟!! ماذا لو كانت هذه الأم كافرة بالرحمن رب العالمين أو مشركة به ، و الرحمن رب العالمين قال إنه يغفر كل شيء إلا

أن يُشرك به ؟؟!! هل ننسف كل آيات القرآن الكريم حول الحق و الحقوق و حول التوحيد و الكفر و الشرك لأجل أم كهذه مثلاً ؟؟!! .

هنالك أيضاً حديث لأحدهم أو كلام ، حول أنه لا يجوز للمرء أن يخاصم حتى نعلي والديه ؟؟؟!!! يعني أن النعل الذي هو أنجس الجمادات و أقذرها ، قد صار صحب حق مطلق لا يجوز المساس به – و العياذ بالله – مهما فعل هذا النعل القذر النجِس المنجّس ؟؟!! يعني العباد يخاصمون بعضهم البعض بموجب الآيات القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و هل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب (*) إذ دخلوا على داوود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق و لا تشطط و اهدنا إلى سواء الصراط } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم و ما كنت لديهم إذ يختصمون } .

و الملائكة الكبار يمكن أن تخاصم بعضها أيضاً ..

بسم الله الرحمن الرحيم { ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون } .

إلا هذا النعل النجِس المنجَّس الذي لا يجوز الخصام معه لأنه نعل والد أو والدة أو كليهما ؟؟؟!!! .

إن عُرْفْ طاعة الوالدين قد اتخذ أشكالاً عدة لا علاقة لها بالمنظور (القرآني) و من ذلك أن غضب الوالدين يلزم غضب الله و على الإنسان أن يطيع أباه أو أمه و لا يخالفهما بأي شكل كان و من يعصي أبويه لأي سبب كان ، فنار جهنم بانتظاره .. و قد وردت أحاديث و أمثال شعبية عدة في هذا المضمار تؤيد مفهوم طاعة

الوالدين بالمطلق حتى و إن وقع جور أو ظلم أو حيف من جراء ذلك كالحديث القائل (غضب الله من غضب الوالدين و رضى الله من رضى الوالدين) أو (الأب لا يخطئ) أو (أبوك أفضل منك و أبو أبوك أفضل منه و منك هكذا دواليك) نعم .. هكذا و بكل بساطة .. حكم جاهز و مسبق سلفاً .. حكم عرفي بكل ما في الكلمة من معنى .

هنالك حوادث ظلم و تعسف و قهر كبيرين تقع بحق الأبناء من قبل الآباء ، تصل إلى حد الجرائم الإنسانية الاعتبارية كحرمان الولد من ميراث أبيه عن طريق الاحتيال القانوني لأنه قال له في يوم من الأيام كلمة (لا) أو لمجرد أنه اختلف معه بالرأي في قضية من القضايا ، علماً أن حق الميراث هو حكم إلهي شرعي لا يحق لأحد المساس به إلا بشرط صارم جداً و هو قتل الوارث عمداً للمورث ، لكن و مع ذلك يتم التلاعب بهذا الحكم نتيجة أهواء الأب مثلاً و ميله للغريزة العاطفية .

كذلك الأمر في أب يطرد ابنه أو ابنته من المنزل و يقذف به في الشارع معرضاً إياه للوقوع فريسة ألف خطر و خطر (السرقة – الدعارة – المخدرات – القتل – الموت ... الخ) فقط لأنه قال له كلمة (لا) أو اختلف معه بالرأي بمسألة من المسائل . و عندما يلجأ هذا الولد أو الفتاة للمساعدة يجد نفسه بمواجهة مجتمع (و العياذ بالله) يشهر بوجهه سيف عُرْفْ طاعة الوالدين ، و يحكم عليه بالإعدام الاعتباري محملاً إياه سلفاً كل الأخطاء بتهمة جاهزة هي عقوق الوالدين .. مجتمع يواجهه بخطاب أعمى من منطلق تعصب و جهل أعميين .. بأن الأب لا يخطئ و أن من يزعج أباه أو أمه بكلمة و لو غير مقصودة أو طرفة عين لم تعجبهما فهنالك المئات من الملائكة بانتظاره لتطبيق أبشع أنواع العقوبات الجسدية بحقه .. منهم من

يحمل السياط و منهم من يحمل جنازير الحديد و سلاسله و منهم العصي و الهراوات .. الخ .

من أين استمدت تلك الأعراف شرعيتها و وجودها ؟؟؟!!! سؤال نجد الإجابة الجاهزة عليه ، بأنها من الدين و القرآن ، و تحديداً من الآيات القرآنية من حيث تم تفريغها من ضوابطها الافتراضية .. فبالعودة إلى الآيات التي قضى الله سبحانه و تعالى ، فيها بر الوالدين و قرأناها قراءة متأنّية متدبِّرة ، و هي ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف و لا تنهرهما و قل لهما قولاً كريماً (*) و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة و قل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً } .

بالنظر إلى الآيات السابقة ، نرى أن الله سبحانه و تعالى ، قد طلب من الإنسان أن يكون محسناً مع والديه حين كبرهما .. و الإحسان هو المساعدة و عمل الخير و لا علاقة له بالطاعة أبداً .. كذلك الأمر من عبارة (لا تقل لهما أف و لا تنهرهما) فالتأفف هو الانزعاج و التذمر من التكليف من شيء ما .. كذلك النهر أو الانتهار الذي هو الصد بقسوة عن شيء ما ، جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { وأما السائل فلا تنهر } .

كذلك عبارة (و قل لهما قولاً كريماً) التي تفيد في معنى الكرم و العطاء و الكلام الجميل ، و هي قضية مناسبة تماماً لوالدين في سن الشيخوخة و الهرم ، و لا علاقة لها أبداً بشيء اسمه الطاعة و العبودية لهما .. كذلك عبارة (اخفض لهما جناح الذل من الرحمة) أي لا تجعلهما ذليلين أو اجعل مقدار الذل عندهما ، نتيجة الشيخوخة ، في أدنى مستوياته و ذلك بأن تكون في غاية الرحمة معهما .

أما الآية القرآنية القائلة ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و وصينا الإنسان بوالديه حملته أمه و هناً على وهن و فصاله في عامين أن اشكر لي و لوالديك إلي المصير } .

نرى أن كلمة (وصينا) هي من التوصية ، و التوصية بشيء ما أو شخص ما ، هي أن تلحظ هذا الشيء أو الشخص بعنايتك ، و عادة و غالباً ، ما تكون التوصية بالشيء الأضعف أو الطرف الأضعف المحتاج للرعاية و الحماية أو الصيانة .. و لا علاقة لهذا الأمر بمفهوم الطاعة أبداً .. تلك الطاعة العمياء التي أرادوها للوالدين ، بغية الشرك بالرحمن رب العالمين و من ثم الكفر به ، البتة ، و ما مصداق ذلك إلا الآية القرآنية القائلة ..

بسم الله الرحمن الرحيم { لا تجد قوماً يؤمنون بالله و اليوم الآخر يوادون من حاد الله و رسوله و لو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم } .

فبمجرد أنك تود من حاد و حارب و عادى و شاقق الرحمن رب العالمين و ظاهر عليه ، فأنت خرجت من ربقة الإيمان بالله سبحانه و تعالى و من ربقة الإسلام .. فتأمل و اتعظ و انتَهِ ، يرحمك الله .

إن ما سبق يقودنا إلى القول .. إن القضايا القرآنية الافتراضية تختلف عن القضايا القرآنية المنطقية ، في أن القضايا المنطقية هي مسائل منطقية عامة تستوجب الرد عليها من المنطق نفسه ، و ذلك لإثبات وجود الله سبحانه و تعالى .. و هي قضايا للعموم و يقبل بها عموم الناس ، كافرهم و مؤمنهم ، يتم طرحها للوصول إلى نتيجة منطقية عامة و مقبولة لا يمكن دحضها .. فهي في القرآن الكريم ، للوصول إلى نتيجة مفادها أن الله سبحانه و تعالى ، موجود قائم بذاته لا إله إلا هو وحده لا

شريك له .. فهي إذن ، قضايا هدفها العام هو توحيدي لإثبات وحدانية الرحمن رب العالمين .

بينما القضايا الافتراضية هي قضايا ضابطة لأحكام الرحمن رب العالمين ، القرآنية ، و مانعة للعبث و التغيير فيها . هي قضايا مختصة بالأحكام القرآنية ، و ما هدفها إقناع الناس منطقاً و جدلاً ، أو الخروج بنتيجة منطقية للقبول أو الرفض ، بل هي في الأساس ، أحكام أيضاً لكنها أحكام ضابطة للأحكام و مانعة للتَفَلّت فيها أو العبث بها أو تجييرها و تحويرها لاتجاه آخر .

القضية الافتراضية السادسة .. الصيام و الإفطار .

الصيام هو حكم من الأحكام القرآنية التي فرضها الله سبحانه و تعالى ، على الناس .. و حُكْمْ الصيام في القرآن الكريم يختلف عن باقي الأحكام القرآنية ، بأنه حكم اختياري ، و مخفَّف نسبياً ، بمعنى أنه أقرب إلى الاختيار منه إلى الإجبار و القطع البتة ، كالصلاة و ما شابهها من أحكام .. و هو حُكم تم وضع بدائل له ، حال عدم القيام به أو تعذّر ذلك .. جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون (*) أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر و على الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له و أن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون } .

نلاحظ في الآية السابقة أن الصيام كحكم رباني ، قد جاء بصيغة مخفَّفة كما وُضِعَ بديل له حال الاستنكاف عنه .. كما جاء أيضاً بصيغة التشجيع أكثر منه بصيغة الوعد و الوعيد كما في الصلاة مثلاً ، فهو حكم لم يأتِ في القرآن الكريم ، عقاب واضح لمن امتنع عنه ، فقد جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { في جنات يتساءلون (*) عن المجرمين (*) ما سلككم في سقر (*) قالوا لم نك من المصلين (*) و لم نك نطعم المسكين (*) و كنا نخوض

مع الخائضين (*) و كنا نكذب بيوم الدين (*) حتى أتانا اليقين (*) فما تنفعهم شفاعة الشافعين } .

في الآيات السابقة ، تم ذكر عقاب جهنم لذنوب عدة ليس فيها ذنب واحد يتعلق بالصيام .. ليس ذلك فقط .. بل إن مجرد السهو عن الصلاة و عن متطلباتها و شروطها و غاياتها ، حتى بالنسبة لمن يقوم بها ، هو في القرآن الكريم ، جريمة فظيعة عقابها جهنم و بئس المصير ، جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فويل للمصلين (*) الذين هم عن صلاتهم ساهون (*) الذين هم يراءون (*) و يمنعون الماعون } .

أن الرحمن رب العالمين ، هو بالفعل أدرى بعباده و بالغيب الذي يختصهم ، و لذلك جعل من الصيام حكماً غير قاطع البتة ، و جعل فيه شيء من التخفيف .. ذلك أن الطب الحديث اليوم قد أثبت أن الصيام غير مناسب لبعض الحالات المرضية كأمراض السكري و أمراض الكلية مثلاً .. و برأينا فإن هذا من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم .

إذا عدنا و نظرنا في حكم الصيام في القرآن الكريم ، لوجدنا أنه حكم خاضع للقواعد و الأحكام الافتراضية التي جعلها الله سبحانه و تعالى ، ضابطاً لأحكامه القرآنية و مانعاً لها من الانفلات و الخضوع للعبثية و الأهواء البشرية .. و يتضح ذلك لنا ، من الآية القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و ابتغوا ما كتب الله لكم و كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل } .

بقليل من تدقيق ، و شيء من تَدَبُّر ، يتضح لنا أن حكم الصيام قد جاء مشروطاً بحكم الإفطار و ذلك من عبارة (و كلوا و اشربوا) .. و الإفطار في القرآن الكريم يعني الأكل و الطعام ، و تحديداً .. أول الطعام أو الطعام أول شيء أو أمر ما .. فالإفطار اليومي الاعتيادي ، هو الطعام باكراً عند الاستيقاظ من النوم أمس ، أي هو طعام بداية اليوم ، يليه طعام الغداء ثم طعام العشاء .. و الإفطار حال الصوم ، هو تناول الطعام في فترة السحور أو بداية الفجر تمهيداً للقيام بحكم الصيام .

إذن .. فإن حُكْم الإفطار هو حُكمٌ حاكِمٌ لحكم الصيام و شرط أساس له ، لا يكتمل الصيام من دونه .. و بالتالي ، فهو شرط افتراضي له أو قضية افتراضية ضابطة للصيام و موجبة لوقوعه و القيام به .. فإذا اختل شرط الإفطار ، نقص حكم الصيام و صار غير مكتمل الأركان .

و لا بد من ملاحظة أن ، حكم المرض هو حكم عام غير ضابط أساس للصيام ، فهو حكم يشمل بالاستثناء .. الصلاة و الصيام و الحج و الحرب و غير ذلك .. و بالتالي ، فأمر بدهي طبعي أن يكون المرض مانع للصيام و لغيره من الأحكام .. و لنا أن نستنتج ذلك من الآيات القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فمن شهد منكم الشهر فليصمه و من كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و أتموا الحج و العمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي و لا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضاً أو به أذًى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك } .

بسم الله الرحمن الرحيم { ليس على الأعمى حرج و لا على الأعرج حرج و لا على المريض حرج و لا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً و إن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً (*) ليس على الأعمى حرج و لا على الأعرج حرج و لا على المريض حرج و من يطع الله و رسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار و من يتول يعذبه عذاباً أليماً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفواً غفوراً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { ليس على الضعفاء و لا على المرضى و لا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله و رسوله ما على المحسنين من سبيل و الله غفور رحيم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و الله يقدر الليل و النهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى و آخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله و آخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لا جناح عليكم إن كان بكم أذًى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم و خذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً } .

يُلاحظ مما سبق ، أن المرض هو حالة اعتراضية استثنائية عامة ، تشمل معظم أحكام القرآن الكريم إن لم يكن كلها .. ذلك لأن المرض هو عائق طبيعي أمام أي عمل أو جهد أو تكليف .. فهو أمر و شرط مفروغ منه في الاستثناء .

إذن .. و بناء عليه ، فإن الصيام هو حكم يتكون من شقين هما .. الإفطار ثم الصيام .. أي بمعنى أدق ، فإن حكم الصيام هو باختصار و بساطة شديدين .. الأكل و الطعام لأجل الامتناع عن الأكل و الطعام .. و لا يتحقق و يكتمل إلا بهَذين الشرطين .

لقد جعل الرحمن رب العالمين ، حكم الصيام ، قضية افتراضية مشروطة بالطعام .. و ذلك لأجل لَحْظُ كل إنسان جائع أو فقير أو معدم ، فهؤلاء لا يكتمل لديهم الصيام و هم في حالة من البؤس و الفقر و الجوع لا تمكنهم من الصيام ، و هم في ذلك يشابهون أولئك الذين جاؤوا إلى الرسول ليقاتلوا معه ، لكنه ردهم لأنه لم يجد ما يميرهم به من طعام و عتاد و غيره ، فعادوا أدراجهم و هو يبكون أسفاً و وأمنيةً للقتال مع الرسول .. كما ذكرت الآية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا و أعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون } .

لكن الله سبحانه و تعالى ، إن لم يجعل لهؤلاء بديل ، فقد جعل لمن لا يمكنه الصيام نتيجة الفقر و الجوع ، بديلاً و هو أن يقيّض له من يطعمه من الذين لا يمكنهم الصيام نتيجة لمرض أو عدم رغبة و مقدرة ، من حيث قال ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و على الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له و أن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون } .

و بناء عليه فقد صارت معادلة الرحمن الإلهية الربانية ، كالتالي .. يا أيها الذي لا تستطيع الصيام لأجل مرض أو لا تريد الصيام لعدم رغبة ، قم بتأمين الطعام لمن لا يستطيع الصيام ، فقراً و جوعاً .. **إن كنت لا تصوم فاجعل غيرك يصوم** .

من خلال ما سبق جميعاً ، نصل إلى نتيجة افتراضية ، و هي .. كل من لا يجد قوت يومه لإطعام نفسه أو أهله ، فهو في حل من الصيام . و هي حالة افتراضية شبيهة بحال المرض كمانع للصيام و لغيره من أحكام قرآنية .. فكما أن المريض لا يمكنه الصيام و لا يقدر عليه ، كذلك الجائع لا يمكنه الصيام و لا يقدر عليه ، لسببين ..

- الأول .. أن الجسد بحاجة إلى طعام لكي يتمكن من الصيام و الانقطاع عن الطعام عبادة .. فإن كان منقطعاً عن الطعام أصلاً ، فلا يمكنه الانقطاع عن الطعام عبادة ، لأنه من الأساس هو منقطع عن الطعام .. و العملية هنا هي عملية بيولوجية أو جسدية بحت .. أي أن متطلبات الصيام المادية و الجسدية و حتى الطبية ، هي غير متوافرة .. و بالتالي لا يمكن القيام بشيء ، أركانه المادية غير متوافرة .

- الثاني .. إن حكم الصيام الذي كتبه الله سبحانه و تعالى ، على الناس يتطلب ركنيّ عبادة أساس ، كشرط لإتمامه و القيام به .. أولهما الإفطار أي الأكل و الطعام .. و ثانيهما الصيام أي الإمساك عن الأكل و الطعام .. و بما أن ركن الإفطار غير متوافر ، فلا يمكن و الحالة هذه القيام بحكم الصيام و إتمامه .. أي أن العملية هنا

هي عملية تعبدية فقهية نسكية بحت .. أي أن متطلبات حكم الصيام التعبدية و الدينية ، هي غير متوافرة ، بعضها أو كلها .

إن ما يعطي دلالة غير مباشرة على ما سبق ، هو أن الصيام في القرآن الكريم ، جاءت أحكامه كعقاب أو بديل ، أكثر منها كفرض عبادة أي أن الآيات التي جاء فيها الصيام كحكم و قضاء إلهي واجب القيام و الأداء ، هي أقل بكثير من الآيات التي جاء فيها الصيام كعقاب و جزاء أو تعويض بديل .. و يتضح لنا ذلك ، من الآيات القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و أتموا الحج و العمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي و لا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضاً أو به أذًى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج و سبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام و اتقوا الله و اعلموا أن الله شديد العقاب } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً و من قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة و دية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم و هو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة و إن كان من قوم بينكم و بينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله و تحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبةً من الله و كان الله عليماً حكيماً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و الذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به و الله بما تعملون خبير (*) فمن لم يجد

فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ذلك لتؤمنوا بالله و رسوله و تلك حدود الله و للكافرين عذاب أليم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم و لكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم و احفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد و أنتم حرم و من قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف و من عاد فينتقم الله منه و الله عزيز ذو انتقام } .

إن دلالة كون آيات الصيام كعقاب أو نهي أو بديل ، أكثر منها آيات الصيام كحكم إلهي تعبدي ، تقود إلى نتيجة هامة ، هي أن حكم الصيام فيه من التعب و الجهد و المشقة ما فيه .. و بالتالي فإن افتراضية و موجبات الإفطار قبل الصيام ، هي سليمة و صحيحة تماماً .. ذلك أنه حتى الإفطار يحتاج إلى مشقة و جهد في سبيل القيام به من الناحية المادية ، و إلا لما وضع الله سبحانه و تعالى ، أحكام الزكاة و إطعام الفقراء و المساكين .

إن الوجه المقابل لافتراضية الإفطار لأجل الصيام ، هو سوء استخدام حكم الصيام من قِبَل البعض ، و جعله سيفاً مسلطاً على رقاب الخلق ، يجب أن يقوموا به تحت أي حال و أي ظرف ، شاءوا ذلك أم أبَوه .. جياعاً كانوا أم شبعى .. متناسين أن الله سبحانه و تعالى ، قد أمر بتأمين الإفطار للفقير و المسكين حتى يتمكن من القيام بحكم الصيام مثلاً .. متناسين أن الله سبحانه و تعالى ، قد أمر بذلك لأجل

التذكير بالجياع و الفقراء و المساكين و ربما جعل حكم الصيام للتذكير بحكم الزكاة الذي ربما هم عنه غافلون .

كما أن الوجه الآخر المقابل لافتراضية حكم الصيام ، هو الإخلال ربما بحكم الصيام نفسه و خلق حالة من النفاق في الدين ، و ذلك مِن جعْلِ الصيام حكماً مطلقاً غير قابل للبت فيه و أي إخلال أو تقاعس أو تقصير أو إيجاد فسحة مناورة و عذر ، يؤدي إلى إبطال الصيام كلياً .. و في هذا ، فَتْحُ باب للهروب و الغش و الادّعاء بالصيام و التذمر من الدين الإسلامي و بغضه ، و هو ما يفتح الباب لأمور أخرى في النفاق .. فينتقل الأمر إلى الصلاة و من ثم إلى الزكاة ثم غيرها فغيرها .

إن حكم الصيام في القرآن الكريم ، و ما تبِعَه من أحكام افتراضية ، ضابطة له و محدِدة لأُطُره و مانعة للعبث فيه كما ذكرنا آنفاً .. هو صورة حقيقة ملموسة عن مفهوم .. الحقوق و الحدود .. الذي اعتمده الرحمن رب العالمين ، في ذِكره القرآن الحكيم العزيز العظيم الكريم المجيد .. و هو ربما ، صورة حية أخرى توضح الآيات القرآنية التي تحدثت عن القرآن الكريم لجهة التفصيل و الإحكام و الحفظ و الضبط ، و من هذه الآيات على سبيل المثال ..

بسم الله الرحمن الرحيم { الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجاً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً } .

و الفرقان ، هو الكتاب أو الشيء الذي يُفَرَّق به بين الحق و الباطل .. و هذا لا يستقيم إلا أن يكون الفرقان محكوم بضوابط صارمة دقيقة تمنع عنه الريب و الشك .

بسم الله الرحمن الرحيم { الر كتاب أُحْكِمت آياته ثم فُصِّلَت من لدن حكيم خبير } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد جئناهم بكتاب فصّلّناه على علم هدًى و رحمةً لقوم يؤمنون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و ما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله و لكن تصديق الذي بين يديه و تفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { الم (*) تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين } .

إن عبارات و كلمات من مثل .. فصّلّناه .. على علم .. هدى .. تفصيل الكتاب .. لا ريب فيه .. أُحْكِمت آياته .. فُصِّلَت .. لدن حكيم خبير . هي متوافقة في التمام و الكلّية مع وجود الضوابط و الأحكام الافتراضية في القرآن الكريم التي تمنع الانفلات و التشتت و التشظي في أحكام و شرائع الرحمن رب العالمين في القرآن الكريم .. و تمنع في الوقت نفسه محاولات التسلل إلى هذه الأحكام و الآيات و العبث بها أو العيث فيها فساداً و طغياناً أو تجزئتها و تفرقتها بعضها عن بعض ، كما ذكر القرآن الكريم نفسه ، في ذلك ..

بسم الله الرحمن الرحيم { كما أنزلنا على المقتسمين (*) الذين جعلوا القرآن عضين (*) فوربك لنسألنهم أجمعين (*) عما كانوا يعملون (*) فاصدع بما تؤمر و أعرض عن المشركين } .

و القرآن الكريم ، ذكر أيضاً محاولات الكفرة و المشركين ، التأثير بالرسول الكريم محمد ، و جَعْله ينقاد لهم في بعض الأمر ، و ذكر تحذير الله سبحانه و تعالى ، أو الملائكة له ، من مغبة ذلك ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره و إذاً لاتخذوك خليلاً (*) ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً (*) إذاً لأذقناك ضعف الحياة و ضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً } .

فالقرآن الكريم يتحدث عن محاولات حثيثة دؤوبة لاختراقه ، سواء عن تحريف بعض المعاني أو إيجاد بعض الثغرات فيه للولوج منها إليه ، أو التأثير على الرسول محمد نفسه .. و ما ذلك إلا لوجود تلك الضوابط و الاحكام الافتراضية المانعة لكل ذلك .. فهُمْ بما أنهم لم يجدوا ثغرات في القرآن تمكنهم من ذلك .. التفتوا إلى الرسول الكريم محمد ، نفسه ، علّهم يأثرون عليه بأن ينساق معهم في شيء من ذلك .

هنالك العديد من الأحكام القرآنية التي تندرج مع حكم الصيام في الضبط الافتراضي لها ، لكننا آثرنا الصيام لأنه الأوضح و الأشمل في ذلك و يمكن إسقاطه و تعميمه على بقية الأحكام القرآنية ، كالصلاة و أكل بعض اللحم المحرم ، اضطراراً و ما إلى ذلك .

القضية الافتراضية السابعة .. الجماعة و الجمع .

منذ وجوده على الأرض و إنزاله من قِبَل الرحمن رب العالمين عليها عقاباً له على عصيان أبويه في الجنة ، آدم و زوجه ، للرحمن ربهما .. أدرك الإنسان أهمية الجماعة و نظامها ، في حياته و أولى ذلك عناية خاصة .. و ربما كان ذلك مما علمه إياه الله سبحانه و تعالى ، إما وديعة في عقله و إما من خلال ما أوحى إليه ، مراقبة الحيوان و استخلاص أهمية الجماعة عنده ، لديه . و قد ذكر القرآن الكريم شيء من هذا القبيل في حادثة ابني آدم حين قتل أحدهما الآخرَ ، فبعث الله سبحانه و تعالى ، غراباً للقاتل كي يعَلّمه طريقة دفن المقتول ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين (*) فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين } .

و يبدو من القرآن الكريم ، أن الإيحاء الرباني للإنسان بأخذ بعض العلم من الحيوان ، كان في بدايات نزول الإنسان على الأرض .

لقد فهم الإنسان (على كل حال) أهمية الجماعة لصيانة وجوده و حماية نفسه و اختصار الكثير من المعاناة و التعب ، في حياته ، و أدرك ذلك من خلال وجوده على الأرض و ما فيها من حيوانات مفترسة و تضاريس و نبات و مخلوقات أخرى ، و ما يحتاجه لتأمين مأكَلِه و مسكنه و ملبَسِه .. فكان أن سار هذا الإنسان في

ركب الجماعة و المجموع أو الجَمع ، و أسّسَ بناء على ذلك ، نظام القبائل و الممالك ثم صار إلى نظام الإمبراطوريات .. و ترافق ذلك كله مع تطور العلوم الأرضية لديه ، حتى وصل إلى ما وصل عليه الآن .

إن من أهمية نظام الجماعة لدى الإنسان ، أن القرآن الكريم ، قد تناوله كأساس افتراضي لمعظم الأحكام و الشرائع و الأوامر و النواهي ، إن لم يكن كلها .. و بإلقاء نظرة تَدَبّر في آيات القرآن الكريم ، نجد أنه يخاطب المجموع أساساً لا الفرد .. حتى في بعض الخطابات التي تبدو كأنها فردية ، هي في أساسها خطاب للجَمع .. فمثلاً عبارات من مثل .. يا أيها الإنسان .. الإنسان .. هي عبارات قد تبدو خطاباً لفرد واحد لكن من سياق الآية القرآنية ، يتضح أنها للمجموع ، و ربما للجنس البشري ككل ، و من مثال ذلك ، أول سورة في القرآن الكريم و هي سورة العلق ..

بسم الله الرحمن الرحيم { اقرأ باسم ربك الذي خلق (*) خلق الإنسان من علق (*) اقرأ و ربك الأكرم (*) الذي علم بالقلم (*) علم الإنسان ما لم يعلم (*) كلا إن الإنسان ليطغى (*) أن رآه استغنى } .

إن كلمة (الإنسان) في سابق الآيات ، تعني المجموع البشري ككل ، و الله سبحانه و تعالى ، يقصد فيها جنس الإنسان كله .

بسم الله الرحمن الرحيم { و جيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان و أنى له الذكرى } .

في الآية السابقة ، لم يكن المقصود بكلمة (الإنسان) فيها ، الجنس البشري كله ، بل قسم منه و هو الكفار ، أي جماعة أو مجموع الكفار .

بسم الله الرحمن الرحيم { و العصر (*) إن الإنسان لفي خسر (*) إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر } .

المقصود بكله (الإنسان) في الآية الآنفة الذكر ، هو الجنس البشري كله لكن مستثنى منه الذين عملوا الصالحات و تواصوا بالحق و الصبر .. أي أن المخاطب هنا هما جماعتين أو فريقين .. فريق من لم يعملوا الصالحات و فريق من عملوها و تواصوا بالحق و الصبر .

بسم الله الرحمن الرحيم { و أن ليس للإنسان إلا ما سعى (*) و أن سعيه سوف يرى (*) ثم يجزاه الجزاء الأوفى } .

لا جرم أن المقصود بكلمة (الإنسان) في الآية السابقة ، هو الجنس البشري كله لا يُستثنى منه أحداً .

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه (*) فأما من أوتي كتابه بيمينه (*) فسوف يحاسب حساباً يسيراً (*) و ينقلب إلى أهله مسروراً (*) و أما من أوتي كتابه وراء ظهره (*) فسوف يدعو ثبوراً (*) و يصلى سعيراً } .

بالرغم من أن المنادى في الآيات السابقة ، هو الإنسان بصيغة الفرد ، إلا أن المقصود ، فيها هو الجنس البشري كله ، بدليل أن القرآن الكريم قد قسّم كلمة أو مصطلح (الإنسان) في الآيات السابقة ، إلى فريقين .. فريق أوتي كتابه بيمينه ، و فريق أوتي كتابه وراء ظهره .

أما صيغة النداء في القرآن الكريم ، فقد جاءت بمجموعها الطاغي ، كنداء للجماعة ، من مثل .. يا أيها الإنسان .. أيها الإنسان .. يا بني آدم .. يا أيها الناس .. الخ . بينما جاءت شذرات قليلة منها للفرد فقط ، كمثال ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها المدثر (*) قم فأنذر (*) و ربك فكبر (*) و ثيابك فطَهِّر } .

إذ كان المخاطَب هنا ، هو الرسول الكريم محمد وحده فقط .

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها المزمل (*) قم الليل إلا قليلاً } .

أيضاً كان المخاطب المفرد هنا ، هو الرسول الكريم محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم { و قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون } .

المقصود فيها ، هو الرسول الكريم محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم { و قالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون } .

المقصود بالنداء هنا هو الرسول موسى .

بسم الله الرحمن الرحيم { إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدةً من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً (*) يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوءٍ و ما كانت أمك بغيّاً } .

و الملاحَظ في سابق الآيات ، أن المخاطَب المفرد في القرآن الكريم ، قد جاء بمجموعه للأنبياء و الرسل .. يا موسى .. يا يحيى .. يا هود .. يا لوط .. يوسف أيها الصديق .. يا إبراهيم .. يا زكريا .. الخ .. و العبرة من ذلك كله ، هي أن الأنبياء و الرسل ، كان لديهم مهمات خاصة مكلّفون بها وحدهم فقط ، و رسالات يوصلونها لأقوامهم أو للبشرية جمعاء .

فإذا كان الخطاب الإلهي الرحماني ، هو بمعظمه خطاب موجه للجماعة أو المجموع العام ، فهذا يعني أن الرحمن رب العالمين ، قد أراد استخلاف الإنسان للأرض ، عن طريق الجماعة أو بواسطة النظام الجماعي و ليس عن طريق الأفراد .. و من هنا ، كان نظام العلاقة الأساس أو الافتراضي بين البشر و الله سبحانه و تعالى ، الذي اختاره و أراده الله سبحانه و تعالى ، هو علاقة الإله مع المجموع ، فتصير المعادلة الافتراضية في العلاقة الإلهية البشرية ، تبعاً لذلك هي .. إله – جماعة .. إله – قوم .. إله – أمم و شعوب .

لقد أراد الله سبحانه وتعالى ، أن تكون العلاقة بينه و بين الإنسان ، علاقة إله مع جماعة ، و لذلك كلّف الله سبحانه و تعالى الجماعة و لم يكَلِّف الفرد إلا أنبياء و رسلاً .. حتى إننا إذا نظرنا الى طبيعة و تكوين الجسم البشري ، لرأينا ، أنه جسد مهيأ بأن يكون مع مجموع من أقرانه و ليس متهيئاً له أن يكون بمفرده أو أن يعمل بمفرده .. فهو بمفرده لا يستطيع فعل أي شيء في الواقع .. ذلك أن طبيعة جسد الانسان لا تمكنها من التعامل لوحدها و بمكوناتها المنعزلة ، مع الوسط الخارجي المحيط بالإنسان . و قد ذكر القرآن الكريم ما يدل على ذلك ، عندما قال ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يريد الله أن يخفف عنكم و خُلِق الإنسان ضعيفاً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { لقد خلقنا الإنسان في كبد } .

بسم الله الرحمن الرحيم { أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل و لم يك شيئاً } .

كل تلك الآيات السابقة ، تدل على أن الإنسان ، هو في أساسه ، مخلوق ضعيف لجهة الجسد و القوى العضلية المادية و لجهة التحمل .

و الإنسان في القرآن الكريم ، محتاج إلى الحيوان أكثر منه احتياج الحيوان له .. أكان ذلك عِلماً كما في حالة الغراب الذي علّم ابن آدم الذي قتل أخيه ، كيف يدفن جثته ، أم إخباراً ، كحال الهدهد الذي أخبر سليمان النبي عن مملكة سبأ و قال له بحسب ما جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به و جئتك من سبإ بنبإ يقين } .

أم كان ذلك طعاماً أو حاجة مادية ، بحسب ما جاء به القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين (*) و الأنعام خلقها لكم فيها دفء و منافع و منها تأكلون (*) و لكم فيها جمال حين تريحون و حين تسرحون (*) و تحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم (*) و الخيل و البغال و الحمير لتركبوها و زينةً و يخلق ما لا تعلمون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و الله جعل لكم من بيوتكم سكناً و جعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم و يوم إقامتكم و من أصوافها و أوبارها و أشعارها أثاثاً و متاعاً إلى حين } .

فالإنسان هو أخر مخلوق وُجِدَ على الأرض .. ذلك لأن كل الحيوانات في كوكب الأرض قديمة جداً ، و موجودة فيها منذ عشرات و مئات الملايين من السنين . إلا الإنسان الذي هو حيوان عاقل ناطق ، فهو أحدث حيوان وجد على الأرض و لم يتعد وجوده في الأرض آلاف السنين ، و لم يأت بعده حيوان آخر ..

كل الحيوانات مصممة جسدياً و بيولوجياً للقتل و الافتراس (مخالب – أنياب – سموم قاتلة – عضلات عاصرة – ضربات قوية قاصمة) و مع ذلك لا تمارس القتل إلا للأكل أو الدفاع عن النفس . بينما الإنسان ، هو بدنياً و فيزيولوجياً غير مصمم للقتل أبداً (لا أنياب – لا مخالب – لا عضلات قوية – لا سموم قاتلة – لا قوة بدنية – لا قدرة على تحمل الطبيعة مجرداً) .

كل الحيوانات في الأرض و طوال مدة مكوثها و بقاؤها فيها منذ مئات الملايين من السنين و حتى الآن ، تستطيع التكيف مع الطبيعة و ظواهرها .. مجردة من أية أدوات أو مستلزمات أخرى خارجية . إلا الإنسان فإنه لا يستطيع تحمل عوامل الطبيعة و ظواهرها و مظاهرها إذا ما تُرِكَ وحده عارياً و من دون مستلزمات و أدوات تعينه و تبقيه على قيد الحياة ، كالثياب التي تقيه البرد ، و السلاح الذي يدافع به عن نفسه ضد الضواري ، و المسكن و غيره .

في أي وقت شئت و أي مكان شئت وأي زمان و طقس شئت ، خذ أي حيوان شئت و اتركه في الطبيعة كما هو ، فإنه قادر على العيش و توفير مستلزمات البقاء و التعامل مع الطبيعة و استخدام عقله كاملاً لأجل ذلك ، كتحَمُّل الجوع و

العطش و التخفي و مداراة الأعداء و الدفاع عنه نفسه ضد أي خطر . إلا هذا الإنسان الذي لا يستطع البقاء لأكثر من ثلاثة أيام متحملاً البرد و الجوع و العطش و سوف يكون محكوم عليه بالهلاك المحتم . فهو كائن ضعيف غير قادر على الدفاع عن نفسه و لا مواجهة عوامل الطبيعة و مظاهرها .

اترك هذا الإنسان في غابة باردة ، عارياً مجرَّداً من أي أدوات أخرى ، تراه يموت فوراً من البرد و لا يقدر على مواجهة أي حيوان مفترس أو الهروب منه أو مناورته و المراوغة منه ، فهو ضعيف البدن بطيء الحركة ليس له أنياب و لا مخالب ، مثله كمثل الشاة العاجزة .. و كل الحيوانات بديناً و جسمانياً قوية إلا الإنسان فهو أضعفها خَلقاً .. حتى الحشرات نسبة إلى حجمها ، هي أقوى من الإنسان نسبة إلى حجمه ، كالنمل و النحل و العنكبوت .

كل حيوانات الأرض تأخذ عند ولادتها و خلقها ، فترة صغيرة جداً للتعلم و اكتساب الخبرة و القوة .. تبدأ من دقائق قليلة أو بضع سويعات ، و تكون في أقصاها شهر أو شهرين كحد أقصى و بعد ذلك تنطلق لوحدها في عالم الطبيعة و الحياة و تكتسب من والديها فقط ما ينفعها في الحياة و الطبيعة .. فقط ما تحتاجه في الطبيعة . إلا الإنسان فإنه لا يقوى على مجرد المشي إلا بعد سنة و لا يقوى على مجرد النطق الكامل إلا بعد الخمس من السنين .. و لا على التفكر الكامل و الوعي و الإدراك و التعلم إلا بعد عشرين عاماً و قد تمتد إلى الأربعين عاماً .. حتى أن ذروة الكمال عند الإنسان ، في القرآن الكريم ، هي أربعون سنة ..

بسم الله الرحمن الرحيم { ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً و وضعته كرهاً و حمله و فِصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده و بلغ أربعين سنةً } .

إن كائناً يحتاج حمله و فِصاله ، ثلاثين شهراً ، و يحتاج أن يكتمل جسدياً و عقلياً و نفسياً ، أربعين سنة ، هو كائن عاجز .. بل هو كائن في قمة العجز .

علما أنه حتى الحيوان الذي هو بالوضع الافتراضي ، يمكنه العيش و التأقلم بمفرده .. هو في النهاية كائن ضمن جماعة أو ضمن مجموع من الأقران تشكل قطعان فيما بينها أو أسراب .. كذلك الأمر بالنسبة للحشرات و حتى النبات .

لكن ما الذي ميّز الإنسان بالرغم من كل ضعفه و ضعف احتمال بقائه على قيد الحيد ضمن شروط مواصفات و مقاييسه الجسدية .. ما الذي ميّزه عن باقي الحيوانات و الكائنات الأرضية جميعاً و جعَلَه سيداً عليها ؟؟!! .

إن الذي ميّز الإنسان عن باقي المخلوقات الأرضية الحية ، هو العقل .. وحده العقل الذي وهبه إياه الرحمن رب العالمين ، إلهه و خالقه و مصوره ، و نفخه فيه من روحه ، و هو ما ذكره القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { الذي أحسن كل شيء خلقه و بدأ خلق الإنسان من طين (*) ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين (*) ثم سواه و نفخ فيه من روحه و جعل لكم السمع و الأبصار و الأفئدة قليلاً ما تشكرون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين (*) فإذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين } .

إن عبارة (نفخ فيه من روحه) تعني أن الله سبحانه و تعالى ، قد وضع في الإنسان بعد خلقه شيء من جوهره سبحانه و تعالى ، ألا و هو العقل المتقدم المتطور ، الذي ميزه به عن باقي المخلوقات الأرضية .. و هو نفسه العقل الذي طلب من

الملائكة السجود لآدم بسببه ، كونه خاصية من نفس الله سبحانه و تعالى .. (فإذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) .

و من دون هذا العقل ، أي إذا قام هذا الإنسان العاقل بتعطيل عقله الذي وهبه إياه الرحمن رب العالمين إلهه و خالقه و ربه .. فإنه ينحدر إلى مستوى أدنى من مستوى البهائم .. إذن .. العقل هو الذي ميّز الرحمن رب العالمين به الإنسان عن باقي المخلوقات و سلطه بموجبه عليها ، و جعَله أداة لبقاء الإنسان حياً على وجه الأرض .. و في ذلك يقول القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون (*) و لو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم و لو أسمعهم لتولوا و هم معرضون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً } .

واضح تماماً بما لا لبس فيه أن العقل إن وُجِدَ ، هو الذي يرفع من قدر الإنسان إلى مرتبة أعلى من الحيوان .. و هو الذي يُنزِل به إلى درك أحط مِن درك الحيوان إن غاب عنه .

مما سبق .. نستنتج أن الله سبحانه و تعالى ، قد وضع في الانسان العقل .. هذا العقل الذي هو بديل عن ضعفه الجسدي .. و جعل طبيعة تركيب العقل البشري ، تركيبة اجتماعية جماعية .. فالإنسان مهما كان ذكياً ناضجاً بمرحلة متقدمة من العقل ، لا يستطيع بمفرده فعل أي شيء .. و الإنسان الآن في الفترة الحديثة الحالية التي وصل فيها إلى أعلى درجات العلم و الحضارة و الذكاء و التصنيع و ما إلى ذلك .. فإن ذلك كله يقوم أساساً باعتماده على الجماعة .. فمثلاً الشركات

الصناعية اليوم ، تقوم و تعمل على مبدأ العمل الجماعي و حتى التخصصي .. فمثلاً لإنتاج سيارة .. هنالك من يطرح الفكرة ، و هنالك من يصمم الشكل و هنالك من يختص بالكهرباء و هناك من يختص بالفيزياء و هناك من يختص بالميكانيك و هنالك من يختص بالطلاء (أي الكيمياء) و هنالك من يقوم بالتجميع و .. و .. الخ ، و كل قسم من هؤلاء هو فريق بحد ذاته ، فتصوروا ؟؟!! إلى أن تخرج هذه السيارة أو السلعة أو المنتَج بكامل شكله النهائي .. و لا يستطيع أبداً ، فرد واحد ، فِعل ذلك بنفسه .

حتى الدول اليوم ، باتت تتحد بعضها مع بعض و تتجمع و تتآلف ، لكي تحمي نفسها و تشكل مَنعة و قوة أكبر ، علماً أنها تمتلك الجيوش و القدرات الدفاعية و الاقتصادية و غيرها من مقومات الحياة و استمرارها .

لقد أراد الرحمن رب العالمين أن يقول للإنسان .. إني جعلتك كائناً ذكياً ، لكن اعلم أنك في الوقت نفسه ، كائن ضعيفاً بمفردك ، فلا تغتر البتة من تفرّدك ، فقوتك و علمك و حضارتك ، هم في الجماعة و ليس في الفرد .

هذا يعني أن الخطاب الديني القرآني هو خطاب جمعي ، يخاطب المجموع و يكلّف المجموع و ينهى المجموع .. و لا أدَلّ على ذلك من الآيات القرآنية الكثيرة المتعددة التي تشير إلى هذه القضية ، و منها مثالاً لا حصراً ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير } .

توضح الآية السابقة أمرين غاية في الأهمية ..

– الأول .. إن الرحمن رب العالمين قد جعل البشر بعد خلقهم ، شعوباً و قبائل .. و الجَعْلُ في القرآن الكريم ، هو أمر ثابت لا تغيير فيه إلا أن يشاء الله سبحانه و تعالى ، إذن .. البشر تم تصميمهم من الأساس ليكونوا ضمن نظام جماعي .

– الثاني .. إن الغاية الإلهية الرحمانية من خلق البشر و استعمارهم و استخلافهم في الأرض ، هي لكي يتعارفوا بعضهم على بعض و يتلاقوا ضمن تجمعات كبرى ، أكبر من نظام الجماعة الافتراضي نفسه ، المتعارف عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم { و تعاونوا على البر و التقوى و لا تعاونوا على الإثم و العدوان و اتقوا الله إن الله شديد العقاب } .

تخاطب هذه الآية ، الجماعة أو القوم من الناس و تأمرهم بأن يجتمع أمرهم و عزمهم على إفشاء الإحسان و الشكر و مخافة الله سبحانه و تعالى ، في المجتمع ، لا أن يجتمعوا على نشر المعاصي و المفاسد و الرذائل و المظالم ، و أن يخافوا الله سبحانه و تعالى لأن عقابه سوف يكون قاسياً جداً .. و لم توجه هذه الآية الخطاب لفرد من الناس ، لأن لا إمكانية للفرد مهما كان ذكياً أو قوياً ، أن يقوم بهكذا مهمة على عاتقه .

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم } .

لم يكن المقصود بهذه الآية ، هو الفرد بعينه بل المجموع .. ذلك لأن التغيير في المجتمع ، يقع على عاتق الجماعة أو القوم لا الفرد بحد ذاته حتى و لو غيّر ما نفسه فإنه لن يستطيع تغيير المجتمع أو الجماعة التي هو فيها .. و في ذلك عبرة قوية .

بسم الله الرحمن الرحيم { فبما رحمة من الله لنت لهم و لو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم و استغفر لهم و شاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين } .

حتى الرسول الكريم الذي هو القائد أو الزعيم الروحي للمسلمين ، يطلب الله سبحانه و تعالى ، منه أن يكون لَيّناً بالقول و التعامل مع أتباعه ، لأن ذلك هو رحمة من الله سبحانه و تعالى ، به و بأتباعه ، فلو كان قاسياً جلفاً في التعامل معهم ، لتركوه و ابتعدوا عنه .. كذلك يطلب الله سبحانه و تعالى ، منه أن يتساهل مع بعض هفواتهم و زلاّتهم و يطلب المغفرة لهم و أن يأخذ مشورتهم .. لأنهم إن تركوه و تخلوا عنه ، لانفَضّ مشروع الرسالة من أساسه ، فهو مشروع **يبدأ فرداً من الرسول الكريم محمد ، لكنه ينتهي جماعةً بأتباعه المسلمين** .

بسم الله الرحمن الرحيم { و الذين استجابوا لربهم و أقاموا الصلاة و أمرهم شورى بينهم و مما رزقناهم ينفقون } .

تشديد على تبادل الآراء في الجماعة المسلمة و أن لا يكون القرار فردياً .

بسم الله الرحمن الرحيم { إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص } .

لا يمكن لفرد واحد أن يجابه و يقاتل جماعة من الناس ، مهما بلغ من الذكاء و القوة .

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار (*) و من يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله و مأواه جهنم و بئس المصير } .

تطالب الآية الأخيرة مما سبق ، بأن يكون الفرد المسلم تابع لجماعة أو فئة و لا يكون بمفرده ، لدرجة أنها سمحت له أن يتراجع في الحرب و ينكفئ ، إذا كان يريد الالتحاق بجماعة مسلمة أخرى ، في الحرب ، المهم أن لا يبقى بمفرده .

حتى العقاب الإلهي ، في القرآن الكريم ، كان بمجمله ، عقاباً للجماعة أكثر منه للفرد الذي نادراً ما وقع عليه عقاب ، في القرآن الكريم ، ربما باستثناء قارون الذي خسف الله سبحانه و تعالى ، به الأرض إذا جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فخسفنا به و بداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله و ما كان من المنتصرين } .

أو صاحب الجنة الذي كان يتفاخر على جاره الفقير بجنته ، حداً وصل به إلى الشرك بالله سبحانه و تعالى ، جَرّاء ذلك ، فعاقبه الله سبحانه و تعالى ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و أحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها و هي خاوية على عروشها و يقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً (*) و لم تكن له فئة ينصرونه من دون الله و ما كان منتصراً } .

أما آيات العقاب الجماعي في القرآن الكريم ، فهي كثيرة جداً لا يتسع لها المجال بِرمّتها في هذا الكتاب ، لكن منها على سبيل المثال لا الحصر ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد آتينا موسى الكتاب و جعلنا معه أخاه هارون وزيراً (*) فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { ثم دمرنا الآخرين (*) و أمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذَرين (*) إن في ذلك لآيةً و ما كان أكثرهم مؤمنين (*) و إن ربك لهو العزيز الرحيم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و مكروا مكراً و مكرنا مكراً و هم لا يشعرون (*) فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم و قومهم أجمعين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذا أردنا أن نهلك قريةً أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً (*) و كم أهلكنا من القرون من بعد نوح و كفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و أمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و أخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين (*) كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعداً لثمود } .

و هكذا دواليك .. كان كل العذاب و البطش و العقاب في حياة الدنيا ، هو لأقوام و أمم و شعوب ، و نادراً جداً جداً ما ذُكر عقاب فرد في القرآن الكريم .

لقد تم التعويل على الجماعة في القرآن الكريم ، لأنها هي التي تحسم أمر الدين و هي التي تنصر الرحمن رب العالمين ، و بها يتم نصرة الدين و الحق و نشر العدل و الأخلاق و كافة شرائع الرحمن رب العالمين ، و من ضمن ذلك ، الحرب و القتال .. فإذا نظرنا إلى قضية و مفهوم و مسألة الحرب و القتال في القرآن الكريم ، لرأينا أن كل آيات القتال في القرآن الكريم جاءت للجماعة و المجموع ، و من ذلك مثلاً لا حصراً ، الآيات التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { كُتب عليكم القتال و هو كره لكم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا

تقاتلوا قالوا و ما لنا ألا نقاتل في سبيل الله و قد أخرجنا من ديارنا و أبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم و الله عليم بالظالمين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها النبي حَرِّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين و إن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و ليعلم الذين نافقوا و قيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و قاتِلوا في سبيل الله و اعلموا أن الله سميع عليم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و قاتِلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله و أخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين } .

لاحظ الآية التالية كيف تُظهِر أنه حتى الأنبياء و الرسل ، هم بحاجة إلى جماعة تقاتل معهم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و كأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله و ما ضعفوا و ما استكانوا و الله يحب الصابرين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { انفروا خفافاً و ثقالاً و جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون } .

و لم ترد آية واحدة تأمر شخص بالقتال بمفرده ، أو تأمر رهطاً مِن أشخاص على الأقل أن يقاتلوا .. ليس ذلك فقط ، بل إن القرآن الكريم ذكر أن الله سبحانه و تعالى قد عاقب كل من أمر بالقتال الفردي و تخلى عن القتال الجماعي .. و مِن ذلك ، طلب قوم موسى منه ، إعفاؤهم من القتال عندما طلب منهم موسى ذلك .. و عندما أحرجهم و اضطرهم لذلك ، طلبوا منه أن يذهب هو و ربه فيقاتلان ، فكان أن غضب الله سبحانه و تعالى و عاقبهم ، جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء و جعلكم ملوكاً و آتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين (*) يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم و لا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين (*) قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين و إنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون (*) قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون و على الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين (*) قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت و ربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون (*) قال رب إني لا أملك إلا نفسي و أخي فافرق بيننا و بين القوم الفاسقين (*) قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنةً يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين } .

و ولا أدَلّ من أهمية الجماعة و المجموع عند الله سبحانه و تعالى ، أنه طلب من أتباع الأنبياء و الرسل ، أن يقفوا معهم و يناصروهم في تبليغ رسالاتهم و الدفاع عنهم ضد أعدائهم م جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل (*) إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً و يستبدل قوماً غيركم و لا تضروه شيئاً و الله على كل شيء قدير (*) إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه و أيده بجنود لم تروها و جعل كلمة الذين كفروا السفلى و كلمة الله هي العليا و الله عزيز حكيم (*) انفروا خفافاً و ثقالاً و جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون } .

و ليس فقط الأنبياء و الرسل مَن طلب الله سبحانه و تعالى ، من أتباعهم أن يناصروهم ، بل كذلك طلب منهم أن يناصروا ملوكهم الذين نَصَّبهم عليهم ، كحال الملك طالوت ، إذ جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا و ما لنا ألا نقاتل في سبيل الله و قد أُخرِجنا من ديارنا و أبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم و الله عليم بالظالمين (*) و قال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا و نحن أحق بالملك منه و لم يؤت سعةً من المال قال إن الله اصطفاه عليكم و زاده بسطةً في العلم و الجسم و الله يؤتي ملكه من يشاء و الله واسع عليم } .

إذن .. و مما سبق من آيات قرآنية ، يتضح لنا أن مفهوم الجماعة لا بد له من الوجود للقيام بأعباء الحكم و القتال و الدفاع عن الشريعة و الدين .. ذلك من

المنظور القرآني .. فالله سبحانه و تعالى لم يقبل بإرسال ملك للملأ من بني إسرائيل إلا بشرط أن يقاتلوا في سبيل الله سبحانه و تعالى .

إن التوجيه الإلهي و الأوامر الواضحة بالتزام الإنسان حالة الجماعة ، هي أوامر لصالح الإنسان أولاً ، فالرحمن رب العالمين الذي خلق الإنسان و هو أدرى به من أي أحد آخر ، يعلم أن لا مجال له في البقاء و استعمار الأرض و عمرانها ، إلا أن يكون ضمن نظام جماعة . و أن نظام الفردية و التفرد ، هو نظام لا يناسب المنظومة البشرية افتراضياً ، و هو نظام ضار بها افتراضياً ، و لا أدل من ذلك من الآية القرآنية التي أوردت مثالاً على سوء الفردية ، من بيت العنكبوت ، من حيث جاء ..

بسم الله الرحمن الرحيم { مَثَلُ الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً و إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون } .

لقد ضرب القرآن الكريم بيت العنكبوت مثلاً ، ليس من حيث ضعف متانة خيوط العنكبوت ، فخيوط العنكبوت ، هي من أمتن الخيوط و أقواها على الإطلاق و يصعب على الحشرات حتى المتوسطة و أحياناً الكبيرة الإفلات منها .. لكن المقصود بالوهن و الضعف ، هو حالة الفردية الانعزالية التي تعيشها هذه العنكبوت ، فتراها تعيش لوحدها منعزلة متخِذة بيتاً منفرداً و لا تقبل أن تشاركها فيه عنكبوت أخرى بل و لا تقبل أن يكون بجوارها بيت عنكبوت أخرى .. حتى في حالات الزواج عندما تتزاوج العنكبوت فإنها تقتل ذكر العنكبوت بعد تلقيحها مباشرة ، إن لم ينجُ بنفسه فور التلقيح .. لذلك ، بناء عليه و عليه بناء ، جاء بيت العنكبوت في القرآن الكريم ، دليلاً على الضعف و القباحة .

إن مما سبق جميعاً ، يقودنا إلى الوجه الآخر المقابل أو المضاد ، لندرك أهمية و مغزى وضع الجماعة الافتراضي ، للأحكام القرآنية .. فإذا نظرنا اليوم في العصر الحالي الذي نحن فيه الآن ، نرى أن كل ما يحصل و كل ما يُراد له الحصول ، هو مخالف تماماً لقضية الجماعة الافتراضية لنظام بني البشر ، فالأمر و الحال السائدين اليوم هما .. الوضع الفردي الشخصي للإنسان ، و هو ليس الوضع الفردي الاعتيادي المتعارف عليه ، بل ذلك الوضع الانعزالي المقصود و الذي هو وضعٌ منظم ممنهج .. و التشجيع لذلك الوضع الشاذ عن تاريخ البشر و البشرية ، و الأمر به و ترويجه و السعي الدؤوب الحثيث لانتشاره .. سواء إعلامياً أم منهجياً و تربوياً .

إن كل وسائط الإعلام و وسائلها ، تشجع اليوم نظام الفردية الانعزالي ، و تنشره في المجتمعات ، و ذلك عن طريق الأفلام السينمائية أو المسلسلات و غيرها من برامج إعلامية دعائية .. ففي ما يسمى أفلام (الأكشن) نرى التركيز الشديد على بطل الفيلم و جعله إنساناً بارقاً خارقاً مارقاً ، يفعل أي شيء و يقوم بأي شيء و يذهب إلى أي مكان مهما كان قَصياً ، بل و يخترق أي مكان مهما كان حصيناً منيعاً .. يقاتل أفراداً و جماعات ، و ربما جيوشاً و دولاً .. و هنا مكمن الخطورة الشديدة .. خطورة ترويج ثقافة الفرد في مواجهة الجماعة .. ترويج مفهوم الفردية الذي يواجه مفهوم المجموع و ينتصر عليه و يحطمه .. ترويج إن الإمكانيات الفردية البشرية هي أقوى بكثير من إمكانات الجماعة البشرية و أنجع منها و أفضل و هي الحل .. علماً أن العكس هو الصحيح تماماً ، و قد أوضحنا في فقرة سابقة من هذا المبحث كيف أن الفردية ، هي أساساً متوافقة للحيوان و ليس للإنسان و أنه حتى هذا الحيوان الذي بإمكانه العيش و التصرف منفرداً ، فإنه يأبى العيش إلا ضمن نطاق الجماعة أو القطيع .. كما أوضحنا أن أقوى مثال للضعف ، ساقه القرآن

الكريم ، هو عن العنكبوت و بيتها .. فهؤلاء يريدون أن يجعلوا الكائن البشري ، في حال كحال العنكبوت ، سواء من حيث التصرف و الانعزال أو من حيث البيت و المسكن .. و إن الإنسان كفرد معزول ، لا يستطيع شيئاً مما سبق ، على الإطلاق ، و كل ما يُساق حول ذلك ، هو وهم كبير و كذب و دجلٌ و خَرْصْ .

حتى من خلال ما يسمى الدورات و البرامج التخصصية التي يتم تسويقها اليوم ، من مثل .. كيف تكون متميزاً .. كيف تكون ناجحاً .. الذكاء الاصطناعي .. كيف تجذب الناس إليك .. كيف تتحكم بمن حولك .. الخ .. هي برامج تعزز مفهوم الفردية و وهم السيطرة الفردية .. تعزز و تُرَسّخ مفهوم الانعزالية و الابتعاد عن الجماعة و المجموع .. و الخطورة الشديدة فيها ، أنها تودي بصاحبها إلى الشرك بالله سبحانه و تعالى ، من حيث التجبر و التفرد و الغرور و الاشتباه بالقوة .

نهاية المطاف .. فإن الغاية من الوضع الافتراضي الجماعي الذي أتى به القرآن الكريم و أوصى .. هو عدم الغرور الفردي و الوقوع في الشرك بالرحمن رب العالمين و من ثم الكفر به .. و هو ما يراد للإنسان اليوم أن يقع فيه .

القضية الافتراضية الثامنة .. فإذا فرَغتَ فانصَب .

الرحمن رب العالمين .. الإله الأحد الأوحد الواحد الذي لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء .. هو إله كبير عزيز غني عن عباده قاهر فوقهم .. ما هو إليهم بفقير و ما هو لهم بمحتاج ، جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله و الله هو الغني الحميد (*) إن يشأ يُذهبكم و يأت بخلق جديد (*) و ما ذلك على الله بعزيز } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله و من يشكر فإنما يشكر لنفسه و من كفر فإن الله غني حميد } .

بسم الله الرحمن الرحيم { إن تكفروا فإن الله غني عنكم و لا يرضى لعباده الكفر و إن تشكروا يرضه لكم و لا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و قال موسى إن تكفروا أنتم و من في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد } .

إذن و مما سبق .. فإن الرحمن رب العالمين .. رب الكون و إلهه بما فيه و من فيه من الخلائق أجمعين .. هو إله غني عن كل ما خلق و كل من خلق .. و ما هو بحاجة إليهم في شيء ، بل هم جميعاً إليه في فقر و عوز شديدين .

كما إن الرحمن رب العالمين ، هو وحده فقط الذي يفعل ما يشاء و ما يريد .. متى يشاء و متى يريد .. كيفما يشاء و كيفما يريد .. لا أحد يجرؤ أو يمكن أو يستطيع أو يملك أن يسأله لما و كيف ؟؟!! بل هو السائل و المحاسِب و المعاقِب .. جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { لا يُسأل عما يفعل و هم يُسألون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { ذو العرش المجيد (*) فَعّال لما يريد } .

كما إن الرحمن رب العالمين ، هو الحاكم و الملك و المالك لعباده جميعاً ، و هو الكبير المتكبر الذي له الكبرياء جميعاً .. و ليس ذلك أبداً ، لأحد غيره .

بسم الله الرحمن الرحيم { و هو القاهر فوق عباده و هو الحكيم الخبير } .

بسم الله الرحمن الرحيم { هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { فلله الحمد رب السماوات و رب الأرض رب العالمين (*) و له الكبرياء في السماوات و الأرض و هو العزيز الحكيم } .

كما إن الرحمن رب العالمين ، هو وحده العزيز صاحب العزة و مُختصها فقط في نفسه ، و له إن أراد أن يختص شيئاً منها لأحد من عباده أو فئة منهم ، جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لله المثل الأعلى و هو العزيز الحكيم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و له المثل الأعلى في السماوات و الأرض و هو العزيز الحكيم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { إن هذا لهو القصص الحق و ما من إله إلا الله و إن الله لهو العزيز الحكيم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { إن العزة لله جميعاً هو السميع العليم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { سبحان ربك رب العزة عما يصفون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و لله العزة و لرسوله و للمؤمنين } .

هذا من ناحية التفَرّد و العزة و القوة و الكبرياء و المنعة .. أما من ناحية الرحمة و الرأفة و الخير و ما تَبِعَ ذلك كله .. فللرحمن رب العالمين صفات من ذلك الوصف اختص بها نفسه و لا و لم يدانيه أحد غيره ، فيها و في مقدارها و كمالها ، و من ذلك مثلاً لا حصراً ، في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { الحمد لله رب العالمين (*) الرحمن الرحيم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده و يأخذ الصدقات و أن الله هو التواب الرحيم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها و ما يمسك فلا مرسل له من بعده و هو العزيز الحكيم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده و أصلح فأنه غفور رحيم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { إن ربكم لرءوف رحيم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و هو الغفور الودود } .

كما أن الرحمن رب العالمين قد اتصف أيضاً بصفات العلو و التعالي و المقدرة التامة التي أيضاً لا يشاركه فيها أحد و لا يدانيه ، و مِن ذلك مثالاً لا حصراً ..

بسم الله الرحمن الرحيم { ذلك بأن الله هو الحق و أن ما يدعون من دونه الباطل و أن الله هو العلي الكبير } .

بسم الله الرحمن الرحيم { فالحكم لله العلي الكبير } .

بسم الله الرحمن الرحيم { عالم الغيب و الشهادة الكبير المتعال } .

على إن الرحمن رب العالمين ، قد اتصف أيضاً بصفات مزجت (ضمن الآيات القرآنية) فيما بين الرحمة و القسوة .. و فيما بين العفو و العقاب .. و فيما بين الخير و العذاب ، و من ذلك ما جاء في القرآن الكريم ، مثالاً لا حصراً ..

بسم الله الرحمن الرحيم { ربكم ذو رحمة واسعة و لا يرد بأسه عن القوم المجرمين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و ربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { غافر الذنب و قابل التوب شديد العقاب ذي الطَول لا إله إلا هو إليه المصير } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و يستجيب الذين آمنوا و عملوا الصالحات و يزيدهم من فضله و الكافرون لهم عذاب شديد } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذ تأذَّن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم و لئن كفرتم إن عذابي لشديد } .

بسم الله الرحمن الرحيم { قال عذابي أصيب به من أشاء و رحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون و يؤتون الزكاة و الذين هم بآياتنا يؤمنون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم (*) و أن عذابي هو العذاب الأليم } .

إن إله خالق للكون بما فيه و من فيه ، يتصف بكل هذه الصفات ، من العزة و القوة و المقدرة و الغنى و الاستغناء ، الكليين .. كذلك من الرحمة و الرأفة و المودة ، الكليين .. كذلك من العقاب و العذاب و البطش .. لَهوَ إله ، لا بد متسامح مع عباده و تارك لهم فسحة من الراحة و الوقت ليقضوا فيها ، أعمالهم كلها و حوائجهم جميعاً .

إن الرحمن رب العالمين ، الذي اتصف بكل تلك الصفات السابقة .. ما هو بإله عجول متعجل راكض وراء عباده ليقوموا بأصول عبادته على الفور ، لا يترك لهم فيها مجالاً لقسط من راحة و شيء من أناة .. شأنه شأن بقية الآلهة المزعومة التي إن تأخر أتباعها أو عبيدها عنها في شيء ما ، عاجلتهم فوراً ، العقوبة و الدمار و الهلاك (بحسب أساطيرهم و مروياتهم) .. فبما أن الرحمن رب العالمين هو أعلى من عباده و هو أكرم من عباده و هو أرحم من عباده و هو الأغنى منهم و المستَغنِ عنهم ، بحسب ما قال القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لله المثل الأعلى و هو العزيز الحكيم } .

فلا بد أنه و الحالة هذه تارك لهم الوقت الكافِ لقضاء عباداتهم و مناسكهم ، له . و تارك لهم فسحة و شيء من حرية الاختيار في القيام بعبادته .. لكن بما لا يخالف و لا يؤثر على الأحكام الشرعية القرآنية .

لقد دلّلت آيات كُثر في القرآن الكريم ، على ترك الله سبحانه و تعالى ، لعباده فسحة من وقت و راحة و تفكير و تدَبّر ، إما للقيام بأصول و أحكام عبادته ، وإما لقضائها .. كما دللت هذه الآيات أيضاً على تساهل الله سبحانه و تعالى في شيء من عبادته و قضاء أحكامه ، إلا أن يكون حق عباد ، و من هذه الآيات ، مثالاً لا حصراً ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و لو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة و لكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعةً و لا يستقدمون } .

الله سبحانه و تعالى في هذه الآية ، هو إله لا يعاجل الناس العقاب الفوري و البطش العاجل .. لكن يترك لهم مجالاً طويلاً واسعاً لتدارك ذنوبهم و التراجع عنها و التوبة .. ذلكم من صفاته التي ذُكِرت سابقاً .

بسم الله الرحمن الرحيم { و ربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً } .

تخبر الآية ، أن الله سبحانه و تعالى ، و بموجب من رحمته .. لا يأخذ الناس فوراً بالعقاب العاجل ، لكن يجعل لهم أجلاً لا يستطيعون بعده فِكاكاً ، إن لم يتداركوا أخطاءهم و آثامهم .

بسم الله الرحمن الرحيم { لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم و لكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم و الله غفور حليم } .

تقول الآية أن الله سبحانه و تعالى لا يعاقب الناس على كل شاردة و واردة أو على السهو و الخِطء غير المقصودَين ، فهو إله غفور حليم .. لكنه يعاقبهم فقط على ما تقَصّدوا هم القيام بهم و يعلمون أنه مخالف للشرع .

بسم الله الرحمن الرحيم { إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم و كان الله عليماً حكيماً } .

الله سبحانه و تعالى ، ليس إلهاً واقفاً ناصباً على باب أخطاء و هفوات و ذنوب عباده ، مراقباً لهم فيها ، معاجلاً إياهم عقابها .. إنما هو إله رحيم يتوب على من فعل أمراً سيئاً عن جهل و عن غير دراية و تعَمُّد ، ثم أدرك فاعتبر و تاب .

بسم الله الرحمن الرحيم { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم (*) و أنيبوا إلى ربكم و أسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تُنصَرون } .

تخبر الآيتان السابقتان إنه حتى الإسراف في الذنوب و ظلم النفس بسببها ، ثم إدراكها و تداركها .. لا يجب اليأس فيها من رحمة الله سبحانه و تعالى و مغفرته ، لكن على الناس أن تتدارك ذلك قبل أن يأتي يوم لا تَسامُحَ فيه و لا رحمة .. هما آيتان .. الأولى ، رحمة و طلب توبة .. و الثانية ، تحذير و تنبيه من العذاب و العقاب .

أيضاً هنالك آيات قرآنية تدل على تساهل الله سبحانه و تعالى ، حتى في تطبيق بعض الأحكام الشرعية نتيجة ظروف معينة ، و من ذلك مثالاً ..

بسم الله الرحمن الرحيم { الآن خفف الله عنكم و علم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مائتين و إن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله و الله مع الصابرين } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و اذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه و من تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى و اتقوا الله و اعلموا أنكم إليه تُحشَرون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { ليس على الأعمى حرج و لا على الأعرج حرج و لا على المريض حرج و لا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و جاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم و ما جعل عليكم في الدين من حرج } .

بسم الله الرحمن الرحيم { يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر } .

إن كل ما سبق من صفات الرحمن رب العالمين ، و كل ما سبق من تساهل منه و تسامح و تخفيف .. هو تقديم و توطئة للقضية الافتراضية التي تقول .. **فإذا فَرَغتَ فانصَب** ، و التي مصداقها هو سورة الشرح ..

بسم الله الرحمن الرحيم { ألم نشرح لك صدرك (*) و وضعنا عنك وزرك (*) الذي أنقض ظهرك (*) و رفعنا لك ذكرك (*) فإن مع العسر يسراً (*) إن مع العسر يسراً (*) فإذا فَرَغْتَ فانصَب (*) و إلى ربك فارغب } .

يوضح لنا سياق سورة الشرح القرآنية السابقة ، أن الله سبحانه و تعالى ، يريد من عبده العابد له ، أن يكون متفرّغاً لعبادته بالتمام و الكلية .. و إنه لكي يكون العبد المؤمن بالله سبحانه و تعالى ، متفرّغاً لعبادته بالتمام و الكلية ، فلا بد أن يكون متفرّغاً لها ، بدنياً و ذهنياً .. و هذا يذَكّرنا بالقضية الافتراضية الأولى الأساس في هذا الكتاب ، ألا و هي الشبع من الجوع و الأمان من الخوف ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فليعبدوا رب هذا البيت (*) الذي أطعمهم من جوع و آمنهم من خوف } .

إن التفرّغ البدني و الذهني لعبادة الرحمن رب العالمين ، يستوجب أن يكون المرء منتهياً من أعماله و مشاغله الحياتية و متطلباته الجسدية و النفسية و قاضياً لها ، كي يكون متفرّعاً تماماً و كلّيّة لعبادة الرحمن رب العالمين .

لقد أوضح القرآن الكريم هذه القضية الافتراضية في مكان آخر منه ، هو سورة المزمل ، حين قال ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها المزمل (*) قم الليل إلا قليلاً (*) نصفه أو انقص منه قليلاً (*) أو زد عليه و رتل القرآن ترتيلاً (*) إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً (*) إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً و أقوم قيلاً (*) إن لك في النهار سبحاً طويلاً } .

توضح الآيات البادئات لسورة المزمل ، أن هنالك عملاً تعبّديّاً شاقاً للرسول الكريم محمد ، في الليل الذي هو بحسب القرآن الكريم .. أشد وطئاً .. و تبعاً لذلك ، فقد أخبره الله سبحانه و تعالى ، أن له النهار كله ليقضي فيه كل أعماله و حاجاته الضرورية .. أي بمعنى آخر ، عليه أن يتفرّغ لعبادة الليل ، بفضاء حوائجه كلها في النهار و ينتهي منها .

بالعودة إلى سورة الشرح ، نرى أن آية (فإذا فرغتَ فانصَب) قد جاءت مشفوعة بآية (و إلى ربك فارغب) ، و هذا يعني أنه حتى في حال الرغبة إلى الله سبحانه و تعالى ، و في ذِكره و التبتل إليه و الابتهال أو الدعاء ، فإنك يجب أن تكون أيضاً متفرّغاً بالكلية إلى الله سبحانه و تعالى ، و قاضياً كل حوائجك و مُتَمِّمات عيشك

و قوت يومك .. فحتى الرغبة إلى الله سبحانه و تعالى يجب أن تكون مستوفية شروطها كما يريد الرحمن رب العالمين و كما يحب أن تكون .

إن في التفرغ إلى الله سبحانه و تعالى في عبادته ، يكون الإخلاص له في الدين و يكون التوحيد و لا يتم الإشراك به من حيث التفكير .. فهنالك شرك بالله سبحانه و تعالى ، من حيث التفكير .. أي أن تصلي له و تدعوه و تركع له و تسجد ، و في مِخيالك أحد آخر غيره أو شيء .. لكن الإخلاص في الدين ، أن تفعل ذلك و ليس في خيالك أحد غير الرحمن رب العالمين .. و ذلك من شعائر الإخلاص لله سبحانه و تعالى .. و هو ما يريده الله سبحانه و تعالى من عباده المؤمنين له و المسلمين و المخلصين .

ربما من ذلك كله ، قد نفهم لما قال القرآن الكريم للرسول الكريم محمد ، أن يقوم في الليل ليتعبد لله سبحانه و تعالى ، و أخبره أن له النهار كله يقضي فيه حوائجه و مستلزمات قوت يومه و أهله .. ذلك أن الليل هو الهدوء و السكينة و العزلة عن الناس ، و قد قال فيه القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فالق الإصباح و جعل الليل سكناً و الشمس و القمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { أم من هو قانت آناء الليل ساجداً و قائماً يحذر الآخرة و يرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب } .

بسم الله الرحمن الرحيم { الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه و النهار مبصراً إن الله لذو فضل على الناس و لكن أكثر الناس لا يشكرون } .

أما النهار فهو الحركة الدائبة و العمل و الانشغال بطلب الرزق و القوت و الضجيج و الضوضاء ، و هو ما ذكره القرآن الكريم إذ قال ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و من هو مستخف بالليل و سارب بالنهار } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و هو الذي جعل لكم الليل لباساً و النوم سباتاً و جعل النهار نشوراً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه و النهار مبصراً إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و من رحمته جعل لكم الليل و النهار لتسكنوا فيه و لتبتغوا من فضله و لعلكم تشكرون } . أي الليل للسكن ، و النهار لابتغاء الرزق .

إن الله سبحانه و تعالى سبحانه و تعالى يريد لك أن تأخذ وقتك كاملاً في التفرغ له و لعبادته و تأخذ كذلك حقك من ذلك ، فلا تبدأ عبادتك له من صلاة أو دعاء أو ذكر إلا و قد أنهيت كل أعمالك الخاصة و شؤونك .. فالله سبحانه و تعالى لا يريدك أن تمتن عليه في عبادتك له ، بل هو من يمن عليك أن هداك للدين الحق القويم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين } .

إن الله سبحانه و تعالى ، لا يريدك أن تعبده و تذكره ، و عقلك مشغول بشيء آخر ، فهذا من الإشراك به ، وهو أمر يجعلك تتحين الفرص لترك العبادة و الإياب لمصالحك الخاصة ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذا رأوا تجارةً أو لهواً انفضوا إليها و تركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو و من التجارة و الله خير الرازقين } .

إن جاء وقت الصلاة و بين يديك عمل لا يستغرق إنجازه وقتاً طويلاً ، فقم بإنجاز عملك القصير الموجز ثم قم إلى الصلاة فأقِمها .

إن كنت على وشك الطعام أو باشرتَ في تناول طعامك ، ثم حان وقت صلاة الوقت الذي أنت فيه أو أتاك آذانه ، فتناول طعامك إن كنت لم تبدأ فيه ، أو انهِه إن كنت قد باشرت فيه ، ثم بعد ذلك قم إلى صلاتك فأدِّها .

إن كنت في وقت السحور و على وشك الإفطار أو دخلت في الإفطار ، ثم أتاك صوت آذان الفجر ، فلا تترك طعامك بل تناوله خلال دقائق وجيزة و اشبع منه ثم تناول شرابك و ارتوِ ثم ادخل في حالة الصيام .

إن ربك الرحمن رب السماوات و الأرض رب العالمين الذي له الكبرياء في السماوات و الأرض و هو العزيز الحكيم .. ليس واقفاً لك بالمرصاد ، يترصد حركاتك و يترقب سكناتك ، ليأخذك أخذ عزيز مقتدر حال هفوة منك أو زلة أو تأخير في قيام حكم و أمر ، ذلك أنه إله أحد واحد كبير متعال كتب على نفسه الرحمة .. كيف لا و هو إله حليم صبور ؟؟!! ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إن من شيء إلا يسبح بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً } .

بسم الله الرحمن الرحيم { والله غفور حليم } .

إن الله سبحانه و تعالى ، لا يتساهل في الحقوق و بخاصة ، العباد منها و الكبائر ، لكنه يمهل المرء أو الجماعة و القوم ، الفترة التي يريدونها و يعتقدون أن مناسبة لتدارك أخطاءهم و إصلاحها و التوبة عنها .. جاء في القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا و قولوا انظرنا و اسمعوا و للكافرين عذاب أليم } .

يخاطب الرحمن رب العالمين عباده المؤمنين من خلال القرآن الكريم و يقول لهم أن لا يطلبوا منه تعديل بعض أحكامه أو تغيير شيء منها ، فهذا ما لا يمكن أن يكون .. لكن بإمكانهم أن يطلبوا منه انتظارهم و إرجاءهم و منحهم الوقت الكافي ليستطيعوا القيام بأعباء عبادته على الوجه الأكمل . أي بمعنى آخر .. منحهم الوقت كافي للتفَرّغ لعبادته .. و هذه الآية هي شفيعة للآيتين ذواتا القضية الافتراضية ذات المبحث هذا ..

بسم الله الرحمن الرحيم { فإذا فَرَغْتَ فانصَب (*) و إلى ربك فارغب } .

لكن ما هو الوجه الآخر المضاد للقضية الافتراضية هذه ؟؟!! .

الوجه الآخر هو محاولة تعطيل الأحكام القرآنية .. أحكام الرحمن رب العالمين قدر الإمكان ، و تغييرها أو تحويرها أو تبديلها أو الاتيان ببديل عنها .. ذلك لأن المرء عندما لا يجد الوقت الكافي أو الفسحة الكافية أو المجال ، للقيام بعبادة الرحمن رب العالمين بالشكل المطلوب ، تماماً على الذي أحسن ، فإنه سيضطر إما لإلغائها و عدم القيام بها و إما لاجتزائها أو بترها و إما لابتداع أحكام أخرى مشابهة لها من حيث الشكل فقط أما المضمون ، فالله وحده العالم بما فيه .

هذه القضية تعيدنا مرة أخرى إلى الآية القرآنية المساقة قبل قليل ، و هي ..

بسم الله الرحمن الرحيم { يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا و قولوا انظرنا و اسمعوا و للكافرين عذاب أليم } .

إذن .. المقصود بالتشديد في الأحكام الربانية الرحمانية و إلغاء الفسحة أو النظرة التي منحها الرحمن رب العالمين لعباده كي يستطيعوا القيام بأعباء و تكليف العبادة على الوجه الأكمل .. و يصيروا بالتالي إلى الفساد و الإفساد في تطبيق الأحكام الربانية الرحمانية القرآنية .. إذن .. الغاية من ذلك كله ، هو إلغاء عبارة (انظرنا) التي أمر بها الرحمن رب العالمين ، و العودة بهم و بالناس إلى عبارة (راعنا) التي حرّمها الرحمن رب العالمين و نهى عنها .. و ما مصداق ذلك إلا الآيات القرآنية التالية ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و إذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم } .

بسم الله الرحمن الرحيم { و قال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه لعلكم تغلبون (*) فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً و لنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون (*) ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاءً بما كانوا بآياتنا يجحدون (*) و قال الذين كفروا ربنا أرنا الذَيّن أضلانا من الجن و الإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين } .

لاحظ أيها القارئ الكريم الآيات القرآنية السابقة و تَتَبَّع سياقها ، فتصل إلى النتيجة التي تُظهِر لك الحقائق .. لاحظ أن هؤلاء أرادوا قرآناً غير هذا القرآن المَنَزَّل من الرحمن رب العالمين و بإذنه و أمره .. أرادوا قرآناً على مزاجهم ، يراعي لهم متطلباتهم الخاصة و أهواءهم .. و لا يريدون القرآن الكريم الذي هو تنزيل الرحمن رب العالمين ، و الذي نزل به جبريل الروح الأمين ، ليكون هداية لك و للناس أجمعين .. هذا

القرآن الذي ما سمح لهم بتغيير أحكامه لكن أعطاهم النظرة و الوقت الكافي لتطبيقها .. لكنهم ما أرادوا ذلك لأنهم من الأساس لا يطيقونه و لا يريدونه .. ثم انظر كيف توَعَّدهم الرحمن رب العالمين بالعذاب الأليم و الخزي الكبير و أن جهنم موعدهم أجمعين .. ثم انظر عندما يصيرون في جهنم ، كيف سيبحثون عن الذين أضلاهم من الجن و الأنس و يطلبون من الرحمن رب العالمين أن يريهم إياهما لكي يدوسوهما تحت أقدامهم .

لذلك .. و بناء عليه و عليه بناء .. و مما سبق جميعاً .. خذ أيها الإنسان وقتك الكامل في عبادة الرحمن إلهك و ربك و خالقك الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء ، فهو من منحك ذلك و أجازه لك ، و لا تُقسِر نفسك عجلةً أو قهراً و غصباً في ذلك ، فهذا ما لا يريده الرحمن إلهك و ربك و خالقك الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له أو معه في شيء أو من شيء .. كيف ، و هو الذي جاء حمدَه و شكره في القرآن الكريم لأنه ..

بسم الله الرحمن الرحيم { و قل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً و لم يكن له شريك في الملك و لم يكن له ولي من الذل و كبره تكبيراً } .

هو الرحمن رب العالمين الذي الإله الوحيد الذي لم يذل عباده في عبادته لأنه أكبر من ذلك ، فهو الوحيد المستحق أن يكبِّروه تكبيراً .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عن المؤلف ..

نزار يوسف .. كاتب و باحث من سورية و له المؤلفات التالية ..

١)- الزمن العربي الرديء .

٢)- الحكمة بين الإله و السلطان .

٣)- الوصاية الفكرية .

٤)- هوية الفكر العربي المعاصر .

٥)- المنطق الثاني .

٦)- قراءة في القرآن الكريم (تفسير القرآن الكريم) .

٧)- قرآن الأرقام في حروف القرآن .

٨)- أنا و الملاك (رواية طويلة) .

٩)- المسيح المهموم (مجموعة قصصية هادفة) .

صفحة المؤلف على موقع فيسبوك .. https://www.facebook.com/nizary3/

صفحة العروة الوثقى للمؤلف على موقع فيسبوك ..
https://www.facebook.com/NizarYusuf.Quran